الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز الأبحاث والدراسات التابع للعلامة المحقق

أيد الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN : ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧ ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ تومانا**
ردمك ج٣١:	**٥ ـ ٣ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

این اثر با حمایت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامی طبع شده است

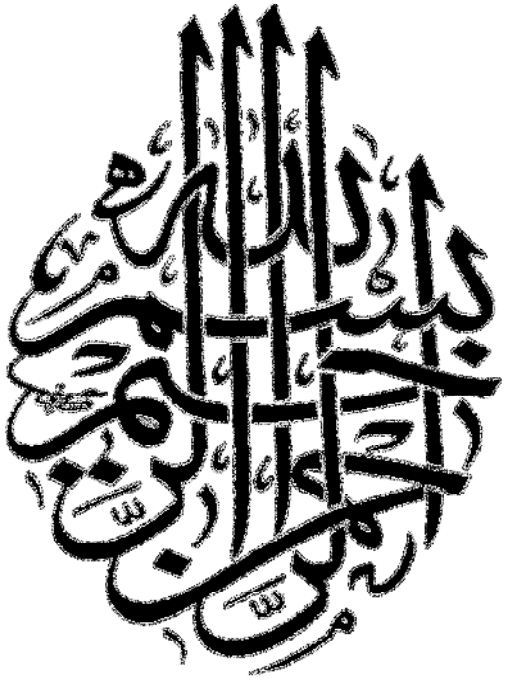

الفصل الرابع:

ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة

سار فيهم بسيرة الرسول ′:

ورووا عن الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين «صلوات الله عليهما»: إن علياً «عليه السلام» سار في أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أهل الشرك.

قال: فغضب، ثم جلس، ثم قال: سار والله فيهم بسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح، إن علياً «عليه السلام» كتب إلى مالك وهو على مقدمته يوم البصرة:

1 - بأن لا يطعن في غير مقبل.

2 - ولا يقتل مدبراً.

3 - ولا يجهز على جريح.

4 - ومن أغلق بابه فهو آمن.

فأخذ الكتاب فوضعه بين يديه على القربوس من قبل أن يقرأه، ثم قال: اقتلوا.

فقتلهم حتى أدخلهم سكك البصرة، ثم فتح الكتاب فقرأه، ثم أمر منادياً فنادى بما في الكتاب[1].

ونقول:

في هذا الحديث أمور كثيرة تحتاج إلى بيان، ونذكر منها:

سؤال أبي حمزة:

من المعروف أن أبا حمزة من الشخصيات التي لا شبهة في إخلاصها، ولا يشك في سلامة اعتقادها. وهذا يدعونا إلى التساؤل عن المبرر لطرحه هذا السؤال على الإمام «عليه السلام»، فهل كان يرى أن علياً «عليه السلام» يمكن أن يخالف ما رسمه الله تعالى ورسوله.

ونجيب:

أولاً: إن السؤال عن شيء لا يعني اعتقاد السائل بمضمون ما يسأل عنه، إذ من الجائز أن يكون سؤاله نيابة عن غيره. ليأخذ الجواب الكافي والشافي من معدن العلم.

---

(1) الكافي ج5 ص33 وتهذيب الأحكام ج6 ص155 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص74 و (الإسلامية) ج11 ص55 وبحار الأنوار ج32 ص210.

وحتى لو كان استفهاماً للسائل نفسه، فإنه قد يكون هذا الأمر قد حيَّره، ولم يفهم معناه ومغزاه، فأراد من الإمام أن يحل له هذا اللغز، ويخرجه من الحيرة. وهذا أمر يوجب له المدح والثناء، لأنه لم يمض على شكه، بل أراد جلاء الشبهة، والوصول إلى الحق..

ثانياً: قد يظن أبو حمزة: أن سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»، وسيرة علي «عليه السلام» قد اختلفتا، لأن موضوع تصرفهما مختلف، فالنبي «صلى الله عليه وآله» كان يحارب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويحارب المشركين.. أما علي «عليه السلام» فكان يحارب أهل القبلة. فاحتاج أبو حمزة للسؤال عن الفوارق والمميزات، فجاءه الجواب: بأنه «عليه السلام» قد سار في أهل القبلة بنفس سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أي بالمن والكف، والاكتفاء بردع العدوان، وإطفاء النائرة..

ويدل على ذلك: وصايا علي «عليه السلام» لمن معه: بأن لا يطعنوا في غير مقبل، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن.. وهذه هي نفس وصايا النبي «صلى الله عليه وآله» لمن كانوا معه..

مضمون وصايا علي × لجيشه:

وهذه الوصايا هي التي تحدد المسار العملي، وطبيعة القتال، وتنظم التصرفات القتالية، ضمن ضوابط معينة تتناسب مع طبيعة هذه الوصايا، وما لها من مفاهيم ودلالات، ويمكن أن نشير هنا ـ

باختصار ـ إلى ما يلي:

1 ـ لم يقتصر «عليه السلام» على مجرد إصدار الأمر كلامياً، بل كتبه، وأرسله إلى أهم قادته، وأعظمهم نفوذاً وهو الأشتر «رحمه الله تعالى» لكي لا يمكن لأحد أن يتعلل: بأنه تخيل أن هذه الأوامر كانت مجرد وصايا أخلاقية، الهدف منها سوق الناس إلى ما هو أفضل من الناحية الأخلاقية. وليست مقررات ملزمة وحاسمة. ولا هي مما يجب تطبيقه حرفياً..

وربما يطلق البعض لخياله العنان، فيعتبرها مجرد شعارات لها هدف إعلامي، وتأثير نفسي، أكثر مما هي إلزامات أو وصايا عملية، ومنهج تطبيقي..

2 ـ إنه «عليه السلام» أرسلها إلى القائد الميداني، وهو يمارس عمله القتالي، ليعطيها صفة الإجراء العملي والميداني..

3 ـ كانت أول وصية له «عليه السلام»: أن لا يطعن أحد في غير مقبل. وهو إجراء إرفاقي بلا شك، فإن من لا يكون مقبلاً على القتال. وإن كان قد أدى دوراً في تكثير سواد العدو والتشجيع ـ بنفس حضوره ـ على اتخاذ قرار الحرب، وتقوية القلوب، وحسم حالة التردد لدى الكثيرين. ولكنه في حدود دوره الشخصي يدور أمره بين احتمالين:

أحدهما: أن يكون بصدد تدبر الأمر في كيفية دخوله في الحرب، واختيار أساليبها، وتفحص إمكاناته القتالية، ودراسة الموقع الأنسب،

والأكثر تأثيراً وأماناً وفاعلية..

الثاني: أن يكون في حالة تردد وحيرة، ولم يستطع أن يحسم أمره بعد، ولعله يفكر في أساليب وسبل التملص من المأزق الذي وضع نفسه فيه، وإن كان ظاهر حاله يتماشى مع الاحتمال الأول أكثر من تماشيه مع هذا الاحتمال..

والإحتياط الحازم إنما يقضي بالتعامل معه على ما يقتضيه ظاهر حاله هذا. ويؤكد ذلك: أن مراعاة الإحتمال الثاني يحمل معه أخطاراً يرفض الحزم تعريض النفس لها، ويحتم تحاشيها..

ولكن علياً «عليه السلام» آثر أن يتعامل حتى مع هذا النوع من الناس على أساس مراعاة الاحتمال الثاني الأضعف، واعتباره هو الأولوية له، ولمقاتليه، وإن كلفه ذلك غالياً حتى في ساحة القتال.

وهذا غاية في الرفق والتكرم، والتفضل. لا يقدم عليه إلا إمام معصوم، لا يترك أية بارقة أمل، إلا ويوظفها لصالح جميع الناس حتى أعدائه، وانتشالهم من ورطتهم، ثم هدايتهم إلى طريق الهدى والخير والصلاح. حتى لو كان ذلك بقيمة التعرض للأخطار الجسام. وبذل التضحيات الكبرى..

4 - أن لا يقتلوا مدبراً.. وهذا إجراء إرفاقي آخر، يحمل في ثناياه المزيد من التكرم والتفضل، والإغماض، والعفو عن أناس خرجوا على إمامهم، ناكثين بيعته، وبذلوا جهدهم في قتال وقتل أهل الإيمان، وإطفاء نور الله، وهم يفرون عجزاً عن مواصلة ما بدأوه، من دون أن

يعلنوا توبة، أو أن يظهر منهم ندم، أو رضا بإجراء أحكام العدل الإلهي فيهم..

5 - أن لا يجهز على جريح.. وإذا كان يحتمل أن يكون المدبر لم يجد الفرصة لقتل أو جرح أحد، ولعله أعان بنفس حضوره، وتكثيره لسواد الأعداء، فإن الجريح قد واجه أهل الإيمان، واحتاج أهل الإيمان إلى دفعه عن أنفسهم، فأصيب وجرح، فاحتمال أن يكون قد قتل أو جرح، يكون على درجة من القوة. ولا أقل من أنه قد هاجم المؤمنين، وشغلهم بنفسه عن غيره.. ولولاه لكانوا دفعوا عن بعض إخوانهم بعض البلاءات التي حلت بهم من قبل غيره.. فالعفو عن أمثال هذا سيكون أبعد منالاً، وأكثر صعوبة على النفس الإنسانية..

6 - ويأتي بعد ذلك كله أنه «عليه السلام» قد أعطى الأمان لمن أغلق بابه، ولعله أغلقه بعد أن فتك بغيره، أو آوى من قتل وفتك..

هل خالف الأشتر علياً ×؟!:

وقد ذكرت رواية أبي حمزة: أن الأشتر لم يقرأ كتاب علي «عليه السلام»، بل وضعه على قربوس سرجه، ثم أمر بقتالهم حتى أدخلهم سكك البصرة.

فكيف وبماذا نفسر فعل الأشتر هذا؟! ألا يعد تمرداً على علي «عليه السلام»؟! واجتهاداً في مقابل النص؟! وكيف يؤخر قراءة الكتاب؟! فلعل فيه أمراً بإيقاف الحرب!! ولعل!! ولعل؟!

ونجيب:

أولاً: إن الأشتر لم يفعل أي شيء يخالف ما ورد في كتاب علي «عليه السلام»، فإن الأشتر كان يعرف أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحرب، ولم يكن بالذي يخالف تلك الأوامر.. وهو يعرف أن علياً «عليه السلام» لا يخرج عن سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وليس ثمة ما يدل على أن أصحابه قد قتلوا غير مقبل، أو أجهزوا على جريح، أو قتلوا مدبراً، أو قتلوا من دخل داره، وأغلق بابه..

بل إن قتاله لهم حتى أدخلهم سكك البصرة يدل على مواصلتهم القتال. ولكنهم يتقهقرون شيئاً فشيئاً من دون إدبار وانهزام ظاهر..

ثانياً: قد كانت أوامر علي «عليه السلام» مشددة لأصحابه بأن لا يبدأوا بقتال، حتى يبدأوهم. والمفروض أنهم قد بدأوهم بالقتال، وأجاز أمير المؤمنين «عليه السلام» الرد عليهم. وهذا يعني: أن الأشتر إنما كان يدفع من يهاجمه، ويقاتل من يقاتله..

يضاف إلى ما تقدم: أنه بما أن الحرب قد بدأت بالفعل، فلا دليل على أن الفرصة قد سنحت للأشتر ليوقف أصحابه، ثم يبلغهم مضمون رسالة علي «عليه السلام».

ثالثاً: لعل أمير المؤمنين «عليه السلام» كان قد اتفق مع الأشتر على أنهم إذا بلغت هزيمتهم الموضع الفلاني فاقرأ الرسالة التي أرسلها إليك واعمل بما فيها.. فعمل الأشتر بما أوصاه به «عليه

السلام»، ولعله «عليه السلام» أراد أن يري أهل البصرة الشدة أولاً، ليكون ذلك درساً لهم، ثم يرأف بهم في لحظة بعينها.. كما أنه يريد أن يفهمهم أن ما يجري لهم ليس من عنديات الأشتر، بل هو بمعرفة دقيقة منه «عليه السلام».

رابعاً: لو أردنا أن نعتبر الأشتر إنساناً عادياً يتعامل مع الإمام كخليفة تجب طاعته، ولم يتعمق في معنى الإمامة وشؤونها وحالاتها، فيمكننا أن نقول ـ بناءً على هذا ـ: لعل الأشتر لم ير نفسه ملزماً بفتح الرسالة فوراً، إما اعتقاداً منه بأن الأمور قد بلغت مع الأعداء حداً يسهل حسمه، أو لأنه كان يواجه في لحظة استلامه للرسالة وضعاً خطيراً وصعباً، ولا بد من حسمه بسرعة. فأعطى نفسه فرصة بضع خطوات.

وإما لأنه أراد أن يستفيد من الرخصة والمعذورية التي قدر أن له الحق في الاستفادة منها، انطلاقاً من حقيقة: أنه قبل أن يفتح الرسالة ويقرأها، فلا يكون مكلفاً بالعمل بمضمونها..

حديث راية رسول الله ′ :

محمد بن همام، قال: حدثنا أحمد بن مابنداذ، قال: حدثنا أحمد بن هلال، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي المغرا، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: لما التقى أمير المؤمنين «عليه السلام» وأهل البصرة نشر الراية، راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتزلزلت أقدامهم، فما اصفرت الشمس حتى قالوا: آمنا يا ابن

أبي طالب.

فعند ذلك قال:

1 - لا تقتلوا الأسرى.

2 - ولا تجهزوا على الجرحى.

3 - ولا تتبعوا مولياً.

4 - ومن ألقى سلاحه فهو آمن.

5 - ومن أغلق بابه فهو آمن.

ولما كان يوم صفين سألوه نشر الراية، فأبى عليهم فتحملوا عليه بالحسن والحسين «عليهما السلام» وعمار بن ياسر، فقال للحسن: يا بني، إن للقوم مدة يبلغونها، وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم «عليه السلام»[1].

ونقول:

إن لنا هنا وقفات، نذكر منها ما يلي:

الزلزال:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «عليه السلام» لما نشر راية رسول

---

(1) الغيبة للنعماني (الطبعة الثالثة) ص208 و (نشر أنوار الهدى سنة 1422هـ) ص319 وبحار الأنوار ج32 ص210 وج52 ص367 عنه، ومستدرك الوسائل ج11 ص53.

الله «صلى الله عليه وآله» تزلزلت أقدامهم. فيرد هنا سؤال: هل كان ذلك لأجل أن هذا الزلزال هو من الآثار الوضعية والغيبية لنشر الراية المباركة، وقد أدرك الناس هذا الأثر لها، ولأجل ذلك طلبوا نشرها في صفين؟!

أم أن سبب الزلزال هو الأثر الروحي الذي تركته هذه الراية عليهم، حيث تذكروا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعادوا إلى أنفسهم.. وبدأ ذلك بصورة التردد والشك في صوابية موقفهم.. ثم صار يسري هذا التردد والشك بصورة تدريجية حتى انتهى الأمر بظهور الفشل فيهم، والتضعضع والتفكك في صفوفهم؟!

ونجيب:

بأن ظاهر الأمور يقضي بصحة الاحتمال الأول.. ويشهد لذلك: أنهم لم يتراجعوا بل بقوا مصرين على الحرب أشد إصرار حتى أكلتهم السيوف، وقتل منهم المئات والألوف، وعاثت بهم المنايا والحتوف..

بل إن نفس مضمون الرواية يصرح: بأنهم أنما قالوا: آمنا يا ابن أبي طالب، بعد أن ذاقوا طعم الموت، ولم يجدوا سبيلاً لأي فلاح أو نجاح فيما يسعون إليه..

هزيمة أم استسلام؟!:

وقد يفهم من الرواية: أن قولهم آمنا يا ابن أبي طالب معناه: أنهم

قد استسلموا مع أن النصوص التاريخية تؤكد: أنهم قد هزموا وأسروا..

ويجاب:

بأن من الممكن الجمع بين هذه الرواية وسواها. بأن الهزيمة حين حلت بهم، قال جماعة منهم، وهم كبراؤهم وأعيانهم الذين يعرفون أن هزيمتهم لن تنجيهم من العقاب، أو قال قسم منهم: آمنا يا ابن أبي طالب، لكي يفوزوا بالسلامة من القتل. ولم يجدوا بداً من الاستئسار أو الموت، فأصدر «عليه السلام» أمره بالكف عن المدبر، وبعدم قتل الأُسراء.. وعدم الإجهاز على الجرحى.. ومن ألقى سلاحه أو أغلق بابه فهو آمن..

ملاحظة: ومن الواضح: أن الإيمان حين رؤية البأس لا ينفع في النجاة، كإيمان فرعون عند الغرق، ولكن بما أن علياً «عليه السلام» قد أخذ فيهم بسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعمل فيهم بالمن والكف، فإن نجاتهم كانت بسبب كرم أخلاق علي «عليه السلام»، لا لأجل استحقاقهم النجاة. فإن حكمهم هو القتل..

لماذا لم ينشر راية الرسول في صفين؟!:

ويبقى هنا سؤال: لماذا لم ينشر «عليه السلام» راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صفين بالرغم من إصرار الناس عليه «صلوات الله وسلامه عليه»، وتوسيطهم الحسنين «عليهما السلام» وعمار بن ياسر؟!.

ولماذا لم يكرم هؤلاء الوسطاء، ويستجيب لما دعوه إليه، كما هو المتوقع؟!

وهل لم يكن الحسنان «عليهما السلام» يعرفان أنه سوف لا يجيب طلبهما؟! وهل لم يكونا على علم بسبب امتناعه «عليه السلام»؟!

فإن كانا على علم بالسبب، فلماذا قبلا أن يتوسطا لديه؟! وإن كانا لا يعلمانه، فأين هو علم الإمامة عنهما؟!

وما معنى الجواب الذي قدمه «عليه السلام» للإمام الحسن «عليه السلام»؟! وكيف اقتنع الإمام الحسن «عليه السلام» بهذا الجواب، ولم يناقش به؟!

ونجيب بما يلي:

إن أمر أهل صفين أشد من أمر أهل الجمل.. وبيان ذلك يأتي في بيان معنى البغاة في فصل: «السيرة في أهل القبلة».

غير أننا نبادر إلى القول هنا:

من المعلوم: أن الله سبحانه وتعالى يقول لعيسى «عليه السلام»: **(..أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ..)**[1]. مع أن الله عالم بكل شيء.. ولكنه أراد أن يسمع الخلائق، ولا سيما الذين

(1) الآية 116 من سورة المائدة.

يؤلهون عيسى «عليه السلام» الجواب من لسان عيسى نفسه، ليقيم عليهم الحجة بذلك، فلماذا لا يكون طلب الإمامين الحسنين «عليهما السلام» هذا الأمر من أبيهما «عليه السلام» لأجل أن يسمعا الناس جوابه هذا من لسانه.. وإن كانا يعلمان به كما يعلمه هو «صلوات الله وسلامه عليه».

وأما نقاش الإمام الحسن «عليه السلام» في جواب أبيه، فلا موضع له، لأنه جواب دقيق وعميق، فإن حفظ الشيعة المخلصين، والصفوة من المسلمين هي التي تفرض هذه المرونة في التعامل..

وقد أوضحنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب..

توجيهات عامة:

ومن التوجيهات العامة التي أصدرها «عليه السلام»، ما يلي:

1 - لا تجهزوا على جريح..

2 - لا تقتلوا أسيراً..

3 - لا تتبعوا مولياً..

4 - ومن ألقى سلاحه فهو آمن.

5 - لا تطلبوا مدبراً..

6 - ومن أغلق بابه فهو آمن.

7 - لا تكشفوا عورة..

8 - لا تمثلوا بقتيل..

9 - لا تكشفوا ستراً..

10 - لا تدخلوا داراً..

11 - لا تأخذوا من أموالهم شيئاً.. إلا ما حواه العسكر..

12 - لا تهيجوا امرأة بأذى..

والنص الذي تضمن هذه التوجيهات هو التالي:

«لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وكفكم عنهم حتى يبدأوكم حجة لكم أخرى

فإذا قاتلتموهم، فلا تجهزوا على جريح. [وعند المسعودي: ولا تقتلوا أسيراً].

وإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، [وعند المسعودي: ولا تتبعوا مولياً، ولا تطلبوا مدبراً]، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل».

فإذا وصلتم إلى رحال القوم، فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذني، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً (إلا ما وجدتم في عسكرهم).

[زاد المسعودي قوله: «ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم: من سلاح، أو كراع، أو عبدٍ، أو أمة.. وما سوى ذلك فهو لورثتهم على كتاب الله»].

ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القول، والأنفس، والعقول.

لقد كنا نؤمر بالكف عنهن، وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل

ليتناول المرأة (في الجاهلية) بالهراوة والجريدة، فيعير بها عقبه من بعده»[1].

ونقول:

التعليمات الشاملة:

هناك توجيهات رئيسية وأساسية، لا بد من تزويد المقاتلين بها منذ البداية، وهي التي لا غنى ولا تنازل ولا محيص عنها بأية حال..

وهناك توجيهات مقطعية يصدرها «عليه السلام» في الموقع المناسب.. وهي تلك التي تمتد عناصرها من حركة الواقع العملي.

من أجل ذلك نلاحظ هنا: إنه «عليه السلام» قد استوعب جميع مراحل الحرب في جانبها الإيجابي، وأعطى التوجيهات التي تسهم في ضبط حركتها وتصويبها في الإتجاه الصحيح، وهذا درس له قيمته الكبيرة في العمل العسكري، حيث لا يجوز توزيع هذه التوجيهات على المراحل بصورة مجزأة، بحيث لا يصدر التوجيه إلا حين الوصول إليها، لأن وصول التوجيهات في تلك اللحظة قد يتعرض لعراقيل تمنع من وصوله في الوقت المناسب، أو تمنع من

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص228 عن أبي مخنف في كتاب الجمل، ومروج الذهب ج2 ص361 و 362 والأغاني ج16 ص127 وتاريخ اليعقوبي (ط النجف) ج2 ص169 و 170 و (ط صادر) ج2 ص183 وغير ذلك.

استيعابه بالدقة المطلوبة، أو تمنع من تنفيذه والإلتزام به بصورة دقيقة.

وهذه التوجيهات إنما هي لخصوص المنتصر، ولعل حصرها في هذه الحالة هو أن أكثر المخالفات إنما تحصل من الفريق الذي يمارس القوة، ويشارف على النصر. حيث إنه ربما يبالغ في استعمال قوته، وتأخذه نشوة النصر، فيتجاوز الحدود المسموح بها.

يضاف إلى ما تقدم: أن هذه التوجيهات بمثابة جرعة قوة لفريق، وبمثابة سوط مذلة يجلد به الفريق الآخر، الطاغي والباغي. وهي أيضاً نافذة نور يشرف بها المترددون على الحق، ليجسموا خيارهم تجاهه. فإما أن ينصروه عن علم وبصيرة، وإما أن ينقادوا لأهوائهم ولعصبياتهم، وللشيطان، ويمارسون الجحود والعناد، والبغي والرغبة في الفساد في البلاد وبين العباد.

حجتان لأصحاب علي ×:

ذكر النص المتقدم: أن علياً «عليه السلام» قال لأصحابه: «فإنكم ـ بحمد الله ـ على حجة، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى..»، فكيف أصبح كفُّهم عنهم حتى يبدأوهم حجة أخرى لهم؟!

ويمكن أن يجاب:

إن من بديهيات الإسلام أن من ينكث بيعته، ويخرج على إمامه عاص، لله، ولرسوله.. فكيف إذا أضاف إلى ذلك: انتهاب الناكث

بيعته بيت مال المسلمين من حراس بيت المال، وغيرهم من أهل البصرة؟!

فهذه حجة دامغة، وبرهان ساطع على ضلالة أولئك الناس، وعلى لزوم إعادتهم إلى رشدهم..

فإن نفس بدء أولئك العصاة بالقتال، يؤكد بغيهم على المؤمنين، والسعي في سفك دمهم، وقتل إمامهم، والعبث بنظامهم، فلا بد من دفعهم عن أنفسهم، وعن إمامهم ونظامهم.. وعدم تمكينهم من تحقيق مآربهم..

وهذه حجة أخرى لأهل الحق عليهم، وإدانة ظاهرة لهم.

التدرج في المراحل:

وقد أظهر النص المتقدم: أنه بصدد ذكر ما تقتضيه المراحل الطبيعية للحرب، من تصرفات.. وبيان ما تحتاج إليه من أحكام، ومواقف.. فبدأ «عليه السلام» بذكر ما ينشأ من:

1 - حالة القتال وما يجري فيها من قتل وجرح.. فبين «عليه السلام»: أن الجريح لا يجهز عليه، لأن نفس حالته هذه قد أخرجته عن دائرة الصراع كما خرج عنها من قتل أيضاً.. فلم يكن هناك من موجب للصراع معه، بل أصبح اتخاذ أي إجراء ضده يمثل سابقة تؤسس لتوقع المقابلة بالمثل، إن لم يكن لما هو أضر وأشر، إذا سنحت الفرصة لخلف ذلك السلف، للإنتقام القاسي والمرير من أهل

الحق..

2 ـ كيفية التعامل إذا حلت الهزيمة بالعدو، فهناك حالات تفرض نفسها، وهي:

ألف: إذا ولى العدو عن القتال مع قرب الإشتباك والتلاحم معه، وإمكان الوصول إليه، وسهولته.

ب: إذا أدبر العدو، وابتعد عن ساحة المعركة، واحتاج الوصول إليه إلى بذل جهد.

ففي هاتين الحالتين: يأمر «عليه السلام» بأن لا يطلب، ولا يتبع.. فلا يجب أن يبحث عنه، ولا أن تجدَّ الخيل في طلبه.

ج: من بقي في ساحة المعركة، سواء أكان قتيلاً أو جريحاً، أو في طور الإستئسار.

فالمطلوب هو مراعاة أمرين:

أولهما: أن لا تكشف عورته، حياً كان أو ميتاً.

الثاني: أن لا يُمثل به بقطع بعض أعضائه، كأذنيه، أو أنفه، أو شفتيه، بهدف التشفي فيه، أو لأجل تقبيح منظره.

فإن للناس حرماتهم، وكراماتهم.. وبعض هذه الحرمات تسقطها الجرائم والموبقات، وبعضها لا يسقطه شيء.. فمن سرق سقطت حرمة يده، فتقطع.. ومن زنى وهتك ستر الله عن عباده في أعراضهم، فإنه يضرب أمام الناس، ويهتك ستره بهذا المقدار.. ومن

خرج على إمامه أو قتل نفساً سقطت حرمة دمه، ويقتل بالوسائل المتعارفة، وبالنحو الممكن. ولكن لا تسقط حرمة عورته، ولا حرمة سائر التصرفات مع جسده. ولذلك أمرهم «عليه السلام» أن لا يكشفوا عورة، ولا يمثلوا بقتيل.

3 - وبعد هزيمة العدو يصل المقاتلون إلى رحالهم، فهنا توجيهات عديدة:

أحدها: أن حرمة مال المحارب المهزوم تارة تسقط بالكلية، كما إذا كان مشركاً أو كافراً محارباً لله ورسوله..

وربما تسقط حرمة بعض أمواله دون بعض، كالذي يخرج على إمامه وهو يظهر أنه على دين الإسلام، كما هو حال الناكثين في حرب الجمل. فإن المال الذي تسقط حرمته هو خصوص ما استعان به ذلك المحارب في الحرب.. أما سائر الأموال فهي لورثته.. ولذلك قال «عليه السلام»: ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً.

الثاني: لقد أمرهم «عليه السلام» أن لا يكشفوا ستراً، لأن حرمة عرض المهزوم لم تسقط في هذا المورد، أي في مورد الخروج على الإمام ممن يظهر الإسلام.

الثالث: إن لهذا النوع من الناس حرمة لأسراره، فإنه إذا حل قتله لم يحل فضح سائر أسراره التي لا ربط لها بجرمه.. ولأجل ذلك جاء التوجيه العلوي الكريم ليقول: ولا تكشفوا ستراً، ولا تدخلوا داراً.

معاملة نساء الناكثين:

وللمرأة في حروب أهل الباطل عادة دورها السلبي في التحريض، والإثارة، فإنهن لا يلتزمن بما يفرضه الواجب الديني والعقلي، ويقتضيه التدبير الصائب والحكيم، بل ينسقن مع مشاعرهن الجياشة وعواطفهن الثائرة. ويضخمن الأمور، ويفهمنها ويتعاطين معها من بعض وجوهها.. ويتجاهلن ما عدا ذلك.

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد ذكر في كلامه الوسائل والأساليب التي تعتمدها النسوة، في أمثال هذه المواقف، مثل:

1 - شتم الأعراض.

2 - سب الأمراء.

3 - سب الصلحاء.

وهي أساليب فارغة من المضمون الإصلاحي وبعيدة عن التدبير الصحيح، وعن العقلانية والإتزان. ولا تنتج إلا الأذى الروحي، والمزيد من النفور، والضغينة.. ولا تحل مشكلة، بل هي دائماً تزيد في تعقيدها.. وتضيف إليها المزيد من المشكلات.

وهذه الوسائل التي تعتمدها النساء عادةً في المواجهة ليس فيها أي وجه حق، بل تدخل كلها في دائرة العدوان والظلم، وتجاوز الحدود، واللاأخلاقية، وغير المنطقية.

كما أن في بعضها توثب على المواقع المتميزة في موقعها الإجرائي، وفي حجم قدرتها على التأثير العملي ـ كالأمراء ـ أو توثب على الموقع المعنوي، الذي ربما ينتهي إلى المساس بالقداسات، ورموز الخير والصلاح، والمثل والقيم العليا، بإهانة وتحقير من يتميزون بها، وتتمظهر، وتتمثل بهم، كالصلحاء، والأبرار، والأخيار.

ضعف النساء:

وقد نص أمير المؤمنين «عليه السلام» على أن ضعف النساء يتجلى في أمور ثلاثة هي:

1 ـ الضعف في الأقوال.

2 ـ الضعف في الأنفس.

3 ـ الضعف في العقول.

وقد جعل «عليه السلام» الضعف في هذه الأمور هو المبرر للنهي عن أن يهجن بأذى. فدل ذلك على أن الأحكام والإجراءات يجب أن تلحظ نقاط الضعف والقوة في الإنسان. ولكن ذلك لا يعني إلغاء العقوبات على المعاصي، والآثام التي تصدر منهن. فكيف يمكن الجمع بين هذين الأمرين.

ونجيب:

بأن العقوبة الشرعية إنما تستند إلى حكم حاسم يصدره القاضي العادل الذي يدرس الأمور وفق الموازين المقررة شرعاً، ويصدر

الأمر بالعقوبة وفق ما يتوفر لديه من معطيات.

وقد يحتاج هذا الأمر إلى مطالبة صاحب الحق بأخذ الحق له.. مع أنه قد يختار العفو عنه أيضاً.. وربما تكون العقوبة معصية قرر لها الشارع حداً أو تعزيراً معيناً، أو غير ذلك.

ولكن الأمر فيما يرتبط بالحروب يعود إلى ولي الأمر، فهو الذي يقدر ويقرر، من منطلقات وصلاحيات وفرها له الشارع، تراعي مصالح العباد والبلاد، وتأخذ بنظر الإعتبار مختلف العوامل، والموجبات للتخفيف، أو للتشديد الرادع، وكل ما يسهم في تبريد الفوران العاطفي، وهيجان المشاعر، ويمنع أو يقلل من ظهور العداوات، ومن الشحناء، والبغضاء، ويتلافى الكثير من الأخطار، ويمنع من صب الزيت على النار.

وإذا نظرنا في طبيعة العوامل التخفيفية التي أشار إليها «عليه السلام»، فسنرى أنها نظرت إلى أمور ثلاثة:

أولها: القصور البياني لدى النساء، حيث يدعوهن ذلك إلى الإبتعاد عن المنطق الرضي والسوي والمقبول، واللائق واللجوء إلى أساليب تعبيرية رديئة ومؤذية وفارغة.. تتمثل بكيل الشتائم للأعراض، والتطاول على القمم، واستباحة كرامات الناس بالتوهين والسباب، والتعويض بذلك عن الضعف، وعن الفاقدية الذاتية.

أي أن المبرر الأقوى لهذا وذاك هو ضعف النفس والشعور الغامض بفاقديتها لعناصر الكمال والجمال التي يمكن أن تواجه بها

أهل الصلاح والكمال.

ثم ضعف العقل الذي لا يجد لديه مفردات يمكنه أن يستفيد منها في مواجهة مكامن القوة التي يتلمسها لدى الطرف الآخر في كل اتجاه.

وبذلك يتضح: أن هذه العوامل هي التي تدعو النساء إلى شتم الأعراض، وسب الأمراء والصلحاء.

مراعاة جوانب الضعف لا تختص بالمسلمات:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن مراعاة جوانب الضعف لدى النساء لا ينحصر بالمسلمات، كما كان الحال في حرب الجمل، بل يعم المشركات أيضاً، ولذلك كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمر المقاتلين من أصحابه بالكف عنهن وهن مشركات.

والسبب هو: أن الضعف في القول، وفي النفس والعقل لا يختص بامرأة دون أخرى، بل هو حالة طبيعية كامنة في أصل التكوين.. فتفرز آثارها، وتلحقها أحكامها بصورة طبيعية.

بل لقد أدرك الناس بأنفسهم هذا الأمر، وتعاملوا معه كأمر واقع، وكأنه من الأمور الفطرية، التي تفرض نفسها على الواقع العملي في جميع الأحوال والأزمان وعلى جميع الناس.

ولذلك كان بكاء النساء على الأولاد والآباء والأزواج أمراً طبيعياً ومرضياً، بل مأموراً به، فلا مسوغ لضربهن على ذلك. كما

كان يصدر عن بعضهم، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» ينهاه عن فعله هذا.

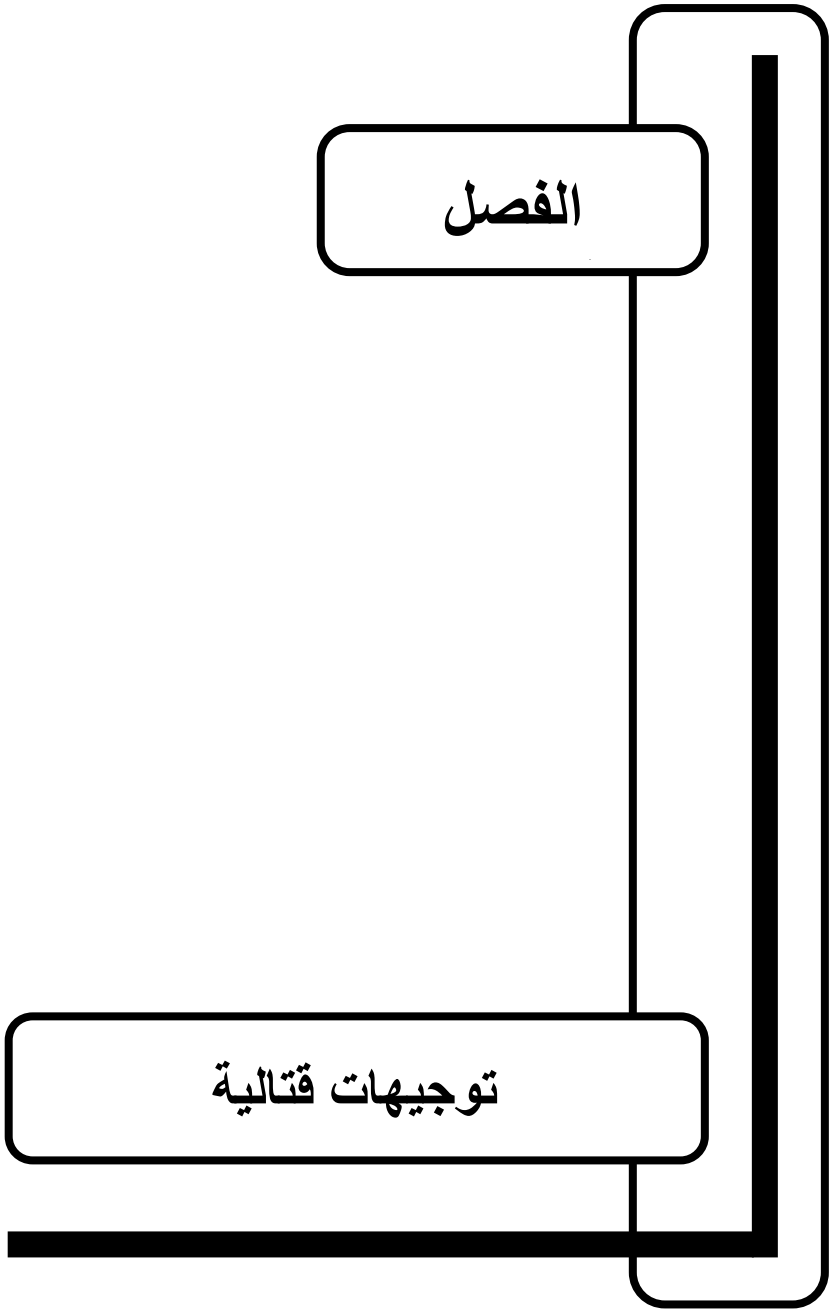
الفصل
توجيهات قتالية

توجيهات للعسكر:

1 ـ قالوا: وبعد لقائه «عليه السلام» بالزبير في الميدان، وتذكيره إياه بما قاله له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من أنه سيقاتل علياً «عليه السلام» وهو له ظالم، وبغير ذلك من أمور، ورجوع الزبير، ثم عودته إلى الحرب، بعد عتق مولاه كفارة عن يمينه بزعمه. نعم.. بعد ذلك قال «عليه السلام»:

أيها الناس، غضوا أبصاركم، وعضوا على نواجذكم، وأكثروا من ذكر ربكم. وإياكم وكثرة الكلام، فإنه فشل[1].

2 - وروى الواقدي قال: حدثني عبد الله بن [محمد بن] عمر بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» عن أبيه قال: لما سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت، فقال لابنه محمد: ما يقولون؟!

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص341 وبحار الأنوار ج32 ص174 عنه.

فقال محمد بن الحنفية: يقولون: يا لثارات عثمان!

قال: فشد عليه [لعل الصحيح: فاشتد عليه] وأصحابه يهشون في وجهه، ويقولون: الشمس ارتفعت!

وهو يقول: «الصبر أبلغ في الحجة»[1].

3 - ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربية، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي فصلى عليه، وقال:

أما بعد، فإن الموت طالب حثيث، لا يفوته الهارب، ولا يعجزه. فاقدموا ولا تنكلوا.

وهذه الأصوات التي تسمعوها من عدوكم فشل واختلاف، إنا كنا نؤمر في الحرب بالصمت.

فعضوا على الناجذ، واصبروا لوقع السيوف، فوالذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على فراشي.

فقاتلوهم صابرين محتسبين، فإن الكتاب معكم، والسنة معكم، ومن كانا معه فهو القوي.

أصدقوهم بالضرب، فأي امرء أحس من نفسه شجاعة وإقداماً، وصبراً عند اللقاء فلا يبطر به ولا يرى أن له فضلاً على من هو دونه.

---

(1) الجمل للمفيد ص357 و (ط مكتبة الداوري) ص190 وراجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ص231.

وإن رأى من أخيه فشلاً وضعفاً، فليذب عنه كما يذب عن نفسه، فإن الله لو شاء لجعله مثله[1].

ونقول:

قد أصدر «عليه السلام» توجيهات لعموم الجيش، وأصدر توجيهات لحامل راية الجيش العظمى..

وهذه وتلك توجيهات هامة وحساسة جداً..

والنصان المتقدمان ذكرا بعض توجيهاته لعموم الجيش.. وقد تضمنت ما يلي:

1 ـ الأمر بغض الأبصار:

إن أول أمر أصدره «عليه السلام» لأصحابه هو أن يغضوا أبصارهم. فإن الأبصار في البداية تكون جوالة ومنتشرة في مختلف الجهات، في سعي فضولي ظاهر لاستيعاب قدرات العدو، في أحجامها، وتنوعاتها.

فقد يؤثر هذا سلباً في نفوس المقاتلين، لأنه قد يوجب اندهاشهم بالكثرة، وبالأنواع والهيئات. ويصاب بالهلع، ولذلك قال «عليه

---

(1) الجمل للمفيد ص358 و (ط مكتبة الداوري) ص191 وأشار في هامشه إلى: العقد الفريد ج4 ص338. قال فيه: خطب أصحابه يوم صفين، ونهج البلاغة ص179 - 180 خطبة 123 والإرشاد ص127 وقارن بالكافي ج5 ص53 - 54. وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص228.

السلام»: في بعض مقامات صفين: «وغضوا الأبصار، فإنه أربط للجأش، وأسكن للقلوب»[1].

فلا يجوز السماح بالإستمرار على هذه الحالة، ولا سيما قُبَيْلَ وحين الشروع في القتال. بل لا بد من غض الأبصار وتقصيرها، وتركيز التفكير القتالي في مساحات محدودة، ومعينة، وهي تلك التي يفترض فيه مواجهتها ومعالجتها، وإبطال تأثير مناورات العدو في المجال القتالي.

ومن الواضح: أنه كلما انحسر البصر عن المساحات الواسعة، وتركز في نطاق محدود، فإن مستوى إدراك الخصوصيات والطاقات، واستيعاب طريقة التحرك، وأهدافه ومراميه ومجالاته،

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص3 الخطبة رقم 124 والكافي ج5 ص39 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص60 و (الإسلامية) ج11 ص45 وبحار الأنوار ج32 ص563 و 567 وج33 ص455 وج97 ص40 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص283 وعيون الحكم والمواعظ ص348 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص233 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص276 وج6 ص163 وج7 ص10 ونهج السعادة ج2 ص162 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص3 ونور الثقلين ج5 ص310 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص11 والكامل في التاريخ ج3 ص297 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص292 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج1 ص275.

سوف يتنامى، وسيتبلور لدى المقاتل من خلال ذلك خطة مواجهة، وأساليب قتالية تتناسب مع طاقاته وقدراته ومع ما يواجهه من قبل عدوه، وما تفرضه عليه معطيات الواقع الذي يرصده، ويعيشه، ويتعامل معه.

2 ـ عضوا على نواجذكم:

ثم كان التوجيه الآخر الذي أصدره «عليه السلام» إلى مقاتليه بقوله: «وعضوا على نواجذكم». وهذا تعبير رمزي من جهة، وعملي من جهة أخرى، فهو يرمز إلى مدى التصميم على حسم الأمر لصالح القضية الكبرى التي يؤمن بها. فإن العض على الناجذ، ما هو إلا حركة عفوية تصدر عن الإنسان الذي نفذت بصيرته، واشتدت عزيمته على إنفاذ أمر بعينه، مهما كلفه الأمر..

وهذا الأمر يمثل بحد ذاته نوعاً من التلقين التلقائي لجند أهل الحق، وقداسة أهدافهم، ومدى أهميتها وخطورتها.

أما من الناحية العملية فقد ورد في نص آخر الأمر بالعض على النواجذ، معللاً: بأنه «أنبى للسيوف عن الهام»[1].

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص114 الخطبة رقم66 وخصائص الأئمة ص75 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص95 و (الإسلامية) ج11 ص72 والإرشاد للمفيد ج1 ص266 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص234 ومدينة المعاجز ج3 ص131

حيث يقال: نبا السيف، إذا لم يقطع. فإذا عض الإنسان على ناجذه وهو ما يسمى بضرس العقل (أو الحِلْم) فإن أعصاب الرأس تتصلب وعضلاته تشتد، فتكون أقدر على مقاومة السيف، ويقل تأثيره فيها..

عودة إلى غض الأصوات، والأبصار:

على أن من الواضح: أن نفس غض البصر مطلوب، وكذلك غض الصوت، وسبب ذلك: أن الإنسان حين ينظر إلى الشخص الآخر، فإنه ينظر إلى وجهه، وبالتحديد إلى عينيه، حيث يرى فيهما الناظر تعابير عن حالات الشخص، فيرى فيها رعبه، أو رجاءه، أو توقعه، أو قسوته، أو تصميمه أو حيرته أو غير ذلك من معاني تترك انعكاساتها على نفس الناظر، فيتشجع ويقدم، أو يخاف، ويتراجع، أو يطمع ويتوقع، أو ما إلى ذلك..

وللأصوات حين ترتفع أيضاً تعابيرها ودلالاتها، التي تترك آثاراً لدى من يسمعها، فهناك صوت الخائف المرعوب، وهناك صوت الحسم والحزم، وصوت المتوسل الراجي، وصوت المتردد الجبان.. وما إلى ذلك..

فغض الأبصار، وغض الأصوات إلى حد السكوت المطبق يحرم

وبحار الأنوار ج32 ص557 وج74 ص335 وج97 ص39 ونهج السعادة ج8 ص343 ووقعة صفين للمنقري ص235 ومطالب السؤول ص291 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص66.

الطرف الآخر من أي هذه الدلالات، وتضيع عليه فرص، ويحرم من الاطلاع على حالات قد يتمكن من توظيف معرفته بها في اكتساب المزيد من الطاقة أو القدرة على التحرك المضر والمؤذي لعدوه الذي يواجهه..

ولربما يزيد حرمانه هذا في حيرته، ويؤكد قناعته بعجزه عن المواجهة أو يضفي غض البصر والصوت جواً من الرهبة والخوف إلى حد الرعب، ويفسح المجال للاحتمالات، أو للأوهام والتخيلات لتفعل فعلها السلبي في نفوس أصحابها.

وسيأتي: أنه «عليه السلام» أمرهم بأن يلحظوا الشزر. وهو النظر المستطبن للغضب والحدة..

3 ـ وأكثروا من ذكر ربكم:

والتوجيه الثالث لم يزد على أن طلب «عليه السلام» من أصحابه أن يكثروا من ذكر ربهم.. وذلك لكي يرتبط هذا المقاتل بمصدر الفيض، والعطاء، والقوة، والعون.. فلا يعيش الوحدة والوحشة، والخوف، بل يعيش الثقة بالله، والسكينة معه.. والشوق إليه.

كما أن ذلك يمنع من تنامي الشعور بالإعتماد على القوة الذاتية، وعلى العتاد والعدة والوسائل المادية..

وهو أيضاً يجنب المقاتلين آفة التواكل على بعضهم البعض، المؤدي إلى تبادل التفريط بقدر من الجهد الشخصي، وإلقائه على عاتق

الآخرين، ويذهب بشطر كبير من المصابرة التي ينبغي أن توظف في المواجهة مع الأعداء..

وبكلمة جامعة: إن ذكر الله معناه: توطيد العلاقة معه، وإضافة شحنة ذاتية جديدة، وتوظيفها في مجال مقارعة العدو، لتكون نتيجتها مضاعفة القوة المبذولة في مجال الصراع الحاسم..

بدلاً من الاعتماد على غير الله، الذي ينتج التواكل، والتفريط بقدر كبير من القوة، والنشاط، والاندفاع في مقارعة العدو..

4 ـ كثرة الكلام فشل:

ثم إنه «عليه السلام» حذرهم من كثرة الكلام إبان الصراع، فإنه فشل وجبن. ولعل ذلك يعود إلى أن الحرب تحتاج إلى أقصى درجات التنبه والتركيز ودقة الملاحظة، والقدرة على التنبؤ بالفرص التي قد تتاح للخصم، بالإضافة إلى رصد واقتناص الفرص التي قد تتاح للشخص نفسه، ويحتاج إلى التفطُّن للمعالجة المناسبة، واتخاذ القرار الملائم بأسرع ما يمكن لأن تسويف أية لحظة لربما يأتي بالكارثة.

ومن الواضح: أن كثرة الكلام تستأثر بقسط من مستوى التنبه، وتؤثر على درجة التركيز، والدقة في هذين الإتجاهين على حد سواء..

يضاف إلى ذلك: أن كثرة الكلام قد توحي لمكثره أنه بصياحه أو ثرثرته قد أحدث بعض الخلل والتشويش، والضعف في عزيمة عدوه،

ولم يعد بحاجة إلى بذل الجهد الأقصى الذي كان يحتاجه لولا صياحه هذا..

مع أن الأمر يكون في الواقع العملي على خلاف ذلك، حيث يكون هذا الكلام والصراخ قد استنفد قسطاً مهماً من طاقته، وأحدث بعض الفتور في عزيمته، وربما يسري بعض هذا الفتور إلى زملائه الذين قد يروق لهم أن يتكلوا على ما أحدثه من أثر لدى الأعداء، أو يوهم أنه ناتج عن تحقيق انجاز مَّا لدى مطلقيه، في حين أنه لم يزد على أنه استنزف قدراً من قوتهم، وأوجد فيهم حالة من التواكل والتراخي والضعف..

في حين أنه لم يوجب أي اختلال أو أثر لضعف لدى الأعداء، بل كان الأعداء بصمتهم، وبتركيزهم، وشدة تنبههم قد احتفظوا بكامل قوتهم.. إن لم نقل: إنه قد زادهم قوة وإقداماً وصلابة من حيث أنه أفهم أن صياح أعدائهم ما كان إلا نتيجة فشل وخور وضعف..

وقد ورد في نص آخر قاله في حرب صفين: «وأميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل»[1]، فلاحظ كلمة: «أميتوا» ثم اعتباره

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص16 والكافي ج5 ص39 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص95 و (الإسلامية) ج11 ص72 ومستدرك الوسائل ج11 ص85 و 87 وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص530 وبحار الأنوار ج33 ص460 وج97 ص42.

«عليه السلام» إماتة الأصوات من المعالجات للفشل، من حيث أنها توجب طرده.

وكأنه «عليه السلام» يشير إلى أن الفشل يكون له حضور عفوي في مثل هذه الحالات، ويكون إماتة الأصوات من وسائل طرده، والتخلص منه، ولعل ما ذكرناه فيما سبق يكفي لتوضيح المراد من هذا التعبير..

وأشار «عليه السلام» في النص المنقول عن الواقدي إلى أمر آخر يكون عند ارتفاع الأصوات، وهو أنه نتيجة حصول الاختلاف بين مطلقيها..

والإختلاف يمثل ضعفاً واختلالاً في البنية العامة الناشئة عن الإجتماع والمشاركة في إنجاز أمر بعينه.

فإن هذا الاختلاف أو توهم حدوثه يحدث تراخياً في أداء بعض الجهات أو الجماعات للمهمات الموكلة إليها، فإن توزيع المهمات والأدوار معناه: أن يعتمد سائرهم على قيام هذه الجماعة بهذه المهمة، وتلك بمهمة أخرى..

فإذا أضيف هذا إلى الضعف والفشل الكامن في أعماق الأفراد أنفسهم، وأضيف إليه الضعف الناشئ عن ضياع القرار، وانضم إلى ذلك كله، عدم القدرة على تحديد موضع الخلل الناشئ عن الاختلاف، وطبيعته، ومقداره، وكذلك الحال إذا أوجبت الجلبة والضوضاء أن ثمة اختلافاً قد وقع فإن الأمر يصبح أكثر اشكالاً، وسوءاً وخطراً..

وقد لوحظ هذا الأمر في أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفي عسكر الناكثين، فقد قال المفيد «رحمه الله»: «والناس يهوون إلى القتال، وإذا عسكر علي قد تحرك، فبادر أصحابنا، فرموا، وأجلبوا، وصيحوا وأكثروا، فسمعت عائشة تقول: هذا أول الفشل. وعلي «عليه السلام» وعسكره لا يثنون.

ثم صف علي أصحابه، وولى الرايات موضعها، وأعطى ابنه محمداً الراية العظمى، راية بيضاء تملأ الرمح، ثم وقف علي «عليه السلام» في القلب»[1].

ويذكرنا هذا التوجيه منه «عليه السلام»، بما كان يوم بدر، حيث قال «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: «غضوا أبصاركم، ولا تبدأوهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد»[2].

فامتثل المسلمون أمره «صلى الله عليه وآله»، فجال أحد المشركين حول المسلمين ليرى إن كان لهم كمين أم لا، ثم عاد إلى أصحابه، فقال:

«ما لهم كمين، ولا مدد، ولكن نواضح يثرب حملت الموت

---

(1) الجمل للمفيد ص373 و (ط مكتبة الداوري) ص198.

(2) السيرة الحلبية ج2 ص147 و 148 وبحار الأنوار ج19 ص251 وشجرة طوبى ج2 ص272 وتفسير القمي ج1 ص262 وتفسير نور الثقلين ج2 ص128.

الناقع. أما ترونهم خرساً، لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتل بعددهم»[1].

وقد صرح علي «عليه السلام» في النص المتقدم: أنهم كانوا يؤمرون في الحروب بالصمت.

6 ـ واصبروا لوقع السيوف:

وقد أمر «عليه السلام» أصحابه بأن يصبروا لوقع السيوف. ثم أقسم «عليه السلام» على أن ألف ضربة بالسيف أهون عليه من ميتة على فراش..

فقد يتوهم الغافل أنه «عليه السلام» يأمر أصحابه بتقبل الموت، وكأنه يرغب بالتخلص منهم، أو لا يبالي بحياتهم، لأنه يراهم وسائل لرغباته، ولا يهمه منهم إلا أن يأتوه بالنصر الأكيد.

ونجيب:

بأنه لا ريب في أن للحرب النفسية، وللإيحاءات للعدو بمعاني القوة، والشجاعة، والتحمل، والصبر، وإظهار عدم المبالاة بالموت، وعدم الخوف من السلاح، ومن التأثر بالتهويل أثراً عظيماً في ردِّ عادية الأعداء، وفي ترددهم، وكسر شوكتهم، وسلبهم القدرة على

---

(1) بحار الأنوار ج19 ص224 و 251 وشجرة طوبى ج2 ص272 وتفسير القمي ج1 ص262 وتفسير نور الثقلين ج2 ص128.

الإقدام، وربما أخذ زمام المبادرة من يدهم.

أما حين يرون عدوهم خائفاً، مهتماً بالإبتعاد عن مراودة السيوف وملامسة السلاح، فإن ذلك يجرؤهم على مهاجمته، ومصادرة قراره، والإستيلاء على زمام المبادرة، وإرباكه بكثرة التلويح بالسلاح، وتحريكه السريع، وملاحقته به..

وليفشل هو من ثم في تحريك سلاحه، ويصير كل همه هو في التلطي خلف الموانع، والهروب إلى مواقع الأمن والتحصن بالمسافات.

وهذا هو الفشل الذريع، والهزيمة الحقيقية، التي تمكن العدو من سفك دمه، لأن ذلك يجعل العدو مهاجماً فقط، ويجعله هو مدافعاً، وهارباً من مكان إلى مكان فقط..

ولأجل ذلك: أمر «عليه السلام» أصحابه أن يصبروا لوقع السيوف، وأن لا يظهروا أنهم بصدد الهروب منها، لأن ذلك يشجع أعداءهم، ويفقدهم كل أمل بالنجاة، ولا يرون أمامهم سبيلاً لحفظ أنفسهم بغير الهزيمة النكراء، التي قد لا تنفع في ذلك أيضاً، لأن عدوهم سيستولي عليهم، وينفذ إرادته فيهم.

وقد بين «عليه السلام»: أن الهرب من السيف لا يعني التخلص من الموت المحتوم المكتوب في اللوح المحفوظ إذا حضر وقته وقال لهم: إن الموت بالسيف أهون ألف مرة من الموت على الفراش..

بل ربما يكون الإقدام على الأخطار في سبيل الله من أسباب رفق

الله بعبده، وتسهيل الموت المكتوب في اللوح المحفوظ عليه ألف مرة عما يكون عليه لو مات على فراشه..

بل قد يكون الموت المحتوم لم يحضر وقته، ويكون الإقدام على محاربة العدو من أسباب البداء، وإطالة العمر للمجاهد، وكتابة النجاة له، بنصرته على عدوه، وقتل عدوه بيده، فهو كصلة الرحم التي تطيل العمر، وقطيعتها التي تقصره..

وبذلك يتضح: أن ما يزعمه بعض الناس من أن الموسيقى الحربية تعطي الشجاعة، ويستجلب بها النصر هو من الأباطيل والترهات، فإنها تعطي شعوراً كاذباً لا يلبث يتلاشى ويصير سراباً ويباباً(1)، وهل يحتاج من يعيش مع الله، وفي دمه وعروقه حب علي والزهراء والحسنين «عليهم السلام» إلى موسيقى وطبول، وضجيج وعجيج؟! أم أن المطلوب هو الصمت المطبق والسكون الرهيب.. الذي كان سمة المسلمين في بدر والجمل، وكانوا يؤمرون به في مختلف حروبهم.

وأما دق الطبول في ليلة الهرير من أربع جوانب جيش معاوية، ويقولون: علي المنصور(2)، فالمقصود به إرباك ذلك الجيش، وإلقاء

---

(1) اليباب: الخراب، ويقال: الخالي الذي لا شيء فيه. راجع: مجمع البحرين ج4 ص570 وتاج العروس ج2 ص501.

(2) راجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص363 وبحار الأنوار ج32 ص588

الرعب في قلوبهم، وليس المراد به التشجيع، وإثارة الحماس لدى المؤمنين.

القوة بالكتاب والسنة:

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» قد أمر أصحابه بقتال الناكثين وأن يكونوا صابرين محتسبين، لأنهم هم الأقوياء..

ولكنه قال: إن قوتهم هذه لم تأت من كثرة الرجال ولا من جودة السلاح، بل لأن الكتاب معهم، ولأن السنة معهم.. ومن كان الكتاب والسنة معه فهو القوي..

وهذا ينسجم مع قوله تعالى في سورة النساء: **(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)**[1].

فالناس متساوون من حيث التعرض للآلام، ولكن لأهل الحق على أهل الباطل امتياز بارتباطهم بالله تعالى، ورجائهم المثوبة والنصر منه. وليس لأهل الباطل هذا الرجاء..

ولهذا الرجاء والإرتباط بالله آثار مادية ومعنوية، أقلها أنها تورث صاحبها مشاعر واحاسيس تطغى على الشعور بالألم، فيكون الفرح والسرور برضا الله وبلقاء الأحبة، محمداً «صلى الله عليه وآله»

ومستدرك سفينة البحار ج6 ص515.

(1) الآية 104 من سورة النساء.

وحزبه، وبالتوفيق للقيام بالواجب طاغياً على الشعور بالألم، بل قد لا يبقى للشعور بالألم أي أثر. كما حصل مع شهداء كربلاء كما أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنهم لن يجدوا ألم مس الحديد.

ومن الواضح: أن الذي يملك رؤية واضحة، وحجة قاطعة على ما يتخذه من مواقف. فإنه يعيش السكينة والرضا والثبات والصبر. فإذا كانت الحجة هي كتاب الله، وسنة رسوله، فإنه يعرف أن الله ورسوله راضيان عن موقفه، وهو يتوقع المثوبة والعون منه تعالى في الدنيا وفي الآخرة على حد سواء، فيرى أن النصر فوز ونجاح، وأن الشهادة أيضاً فوز ونجاح.. ويحتسب أجره في حالتي النصر والشهادة على الله سبحانه، لعلمه بأن عمله لا يضيع عليه، بل هو رابح على كل حال.

أما من لا يملك هذه الحجة، فإنه لن يتمتع بهذه السكينة والرضا واليقين، ولن يكون قادراً على الصبر، ولا يملك من قوة الإندفاع والثبات. ما لأهل الحق الذين يرون أن الكتاب والسنة معهم.. وليس على يقين من آخرته، كما أنه حين يحارب ليس على يقين من النصر والحصول على الدنيا. فهو يعيش القلق والتردد، والشك، والضعف..

7 ـ ليذب عن أخيه كما يذب عن نفسه:

وهناك حالة يكثر حدوثها في الحروب، ولا بد من معالجتها، وهي أنه حين يأخذ المقاتلون مواقعهم، وتتحدد لهم مهماتهم بصورة أو بأخرى، فإن هناك مؤثرات أخرى لا بد أن تؤخذ بنظر الاعتبار،

مثل التفاوت العددي، واختلاف نوع ومستوى التسليح، والإعداد: بدنياً، وخططاً، وتنوع أساليب، وابتكار تكتيكات حربية، ومستويات الشحن الروحي، والإثارات الوجدانية والإيمانية، وبلورة حوافز أخرى، من قبيل العصبيات، والأطماع، وما إلى ذلك..

هذا بالإضافة إلى أن ثمة تفاوتاً طبيعياً في البنية الجسدية للأفراد، واختلافاً في درجات التفاعل و التأثر بتلك العوامل التي أشرنا إليها آنفاً..

فإذا ما قورن ذلك بما يكون عليه حال أفراد العدو الذين تختلف أحوالهم أيضاً في جميع ما ذكرناه اختلافاً كبيراً.. فإن نتائج المواجهات بين كل فرد من هذا الفريق وبين قرنه من الفريق الآخر، ستأتي متفاوتة تبعاً لاختلاف الحالات المتعاكسة.

فقد تجد أحد أصحاب علي «عليه السلام» يوقع بقرنه بسرعة فائقة لأنه يملك ميزات، وحوافز ومؤثرات، وله حالات ميزته واعطته من القوة والشجاعة والإقدام ما لم يكن لأخيه القريب منه نصيب منها، فلم يتمكن من حسم الأمر مع قرنه. وقد لا يكون السبب هو ضعفه بل تميز قرنه عليه ببعض الأمور والأسباب.

وقد عالج أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه الحالة، بإلزام أخيه الذي انتصر على قرنه بسرعة فائقة بالأمور التالية:

أولاً: أن لا يبطر بقوته، ويُدِلّ ويطغى بها، ولا يصرفها إلى غير وجهها، فلعل انتصاره السريع على قرنه كان لأجل ضعف في

الطرف الذي واجهه لا لأجل قوة فائقة فيه..

ثانياً: قرر «عليه السلام»: أنه يجب على ذلك الذي يجد من نفسه شجاعة وصبراً وإقداماً أن يذب عن أخيه الضعيف كما يذب عن نفسه، وليس له أن يحتفظ بشيء من ذلك لنفسه، أو أن يحجب شيئاً من نشاطه وشجاعته، وصبره عن أخيه، فإن هذه الشجاعة والصبر والنشاط ليست ملكاً له..

بل هو بعد أن لم يعد بحاجة إلى هذه الطاقة في الذب عن نفسه، أصبحت هذه الطاقة ملكاً لأخيه، فلا بد أن يمنحه إياها، ويبذلها له..

ثم بين «عليه السلام» أن الله تعالى هو الذي أعطاه هذه الزيادة والفضل، وحرم أخاه منها لمصلحة هو أعلم بها.. والذي أعطاه إياها هو الذي يأمره بمنحها لأخيه.. فإنما مثل المسلمين كمثل الجسد الواحد، وعلى أعضاء الجسد، كاليد مثلاً أن تدفع عن نفسها، وعن سائر الأعضاء كل ضرر وبلاء، وتعب وعناء. وبدون ذلك، فإن ما يصيب سائر الأعضاء من آلام سوف تصل آثاره إلى اليد التي قصرت في دفع الأذى عنه.

وقد يكون هذا هو بعض ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «ولا يرى أن له فضلاً على من هو دونه. وإن رأى من أخيه فشلاً أو ضعفاً فليذب عنه كما يذب عن نفسه، فإن لو شاء لجعله مثله».

ومن التوجيهات أيضاً:

8 - لا يرمين رجل بسهم.

9 - لا يطعن رجل برمح.

10 - لا يضرب رجل بسيف.

11 - لا تبدأوهم بقتال.

12 - كلموهم بألطف الكلام.

ومن التوجيهات التي أصدرها «عليه السلام» لأصحابه، ما روي عن عم يحيى بن سعيد أنه قال: «لما كان يوم الجمل نادى علي في الناس:

لا يرمين رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدأوا القوم بالقتال، وكلموهم بألطف الكلام، فإن هذا مقام من أفلح فيه فلح يوم القيامة.

قال: فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار، ونادى القوم بأجمعهم: يا لثارات عثمان»[1].

وقد تضمن هذا النداء:

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي ج8 ص180 وحياة الصحابة ج2 ص503 عنه، وكنز العمال ج6 ص85 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص338 والمستدرك للحاكم ج3 ص371 وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) نفس الجزء والصفحة، وراجع: تذكرة الخواص ص72 و 91 والفتوح لابن أعثم ج3 ص45 وج2 ص490 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص240 والمناقب للخوارزمي ص 183.

أولاً: توجيهات لأشخاص المقاتلين بصورة مباشرة، وبصيغة يفهم منها كل شخص أنه مخاطب بها بخصوصه.. فلم يقل: لا ترموهم بالسهام، ولا تطعنوهم بالرماح، بل قال: لا يرمين رجل بسهم الخ..

وقد تعرضت هذه الفقرات لثلاثة أمور يمارسها الأشخاص بصورة منفصلة ومستقلة، بطريقة التنصيص على الشخص، وعلى الوسيلة التي يستفيد منها كل واحد منهم في آن واحدٍ.. وهي: السهم، والسيف، والرمح، فقال: «لا يرمين رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف».

ويلاحظ: أن هذه الأمور الثلاثة كانت هي الوسائل الحربية الأساسية المتداولة في ذلك العصر..

ثانياً: توجيهات لعموم المقاتلين.. وتمثل ذلك بـ:

ألف: الأمر بأن لا يبدأوا القوم بالقتال..

وربما جاء هذا التوجيه بهذه الصيغة العامة.. لكي لا يبقى لتصرف الأفراد الصلاحية، والدور، والقدرة، والمبرر لإنشاب الحرب..

وبذلك يقطع الطريق على المصطادين بالماء العكر من أهل الريب، الذين يحبون إنشاب القتال على كل حال، وبأية وسيلة كانت، ولو بالرغم من رغبة القادة، وبالتمرد على أوامرهم، لأن الأمر إذا صدر بهذه الصيغة، فهو يعني: أن القتال لا يبدأ بين الفريقين، إلا إذا صار قراراً جماعياً، واتخذ صفة العموم الكاشف عن رغبة القادة

وقرارهم..

وذلك يكذب ما يحاول بعض المزورين للحقائق إشاعته، من أن سفهاء الفريقين هم الذين أثاروا الحرب في وقعة الجمل.

ب: إن نداء القوم بأجمعهم: يا لثارات عثمان يشير إلى أن الذين بدأوا الحرب لم يكونوا سفهاء القوم، بل كان الرؤساء والقادة، والجيش كله هم البادئون بها، والمباشرون لها.

ويدل على ذلك: أنهم قد رشقوهم بالنبل رشقة رجل واحد، وجرحوا من جرحوا، وقتلوا من قتلوا.

ج: الأمر بأن يكلموهم بألطف الكلام.. وبذلك يكون «عليه السلام» قد أبعد الناس من الفريقين عن أجواء الإنفعال والتشنج، فليس لأحد أن يدعي: أنه قد استدرج إلى الحرب من خلال ما واجهه من تحد، أو لأجل ما رآه وما سمعه من خشونة في التصرف، أو رعونة في الخطاب.

كما أن الكلام اللطيف في مثل هذه الحال يريح النفس، ويقربها من أجواء السلام والسلامة، ويصل ما انقطع، ويرأب ما انصدع، فكيف إذا كان الكلام الذي يسمعونه هو ألطف الكلام؟! فإنه لا يبقي للمتوسل بالحرب ذريعة ولا وسيلة، ولا حيلة لمتطلِّب حيلة..

رايتكم لا تميلوها:

إن راية الجيش هي رمز صموده، وهي التي يراقبها الجيش كله،

ويربط مصيره بها، فلا بد أن تبقى مرفوعة خفاقة، لأن أية انتكاسة لها تحمل معها خطر الهزيمة الكبرى للجيش كله، بل إن أدنى إخلال أو اهتزاز تتعرض له الراية، يكون نذير شؤم لذلك الجيش، لأن القلوب سوف تهتز معه، ويهيئه نفسياً للهزيمة.. ولذلك قال «عليه السلام» في أيام صفين:

1 - ورايتكم فلا تميلوها.

2 - ولا تخلُّوها.

3 - ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، والمانعين الذمار منكم.

4 - فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون برياتهم، ويكتنفونها: حفافيها، ووراءها، وأمامها.

5 - لا يتأخرون عنها فيسلموها.

6 - ولا يتقدمون عليها فيفردوها[1].

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص3 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص17 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص11 والفتوح لابن أعثم ج3 ص73 وصفين للمنقري ص235 والكافي ج5 ص39 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص3 وبحار الأنوار ج33 ص455 وج97 ص40 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص233 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص60 و 61 و (الإسلامية) ج11 ص45 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص10.

وسنتحدث عن هذا الموضوع ـ إن شاء الله ـ حين نصل إلى الحديث عن موقعة صفين..

توجيهات لحامل اللواء:

كان ما قدمنا هو بعض التوجيهات التي أصدرها «عليه السلام» لعموم المقاتلين. أما التوجيهات التي أصدرها لخصوص حامل راية الجيش، فهي كثيرة، منها:

صاحب الراية يتوسط القلب:

روي عن معاذ بن عبد الله التميمي قال: فأسمع علي ينادي ابنه: تقدم بالراية، وتوسط القلب، فينكر من تقدمك، فإن جالوا أو دفعوا يلحقك من تأخر عنك وكان خلفك.

ثم سمعته يقول: أصحابك إمامك، تقدم تقدم! [1].

تزول الجبال ولا تزول:

ومن ذلك: ما روي من أنه «عليه السلام» قال: لمحمد بن الحنفية والراية في يده:

يا بني، تزول الجبال ولا تزل. عض ناجذك، أعر الله جمجمتك، تِد في الأرض قدميك. ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك.

---

(1) الجمل للمفيد ص374 و (ط مكتبة الداوري) ص198.

واعلم أن النصر من الله[1].

ونقول:

سيمر معنا الكثير مما يرتبط بالراية وبحاملها، وبكيفية السير بها، وأهمية بقائها مرفوعة، وعدم جواز التخلي عنها، بل لا يجوز أن يسمح لها بأن تميل في أي اتجاه، ويجب الحفاظ على ثباتها، وعدم ظهور أي تزلزل أو اختلال في هذا الثبات.

وسنرى أنه «عليه السلام» قد حدد مواصفات للرجال الذين يحفون بالرايات، ويكتنفونها، ومواضع تواجدهم منها.

غير أننا نكتفي هنا بذكر مثال واحد، وهو قوله «عليه السلام»:

1 ـ مركزية الراية:

قد عرفنا أن على حامل الراية أن يكون دقيقاً جداً فيما يرتبط بموقع تواجده، ليمكن لسائر الذين يراقبون الراية أن يكونوا معها،

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص43 الخطبة رقم 124 وبحار الأنوار ج32 ص174 وج97 ص39 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص341 ومستدرك الوسائل ج11 ص86 وشجرة طوبى ج2 ص320 وموسوعة أحاديث أهل البيت (بشرح عبده) للنجفي ج8 ص116 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص241 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص244 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج4 ص296.

ويتمكنوا من حفظها، والذب عنها، وقياس تركاتهم، ومواضع تواجدهم على الموضع الذي يرونها فيه..

2 ـ تزول الجبال ولا تزل:

ولسنا بحاجة إلى شرح قوله «عليه السلام» لولده وحامل رايته: تزول الجبال ولا تزل بل نكتفي بالتذكير بأن المطلوب هو أن يكون حامل الراية، ولا سيما راية الجيش كله بمثابة الجبل الذي يمثل سداً يمنع النفوذ إلى ما خلفه. ولا ينفع أي جهد يمارس ضده. وكل القوى تنكفئ عنه.

هذا.. وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد تجاوز موضوع التشبيه بالجبال في ثباتها، ليقرر أنها إذا أصبحت في معرض الزوال من مواضعها. فإن على القائد الذي يحمل الراية أن لا يكون هناك إمكانية لأن يزول من موضعه.. فقد قال لابنه: إنه إذا بلغ الأمر حداً زالت معه الجبال، فلا تزل أنت، لكي أن يكون أرسى وأثبت من الجبال..

ولاحظنا أيضاً: أنه «عليه السلام» أورد الكلام عن الجبال بصيغة الخبر، لكنه أورده عن القائد بصيغة النهي والمنع. على معنى أنه ليس لك أن تختار أن يحدث لك ما يحدث للجبال، ليفيد: أن الثبات في القائد يكون بقرار واختيار منه.

أما في الجبال فزوالها بإكراه واضطرار عنها..

مما يعني: أن قدرات بعض البشر أقوى من طبائع الجبال

التكوينية، وأن أثر صلابة الإرادة فيها يتجاوز حدود آثار التكوين الطبيعي للجبال..

3 ـ أعِر الله جمجمتك:

وقد احتمل بعضهم: أن في قوله «عليه السلام»: أعر الله جمجمتك إشعاراً بأن حامل الراية لا يقتل في تلك الحرب، لأن العارية مردودة. ولو قال له: بع الله جمجمتك، لكان ذلك إشعاراً له بالشهادة فيها[1].

ونقول:

لعل الأقرب إلى الإعتبار هو المعنى الآخر، الذي أشار إليه نفس هذا القائل، وهو: ابذل جمجمتك في طاعة الله تعالى.. وربما كان الهدف من هذا التعبير هو شحذ الهمة، والوصية بعدم الخوف، والإشعار بالشهادة بمعناها القرآني العميق والدقيق، لأن هذا الموت الذي يكون في طاعة الله هو عين الحياة، وحقيقتها الأكثر أصالة وعمقاً، والأشد تجلياً وظهوراً وتألقاً.. وقد قال تعالى: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)**[2]، وقال تعالى: **(وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[3].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص242 وبحار الأنوار ج32 ص196.
(2) الآية 169 من سورة آل عمران.
(3) الآية 64 من سورة العنكبوت.

فكأنه «عليه السلام» يريد أن يذكر له الموت بصيغة الحياة. أي دون أن يمر الموت في خياله، ولا يخطر على باله..

وهذا من لطائف الكلام وروائع البلاغة في البيان، وأفانينها النادرة..

وفيه من الترغيب بالجهاد ما لا يخفى. لاسيما وأنه «عليه السلام» قد جعل الله تعالى هو طرف المعاملة فهو الذي يستعير، ومن أولى من الله تعالى بالوفاء والرد بنحو أوفى وأتم. وما أشبه هذه الكلمة بقوله تعالى: **(إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ)**[1]..

وقوله تعالى: **(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ)**[2]..

وقوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)**[3].

4 ـ تِدْ في الأرض قدميك:

أما قوله «عليه السلام» لابنه وحامل رايته: تد في الأرض قدمك (أو قدميك) فهو ظاهر الوجه أيضاً.. حيث يريد «عليه السلام» من

---

(1) الآية 17 من سورة التغابن.

(2) الآية 111 من سورة التوبة.

(3) الآية 207 من سورة البقرة.

حامل الراية: أن يستفيد من عنصر الإختيار والقرار لمرة واحدة، ثم يخرج نفسه عن دائرة الإختيار والقرار بالكلية.

إنه يريد منه أن يعتبر قدميه بمثابة وتدين، عليه أن يقرر هو بمجرد وصوله إلى ساحة القتال أن يضربهما بالأرض، ثم يصرف ذهنه عن هذا الأمر، ويخرجه من دائرة تفكيره وقراره بالكلية، تماماً، كما هو حال الوتد الذي يضرب في الأرض، ثم يصبح حقيقة واقعة، يأخذ حيزه، ويؤدي دوره بصورة تلقائية. ولا يبقى مجال لتحريكه.

وهذه الوصية تعطي: أن على حامل الراية ليس فقط أن لا يزول من موضعه، بل عليه أن يثبت في الأرض، بحيث لا تحركه العواصف في أي اتجاه، وأن تصبح رايته بذلك على درجة من الثبات والسكون، والقوة والتجذر في سكونها، وكأنها وتد لا يتحرك برغم كل ما يتوارد عليه من أحوال وضغوط قاسية ومريرة..

5 - ارم بنظرك أقصى القوم:

وقد يتوهم متوهم: أن في كلامه «عليه السلام» هنا تدافعاً، فهو تارة يوصي حامل الراية بأن يرمي ببصره أقصى القوم، وأخرى يوصيه بأن يغض بصره.. وهما متنافيان في ظاهر الأمر..

ويجاب:

بأن كلامه «عليه السلام» في منتهى التوافق والإنسجام، فهو حين يأمر ولده بأن يرمي ببصره أقصى القوم، إنما يريد منه أن يجعل

همته وهدفه هو اختراق صفوف الأعداء وعدم الإكتراث بجموعهم، ولا بعدتهم وعددهم، وأن يتجاهل هؤلاء القريبين منه، وكأنه لا يراهم من الأساس..

وأما الأمر بغض البصر، فإنما يكون في لحظة وقبيل الهجوم حيث يطلب فيها أن لا يتمكن العدو من فهم تعابير العيون، ولا يستفيد منها معان يأنس لها، أو يتلمح ويستشعر في بريق عيني هذا، أو ذاك حيرة وترددا، أو ما يفيد انبهاراً بالعدد والعدة، أو خوفاً ورعباً، فإن ذلك يمثل ثغرات يمكن للعدو أن يبادر إلى الإستفادة منها بتركيز ضغوطه وضرباته على هؤلاء، فيحدث إرباكاً في صفوف أهل الايمان، وربما تتطور الأمور إلى ما هو أبعد وأسوأ من ذلك.

ولذلك تجد: أنه «عليه السلام» قال لأصحابه في وصايا أخرى: «والحظوا الشزر» وهو اللحظ بطرف العين على سبيل التغيظ والوعيد.. لأن ذلك من شأنه أن يرعب العدو، كما أنه يمثل بحد ذاته نوعاً من غض البصر المطلوب في هذا المقام.

6 ـ واعلم أن النصر من الله:

وبيت القصيد يكمن في الفقرة الأخيرة، وهي قوله «عليه السلام»: «واعلم أن النصر من الله..»، فإن الأمر إذا كان بيد الله سبحانه، فإنه تعالى لا يختار لعباده الصالحين إلا الخير والصلاح، فإذا تيقن المؤمن هذه الحقيقة، فسوف يصبح النصر والشهادة عند

الإنسان المؤمن سيان.. فهو يعمل بوظيفته الشرعية، ثم هو يرضى ما يرضاه الله تعالى له، تماماً كما قال الحسين «عليه السلام»: «رضى الله رضانا أهل البيت»[1].

بل المؤمن يرى أنه منتصر على كل حال، لأنه يرى أن الجهاد عبادة، وأن الشهادة فوز وسعادة وأن النصر كرامة ومستفادة..

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان النصر من الله سبحانه، فإنه لا يشعر بالقلق بسبب النقص في العدد والعدة، ولا ترهبه الخيل والرجال والسلاح، لأنه لا يرى أنها هي التي تأتي بالنصر والنجاح، وهذا ما يجعله يعيش السكينة والرضا في جميع أحواله.

ومهما يكن من أمر، فقد بقيت فقرات من هذا النص، أشرنا إلى بعض ما يرتبط بها في كلام سابق لنا فلا نعيد.

لا خير في الحرب إذا لم توقد:

وقد رأينا أن علياً «عليه السلام» لما أمر ابنه محمد بن الحنفية

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج44 ص367 واللهوف لابن طاووس ص38 وكشف الغمة ج2 ص239 ومعارج الوصول للزرندي الشافعي ص94 ومثير الأحزان ص29 ولواعج الأشجان ص70 ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص86 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص207 عن مقتل الخوارزمي ج1 ص186 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص217.

بالتقدم وكان صاحب رايته يوم الجمل قال له:

اطعن بها طعن أبيك تـــحـــمـــد لا خـــيـــــر فـــي الحـرب إذا لـم توقد

وهذا كلام هام وله دلالاته وآفاقه.. فلاحظ ما يلي:

1 - إن الحاجة إلى القدوة لا تنحصر في حالات السلم، بل لا بد من القدوة حتى في الحرب، وفي أساليبها، وفي مظاهرها، وحتى في مستوى التصميم والجدية فيها، وغير ذلك.. ولذلك قال «عليه السلام»: اطعن بها طعن أبيك، فإن طعن علي «عليه السلام» في الحروب يجب أن يقتدى به، سواء في طرائقه، أو في حدته وشدته، أو في اختيار مواضع الطعن، أو في غير ذلك..

وهذا النص يظهر: أن ميزات طعن علي «عليه السلام» كانت معروفة عند الناس.

2 - هناك طعن يحمد، وطعن لا يحمد.. ويبدو أن من أهم ميزات الطعن المحمود أنه طعن حاد وناري، وسريع، من شأنه أن يؤجج نار الحرب، ويزيد في حركة العناصر المشاركة فيها، ويمثل هذا الطعن وقوداً لها، فيحترق بها من يحترق، ويسقط من يسقط.

3 - إن هذا النوع من الحرب، يجعل الحرب مثمرة، وحاسمة، ومحققة للأهداف المتوخاة منها، ويسرع في حسمها وتحقيق النتائج والأهداف منها.. أما المطاولة في الحرب والتراخي فيها، فإنه سينتهي إلى تأكيد الشعور لدى المقاتلين بحب السلامة منها، وبفسح المجال

للتفكير في الأساليب الموصلة إلى ذلك.. ويهيء للمساومات التي تدعو إلى تضييع بعض ما لا ينبغي تضييعه، وإلى التفريط، بما كان ينبغي عدم التنازل عنه.

4 - إن الحرب الناجحة هي تلك التي تستخدم فيها جميع أنواع الأسلحة، حتى لا يعطي الطرف الآخر فرصة لتركيز تفكيره على سلاح بعينه، ليستحضر مجالات استعماله، وسبل التوقي منه، أو اقتناص العدو فرص تحريكه في الإتجاه المعاكس.

ملحـــــق:

لا تذهب نفسك عليهم حسرات..

اتقوا سيف الأشتر، وجندب بن زهير:

1 - روى محمد بن عبد الله بن عبيد، عن عمرو بن دينار، عن صفوان: لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

يا معاشر شباب قريش! أراكم قد لججتم، وغُلبتم على أمركم هذا، وإني أنشدكم الله أن تحقنوا دماءكم، ولا تقتلوا أنفسكم.. اتقوا الأشتر النخعي، وجندب بن زهير العامري، فإن الأشتر نشر درعه حتى يعفو أثره(1)، وإن جندباً يخرم درعه حتى يشمر عنه(2)، وفي رايته علامة حمراء.

فلما التقى الناس أقبل الأشتر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح، حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ومعبد بن زهير

---

(1) عفا أثره: ذهب وزال وانمحى.

(2) يشمر: يرتفع.

بن خلف بن أمية.

وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال: أتركك لعائشة[1]..

2 - وروى محمد بن موسى، عن محمد بن إبراهيم، عن أبيه قال: سمعت معاذ بن عبيد الله التميمي، وكان قد حضر الجمل يقول:

لما التقينا واصطففنا نادى منادي علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

يا معاشر قريش! اتقوا الله على أنفسكم، فإني أعلم أنكم قد خرجتم وظننتم أن الأمر لا يبلغ إلى هذا، فالله الله في أنفسكم، فإن السيف ليس له بقيا، فإن أحببتم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء القوم، وإن أحببتم فإليَّ، فإنكم آمنون بأمان الله.

فاستحيينا أشد الحياء، وأبصرنا ما نحن فيه، ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتى قتل من قتل منا..

فوالله، لقد رأيت أصحاب علي «عليه السلام» وقد وصلوا إلى الجمل، وصاح منهم صائح: اعقروه، فعقروه فوقع، فنادى علي «عليه السلام»[2]:

---

(1) الجمل للمفيد ص364 و (ط مكتبة الداوري) ص194 والإصابة ج1 ص248 ولباب الآداب ص187 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص210.

(2) الجمل للمفيد ص364 و 365 و (ط مكتبة الداوري) ص195 وأهل البيت

«من طرح السلاح فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن». فوالله ما رأيت أكرم عفواً منه[1].

3 - وروى سليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمي قال: قال ابن الزبير: إني لواقف في يمين رجل من قريش، إذ صاح صائح: يا معشر قريش! أحذركم الرجلين: جندب العامري، والأشتر النخعي[2].

وروى الطبري عن عبد الله بن الزبير قال: وقف علينا شاب، فقال: احذروا هذين الرجلين، فذكره. وعلامة الأشتر: أن إحدى قدميه بادية من شيء يجد بها.

قال: لما التقينا قال الأشتر: لما قصد لي سوى رمحه لرجلي.

في الكتاب والسنة للريشهري ص262 وفي هامشه عن: الجمل ص365 وراجع: مروج الذهب ج2 ص378 والأخبار الطوال ص151 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص183 وشرح الأخبار ج1 ص395.

(1) الجمل للمفيد ص365 و (ط مكتبة الداوري) ص195 وفي هامشه عن أنساب الأشراف ص262 والأخبار الطوال ص151 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص183 والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص536 وشرح الأخبار ج1 ص395 وأمالي المفيد ص25.

(2) الجمل للمفيد ص365 و (ط مكتبة الداوري) ص195 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص211 والإصابة (ط دار الكتب العلمية - بيروت) ج1 ص612 وتاريخ مدينة دمشق ج11 ص307 وأعيان الشيعة ج4 ص244.

قلت: هذا أحمق. وما عسى أن يدرك مني لو قطعها ألست قاتله؟!

فلما دنا مني جمع يديه في الرمح ثم التمس به وجهي، قلت: أحد الأقران[1].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

علي × هو الذي أمر مناديه:

1 - لا شك في أن أحداً لا يقدم على النداء، بتحذير العدو من سيف الأشتر وجندب بن زهير، إذا لم يأخذ الموافقة من أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو بالأحرى إذا لم يُصْدِر له «عليه السلام» الأمر بالنداء بذلك..

فكيف إذا كان النص المتقدم برقم [2] يصرح بقوله: «لما التقينا واصطففنا نادى منادي علي بن أبي طالب «عليه السلام»: اتقوا الله على أنفسكم إلخ..».

ولعل هذا كان أول نداء من نوعه في تاريخ الحروب بين البشر، إذ لم نعهد أن أحداً حذَّر عدوه من التعرض للقتل على يد فرسان أصحابه..

2 - إنه قد جعل لهم علامة يعرفون بها هذا وذاك، فكانت علامة

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص520 و (ط الأعلمي) ج3 ص529 و530.

الأشتر حسب نص الطبري هي: أن رجله بادية لأجل شيء فيها يمنعه من سترها وجمعها ـ كما ذكره الطبري.

وعلامة جندب هو درعه، وعلامة حمراء في رايته..

وهذا غاية الإرفاق منه «عليه السلام» بأعدائه، ومنتهى الرحمة لهم. وهذا وحده كان ينبغي أن يمنعهم عن حربه، ويقودهم إلى طاعته، فإنه لهم أكثر من والد رحيم.

لماذا خاطب شباب قريش؟!:

ويبدو لنا: أنه إنما خاطب شباب قريش، بهذه الصورة العلنية، للأسباب التالية:

أولاً: ليسمع الناس أن المشكلة هي في قريش، وأن اللجاجة هي التي أوصلتهم إلى هذا الموقف الصعب، وليست هي اليقين، والاعتقاد ولذلك قال لهم في ذلك النداء: «أراكم قد لججتم»..

كما أن قادتهم وهم عائشة وطلحة والزبير قد ساقوا الأمور حتى بلغت حداً لم يكن شباب قريش يتوقعون بلوغها إليه، كما صرحت الرواية رقم [2].

ثانياً: إن تردد شباب قريش في المشاركة في الحرب، أو انقسامهم على أنفسهم بين مؤيد لها ومعارض. ومتخلٍ ومنصرف عنها من شأنه أن يزعزع الجيش ويصيبه بالشلل والفشل ويزرع بذور الاختلاف فيه.. ولن يعود قادراً على خوض حرب مضمونة

النتائج.

ولو دخل في الحرب والحالة هذه، فلن يكون لديه من الحدة والشراسة، ما يوجب وقوع ذلك الحجم الكبير من الخسائر التي يتوقع حصولها لو بقي الأعداء على ما هم عليه من التماسك والتصميم..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» يريد أن يعرف القرشيين ويعرف غيرهم أيضاً: بأنه لا يسعى لمناوأتهم، ولا يسره قتلهم، ولا يعاديهم من منطلقات عشائرية وقبلية، وأن حربهم للإسلام ولنبيه في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا تمنع من إجراء سياسة العدل فيهم بعده، ومعاملتهم بالحق، بعد أن أظهروا الدخول في الإسلام. لأن المطلوب في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو دفع أذاهم وحفظ الإسلام وأهله، وقد تحقق ذلك.

فلا يظنن أحد منهم، أو من غيرهم أن علياً «عليه السلام» يحقد عليهم، ويريد أن ينتقم منهم، وأن مشاعره العشائرية هي التي تملي عليه التصلب في مواقفه ضدهم.. بل هو بعد أن كفوا أيديهم وانكفأوا عن حروبهم العلنية للإسلام وأهله.. وأظهروا الإسلام صار يعاملهم ـ كما يعامل أي مسلم آخر ـ بمنطق الأخوة الإسلامية والصفح، والرفق.. ويحرص على حياتهم كما يحرص على حياة أي مسلم آخر.

وبالرغم من أنهم هم الذين قصدوه بالقتال، فإنه لم يزل يحتج عليهم، ويعظهم، ويظهر لهم المعجزات والكرامات، والدلائل والشواهد ليرجعوا عن قرارهم، فلم تفلح كل جهوده في إقناعهم

بذلك..

وها هو حين رأى تصميمهم الأكيد على حربه، يحاول أن يحفظ حياتهم، حتى بعد إشعالهم نار الحرب.. ويسدي لهم النصائح، ويعرفهم على مواقع الحظر والضرر لهم، وهذا ما لم يعرف التاريخ البشرى له مثيلاً على الإطلاق..

بل هو قد دلهم على العلامات والدلائل التي يعرفون بها مواضع الخطر على حياتهم ليتجنبوها.. وليتجنبها سائر من يسمعها من الجيش الذي جاؤوا به لقتاله..

فيقول لهم: إن الأشتر ينشر درعه حتى يعفو أثره. أما جندب فهو يخرم درعه حتى يشمر عنه. ثم أعطاهم علامة أخرى يمكن للناس أن يروها، وهي علامة حمراء في راية جندب..

الأمان لشباب قريش وآثاره:

ثم تمادى الأمر في هذه القرارات العلوية التخفيفية لشباب قريش حين عرض عليهم، إما الإنصراف، ويتركوه ليحاكم هو هؤلاء القوم، أو اللجوء إليه، وهم آمنون بأمان الله..

ومن الطبيعي: أن يترك هذا العرض على القرشيين أثره العميق، فقد اعترفوا بأنهم حين سمعوا ذلك استحيوا أشد الحياء، وأبصروا الحقيقة، أيقنوا أنه «عليه السلام» لا يعاملهم بما يستحقونه.. ولكنهم كانوا محرجين من عائشة.. فقاتلوه، فقتل منهم من قتل، وأزهقت

الأرواح وقطعت الأيدي، والأرجل، وبقرت البطون حتى عقر الجمل..

فبادر إلى إعلان إنتهاء الحرب، وأعطى الأمان للناس والعفو عنهم، مع أنهم كانوا يتوقعون القصاص والعقوبة. فلم يكن أكرم عفواً منه..

أتركك لعائشة:

وقد تقدم: أن الأشتر وجندب أقبلا حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ومعبد بن زهير بن خلف بن أمية، ثم عمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال: أتركك لعائشة..

ولكن الأشتر حين لقي عبد الله بن الزبير لم يتركه لأجل عائشة، بل أراد قتله، وعاركه حتى صرعه، وجلس على صدره.. ولكن ابن الزبير أفلت منه، لأن الأشتر كان طاوياً.. ـ أي بلا طعام ـ منذ ثلاثة أيام..

ونحن لا نشك في إخلاص جندب لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنه يعرف أن ابن الزبير يستحق القتل، لأنه من رؤوس الفتنة، ولكنه كان يعرف محبة عائشة لعبد الله، فلعله تأثر بالنداء الذي أطلقه «عليه السلام» لشباب قريش، وفهم أن مطلوب علي «عليه السلام» هو مجرد درء الفتنة وليس الإمعان في القتل.. فأراد أن يعطي إشارة لعائشة مفادها: أنها إن تراجعت وخففت من لهجتها

التحريضية، وعملت على الإنسحاب من تلك المعركة، فلن تعامل هي وأتباعها بالشدة والقسوة، وستجد فرصة لحفظهم حتى لو كان عبد الله بن الزبير، بالرغم من أنه من رؤوس الفتنة، الذين لا يستحقون الرفق فضلاً عن العفو.

أما الأشتر، فلعله كان يرى أن عائشة لا تتأثر بأمثال هذه الأمور، لأن حقدها على علي «عليه السلام» وحرصها على قتله، ولو عن طريق الصدفة أو كسر شوكته لا يبقى لها مجالاً للتفكير بالخروج من الحرب، بأي نحو كان..

بل لعلها كانت لا تمانع بالمخاطرة حتى بأحب الناس إليها، وهو ابن أختها إن كان ذلك يحقق لها هذه الرغبة.

ولكنها أرادت أمراً، وأراد الله غيره، فكان ما أراده الله تعالى لا ما أرادته عائشة..

لماذا هذا النداء؟!:

أما لماذا هذا النداء من الأساس، فيمكن تلخيص أسبابه ضمن الأمور التالية:

1 - إنه «عليه السلام» كان يعلم: أن حسم الأمر مع هؤلاء القوم ليس سهلاً، وأن الخسائر ستكون كبيرة وكبيرة جداً، ولا سيما مع وجود عائشة معهم، وهي زوجة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب.

ومع وجود تيمي على رأس الجيش، وهو طلحة. وتيم هي قبيلة أبي بكر.. ومع وجود الزبير، وهو ابن عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ومع وجود الأخطبوط الأموي المتمثل بمروان، وعبد الله بن عامر، وأبناء عثمان بن عفان وغيرهم كثير..

ومع رفع شعارٍ يجتذب إليه البسطاء والسذج، وهو شعار الأخذ بثارات عثمان. الذي يقولون للناس: إنه قتل مظلوماً.. ويزعمون: أن علياً «عليه السلام» يحمي قتلته، ويمنع من الوصول إليهم..

إن ذلك كله يصعِّب هذه الحرب، ويجعل الحرص على النكاية فيها، وعلى بذل المهج، وخوض اللجج كبيراً جداً، وبلا حدود يقف عندها..

2 - إن علياً «عليه السلام» كما يريد أن يحفظ الدين وأحكامه وشرائعه، وحقائقه، يُريد أيضاً أن يحفظ الناس، ويخفف من معاناتهم. ويحد من ويلات الحرب وتداعياتها، وآثارها على الناس..

وهو يعلم: أن العربي لا يغفر قضية الدم ولا يتجاوزها.. وعلى أساسها يتقرر مصير العلاقات بين القبائل، وتتحدد المواقف، وقد يمتد العداء الثأري بين القبائل أجيالاً عديدة، وأزماناً مديدة، وربما يحاول بعض الطامحين أن يستفيدوا من هذا العنصر الحساس في الوصول إلى مآربهم السياسية..

والإمام علي «عليه السلام» يريد أن يقيم مجتمعاً إيمانياً متكافلاً

ومتماسكاً يكون كالجسد الواحد.. فلا بد أن يعمل على حصر قضايا الدم في أضيق دائرة ممكنة.

ولأجل ذلك: اتخذ «عليه السلام» هذا الإجراء، وأرسل بالمنادي ينادي في جيش الناكثين: بأن عليهم أن يتحاشوا سيف رجلين كانا من أهم القادة في تلك الحرب، وهما: الأشتر وجندب بن زهير، وذلك لأن المطلوب له «عليه السلام» هو مجرد درء للفتنة، وإخماد نارها بأقل الخسائر..

3 - إن هذا النداء من شأنه أن يضعف من روحيات جيش الناكثين، فصولات علي «عليه السلام» مخوفة ومهولة، فإذا انضمت إليها صولات هؤلاء ورأى أصحاب الجمل أن عليهم تحاشي الصدام مع هؤلاء، فإن روحياتهم سوف تضعف وسيجدون رغبة قوية في التخلص من هذه الورطة التي أوقعوا أنفسهم فيها..

الفصل

انتظار الزوال.. ونزول الملائكة

ما أشبهه بأخيه:

عن الزهري، عن سالم بن أبي الجعد قال: فلما كان حرب الجمل أقبلت عائشة في هودج من حديد، وهي تنظر من منظر قد صُيِّر لها في هودجها، فقالت لرجل من ضبَّة، وهو آخذ بخطام جملها، أو بعيرها: أين ترى علي بن أبي طالب؟!

قال: ها هو ذا واقف رافع يده إلى السماء..

فنظرت، فقالت: ما أشبهه بأخيه!

قال الضبي: ومن أخوه؟!

قالت: رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فلا أراني أقاتل رجلاً هو أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فنبذ خطام راحلتها من يده، ومال إليه[1].

---

(1) المحاسن والمساوي للبيهقي ج1 ص35 و (ط أخرى) ص49 والغدير ج3

ونقول:

1 - إن أبواب هدايات البشر متفاوتة، فلكل واحد منهم باب يضعه على طريق هداية، يوصله إلى الله تعالى.

ولعل إلى هذا يشير الحديث المأثور الذي يقول: إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق(1).

ولعل هذا الضِّبي قد سمع من أفواه الرجال الكثير من الكلام الذي من شأنه لو فتح قلبه له أن يدله على الحق.. ويهديه إلى أهله..

ولكن كل ما سمعه ورآه، وعرفه عن علي وفي حقه «عليه السلام»، وعن البيعة ومن هو الذي نكثها، ومن خرج على إمامه، وغير ذلك.

نعم، إن كل ذلك لم ينفعه، وإنما نفعته كلمة عائشة هذه، وفتحت بصيرته على واقع وجد نفسه مضطراً للإنصياع إليه.

2 - لا شك في أن هذا من لطف الله وتوفيقاته لهذا الرجل.. وهو من المفارقات العجيبة، من حيث إن العدو كان هو الذي هدى الناس

ص121 وموسوعة الامام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص208.

(1) راجع: بحار الأنوار ج64 ص137 وتفسير الآلوسي ج1 ص396 وج6 ص165 وج14 ص160 وج27 ص109 وحقائق الإيمان للشهيد الثاني ص174 والفتوحات المكية لابن العربي ج3 ص411.

إلى حق عدوه، من حيث لا يشعر..

3 - إننا نأسف كثيراً أن لا تكون عائشة المرأة الذكية، هي التي أدركت هذا المعنى البديهي الذي أدركه ذلك الضبي بفطرته ووجدانه، وقاده إلى الجنة، فلو أن ذلك قد حصل، لكانت قد وفرت على الأمة الإسلامية كارثة هائلة وحرباً ذهب ضحيتها عشرات ألوف القتلى، تركت آثارها البغيضة على أهل الإسلام إلى يومنا هذا..

فعل علي × كفعل رسول الله ′ :

ونظرت عائشة إلى علي «عليه السلام» وهو يجول بين الصفين، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله يوم بدر!، أما والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس.

فقال علي «عليه السلام»: يا عائشة، عما قليل لتصبحُنَّ نادمين.

فجد الناس في القتال، فنهاهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقال: اللهم إني أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين.

ثم أخذ المصحف وطلب من يقرأ عليهم: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..)**[1] الآية.

فقال مسلم المجاشعي: ها أنا ذا، فخوفه بقطع يمينه وشماله وقتله.

---

(1) الآية 9 من سورة الحجرات.

فقال: لا عليك يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله.

فأخذ المصحف ودعاهم إلى الله، فقطعت يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى، فقطعت، فأخذه بأسنانه، فقتل.

فقالت أمه:

يـــا رب إن مسلمـــاً أتـــاهـــم بـمـحكم التنزيـل إذ دعـاهـم

يتلـو كتـاب الله لا يـخشـاهـم فـزمـلـوه زمـلت لـحـاهـم

فقال «عليه السلام»: الآن طاب الضراب[1].

بدء القتال:

ثم صبر سويعة، فصاح الناس من كل جانب من وقع النبال، فقال «عليه السلام»: تقدم يا بني.

فتقدم وطعن طعنا منكراً، وقال:

إطـعن بها طعن أبيك تـحـمـد لا خـيـــر فـــي حـــرب إذا لـم توقد

بالمـشـرفي والـقـنـا الـمسدد والضرب بالـخطي والـمـهـنـد

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص341 وبحار الأنوار ج32 ص174 عنه.

وحديث عرض مسلم المجاشعي القرآن على جيش عائشة، وما جرى له ذكرناه في فصل مستقل، وربما كان وضعه هنا أنسب.

فأمر الأشتر أن يحمل، فحمل. وقتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل، وكان زيد يرتجز ويقول:

ديني ديني، وبيعي بيعي..

وجعل مخنف بن مسلم يقول:

قد عشت يا نفس وقد غنيت دهراً وقبل اليوم ما عييت

وبعد ذا لا شك قد فنيت أما مللت طول ما حييت

فخرج عبد الله بن اليثربي قائلاً:

يا رب إني طالب أبا الحسن ذاك الذي يعرف حقاً بالفتن

فبرز إليه علي «عليه السلام» قائلاً:

إن كنت تبغي أن ترى أبا الحسن فاليوم تلقاه ملياً فاعلمن

وضربه ضربة مجرفة [بحرفة].

فخرج بنو ضبة وجعل بعضهم يقول:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل والموت أحلى عندنا من العسل

ردوا علينا شيخنا بمرتحل إن علياً بعد من شرّ النذل

وقال آخر:

نحن بنو ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف فيهم

بالوصي[1]

ونقول:

لا بأس بالإشارة إلى ما يلي:

آية البغاة:

كنا قد ذكرنا حديث مسلم المجاشعي، وعرضه القرآن على أصحاب الجمل، وقتلهم إياه على ذلك النحو الفظيع والمؤلم ـ وربما كان الأنسب وضع ما ذكرناه حول هذا الأمر هنا ـ ولكننا نحب لفت النظر هنا إلى خصوصية ذكرتها الرواية السابقة. وهي تنصيص الرواية على أنه «عليه السلام» قد طلب قراءة القرآن عليهم، وبالتحديد قوله تعالى: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)[2]**.

ونقول:

إن التأمل بالآية يعطي: أنها إنما تتحدث عن حالة اقتتال بين فريقين من المؤمنين تعقبها محاولة صلح.. وربما يكون المقصود هو

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص341 وبحار الأنوار ج32 ص174 و 175 عنه.

(2) الآية 9 من سورة الحجرات.

حصول الإقتتال بسبب سوء تفاهم، بسبب اختلاط الأمور على المتقاتلين، ولم يحصل في حرب الجمل اقتتال على هذا النحو، بل كان هناك تعمد للباطل من طرف واحد، فالبغي ظاهر وحاصل من أول الأمر، فالمورد من مصاديق ذيل الآية، وهو قوله: **(فَقَاتِلُوا)**. وليس من موارد **(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)**.

ولعله «عليه السلام» أراد أن يراعي خواطر عامة الناس في الجمل، بافتراض أنهم لا يتعمدون الباطل، وإنما أساؤوا فهم الأمور، فيمكن التوضيح والبيان، وبعد ذلك يمكنهم التراجع.. وبذلك يبقي بعض الصلة بينه وبينهم، ليرجع من يرجع منهم مع احتفاظه ببعض ماء الوجه.. وإلا فإن الأمور إذا كانت واضحة لهم، ويتعمدون الخروج إلى إمامهم المنصوص عليه من قبل الله، ولا يقيمون للآيات ولا لقول الرسول وزناً، فإن أمرهم يصبح شديداً جداً، ويصبح حكمهم القتل لتكذيبهم الله ورسوله، فضلاً عن حكم من يخرج على إمامه هو القتل.

علي × والإمداد بالملائكة:

قال الطوسي «رحمه الله»:

1 - المفيد عن عمر بن محمد الصيرفي، عن محمد بن القاسم، عن جعفر بن عبد الله المحمدي، عن يحيى بن الحسن بن فرات، عن المسعودي، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي محمد العنزي قال: حدثني ابن عمي أبو عبد الله العنزي قال:

إنَّا لجلوس مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» يوم الجمل، إذ جاءه الناس يهتفون به: يا أمير المؤمنين، لقد نالنا النبل والنشاب.

فسكت. ثم جاء آخرون فذكروا مثل ذلك، فقالوا: قد جرحنا.

فقال علي «عليه السلام»: يا قوم، من يعذرني من قوم يأمرونني بالقتال، ولم ينزل بعد الملائكة!!

فقال: [العنزي]: إنَّا لجلوس وما نرى ريحاً ولا نحسها، إذ هبت ريح طيبة من خلفنا، والله لوجدت بردها بين كتفي من تحت الدرع والثياب.

قال: فلما هبت صب أمير المؤمنين درعه، ثم قام إلى القوم، فما رأيت فتحاً كان أسرع منه.

وعن أبي عبد الله الغنوي مثله(1).

2 - وحين استشهد علي «عليه السلام» الناس على قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، أمر نسائي بيدك من بعدي» بكت عائشة حتى سمعوا بكاءها. فشهد بذلك ثلاثة عشر رجلاً.

فقال علي «عليه السلام»: لقد أنبأني رسول الله «صلى الله عليه

---

(1) الأمالي للطوسي ج1 ص213 و (ط دار الثقافة) ص209 وبحار الأنوار ج32 ص205 و 206 عنه، ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص79 ومدينة المعاجز ج2 ص303 وكشف الغمة ج2 ص21 والخرائج والجرائح وج1 ص214.

وآله» بنبأ وقال: يا علي، إن الله يمدك بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[1].

ونقول:

علينا أن نشير هنا إلى بعض الأمور، وهي التالية:

سكوت علي ×:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه «عليه السلام» قد سكت أولاً حين طالبوه بمباشرة القتال، بالرغم من إخبارهم إياه بأن النبل والنشاب قد نالهم.. حتى جاءته جماعة أخرى وأخبرته بأن الجراح قد نالتهم بسبب عدوان القوم عليهم، فأظهر «عليه السلام» انزعاجه من إصرارهم هذا..

ومن الواضح: أن هذا التصرف وهذه الأناة[2] منه «عليه السلام» قد جاء في وقت بالغ الحساسية، وقد رشقهم أعداؤهم بالنبل.. حيث لم يجبهم «عليه السلام» حتى أصابتهم الجراح.

وهذا من شأنه أن يثير الفضول لمعرفة سبب هذه الأناة في خصوص هذه اللحظات الحرجة، وأن يجعل كل حركة ولمحة، وكل حرف يتفوه به «عليه السلام» موضع عناية فائقة، ورصد واع لكل

---

(1) الإحتجاج للطبرسي ج1 ص240 وبحار الأنوار ج32 ص202 عنه، والإيضاح لابن شاذان ص557.

(2) الأناة: الحلم.

دلالاته ومراميه..

فكيف إذا تضمنت الإجابة النهائية إخباراً عن أمر غريب وعجيب لا يتوقعه البشر.. بل هو يمثل بالنسبة إليهم نوعاً من الإعجاز والكرامة الإلهية.. التي لا بد أن تترك أعظم الأثر على مجمل تحركهم في هذه اللحظات المصيرية؟!

نزول الملائكة:

إن إظهاره «عليه السلام» التبرم من إلحاحهم عليه بالقتال، وطلبه من الناس أن يعذروه من أولئك المطالبين له بذلك، كأنه يشير به إلى معرفة أولئك القوم بأنه ليس له أن يبدأ القتال قبل نزول الملائكة لنصرته.. فإصرار بعضهم عليه ببدء القتال قبل ذلك لا مبرر له، بل هم يستحقون اللوم على تصرفهم هذا، والردع عنه..

ولكن هذا يحتاج إلى التحقق من أن بمقدورهم معرفة نزول الملائكة حين حصوله.. فيرد سؤال:

كيف يعرفون ذلك؟! هل يعرفونه بإخباره «عليه السلام» لهم به؟! أم يعرفونه من نفس إصداره الأمر لهم بالقتال؟! أم يعرفون ذلك بعلامات محددة؟! أو برؤيتهم في صورة معينة تميزهم عن البشر؟! أم ماذا؟!

ونجيب:

بأنه لم تُظهِر لنا الروايات التي بين أيدينا ما يفيد في تأييد أو

تحديد، أو تفنيد شيء منه.. ولكننا وجدنا في الرواية المتقدمة إشارة إلى أن الريح الطيبة قد تكون هي علامة نزول الملائكة.. ولنا في بدر وأحد أمثولة تفيد بعض الشيء في هذا المجال، فإن نزول الملائكة في بدر وفي أحد وحنين وغيرها.. إنما عرف من خلال الآيات القرآنية والإخبارات النبوية.. وإن كانت بعض الروايات التاريخية تتحدث عن رؤية بعض المسلمين رجالاً عليهم ثياب بيض(1)، وبعضها أنهم بيض الوجوه(2)، وبعضها رؤية الملائكة في بدر عليها عمائم بيض، وفي حنين عمائم حمر(3)، كانوا يشاركون في قتال المشركين.

---

(1) التفسير الصافي ج2 ص332 وتفسير الثعلبي ج5 ص24 وتفسير الآلوسي ج10 ص75 وتفسير النسفي ج2 ص57.

(2) بحار الأنوار ج21 ص181 وجامع البيان للطبري ج10 ص133 والتفسير الكبير للرازي ج16 ص22 والجامع لأحكام القرآن ج8 ص99 وتفسير البحر المحيط ج5 ص26 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص358 وتفسير الثعلبي ج5 ص24 وتفسير الآلوسي ج10 ص75 وتفسير أبي السعود ج4 ص56 وراجع: إمتاع الأسماع ج2 ص16.

(3) مجمع الزوائد ج6 ص83 وعمدة القاري ج17 ص77 والمعجم الكبير ج11 ص308 وتفسير البغوي ج2 ص233 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص410 والدر المنثور ج2 ص70 وفتح القدير ج1 ص379 وتفسير الآلوسي ج4 ص46 وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص154 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص87 وإمتاع الأسماع ج2 ص16 وج3 ص322 و 332 وعيون الأثر ج1 ص341 والسيرة النبوية لابن

وبعضها تقول: إنهم رأوهم بصورة علي بن أبي طالب «عليه السلام»[1].

وخلاصة الأمر: إنه ليس لدينا ما يوضح الكثير من الخصوصيات في هذا المجال.. فلا سبيل إلى الحديث عنها إلا على سبيل التكهن والافتراض، وهو ما لا يفيد ولا يجدي، فلا معنى لإشغال النفس به..

ولكننا على يقين من أن ما يقوله «عليه السلام»، أمر واقع بلا ريب، وإن جهلنا تفاصيله، وأوقاته، أو كيفياته وحالاته..

أمر نسائي بيدك:

وقد لاحظنا في النص المتقدم: إشارة إلى موضوع طلاق نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بعد وفاته.. حيث ذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»:

«يا علي، أمر نسائي بيدك ».

ولا بد أن يكون هذا الكلام قد نزل مثل الصاعقة على عائشة، وأن يزعزع أركانها ويهز كل كيانها، ويزلزل وجودها من الأعماق..

هشام ج2 ص462 والسيرة الحلبية (ط دار الأعلمي) ج2 ص425 والثقات لابن حبان ج1 ص168.

(1) الخرائج والجرائح ج2 ص812 وبحار ج19 ص285 وج41 ص99 والفصول المختارة ص295 ومدينة المعاجز ج2 ص304 و 306 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص79 والدرجات الرفيعة ص405.

لأنها إنما تستغل نفس هذه العلاقة في تسويق الحرب وجمع الناس ضد علي «عليه السلام»، وهي رصيدها في كل هذا النشاط الذي تقوم به. وفي مجمل حركتها.. فإذا فقدت هذه العلاقة فقد فقدت كل شيء..

ولذلك بكت عائشة لما قال لها علي «عليه السلام» ذلك حتى سمع الناس بكاءها.

عائشة لم تكذِّب علياً ×:

واللافت هنا:

أن عائشة لم تناقش في صحة ما قاله علي «عليه السلام» عن جعل النبي «صلى الله عليه وآله» أمر نسائه بيده.. بل هي طيلة حياتها لم تضع أية علامة استفهام على ما قاله «عليه السلام».

كما أنها لم تنبس ببنت شفة فيما يرتبط بما أخبر الناس عن أن الله تعالى سوف يمده بخمسة آلاف من الملائكة مسومين..

ولو تمكنت من إنكار شيء من ذلك، أو التشكيك فيه لبادرت إلى ذلك في نفس تلك اللحظة إذ لا عطر بعد عروس..

يضاف إلى ذلك: أن كلمة «مسومين» تشير إلى أن ما يجري في حرب الجمل هو على حد ما جرى في حرب بدر، فإن الله تعالى قد أمدهم بألف من الملائكة، فلما صبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أيضاً..

وهذا يشير إلى أن نظرة علي «عليه السلام» تجاه الناكثين كانت على درجة كبيرة من الخطورة، حيث اعتبرهم بمثابة المشركين في بدر، وأن علياً «عليه السلام» ومن معه هم مثل النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بدر وسواها..

ولكن أتباع أم المؤمنين، ومحبي طلحة والزبير، وسائر الناكثين لم يفتهم التلاعب بالنصوص هنا، وكانوا أكثر جرأة وبراعة حين تخلصوا من مشكلتها بتغيير بسيط، فقد رووا نفس رواية الريح الطيبة، واقتصروا على فقرة هبوب الريح، وحذفوا من الرواية ما صرحت به من الإمداد بالملائكة، أي أنهم حذفوا المشار إليه واكتفوا باسم الإشارة.

فقد روى الواقدي، عن هشام بن سعد، عن شيخ من مشايخ أهل البصرة قال: لما صف علي بن أبي طالب «عليه السلام» صفوفه أطال الوقوف، والناس ينتظرون أمره، فاشتد عليهم ذلك، فقالوا: **حتى متى؟!**

فصفق بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: «عباد الله، لا تعجلوا، فإني كنت أرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستحب أن يحمل إذا هبت الرياح»[1].

وسيأتي بعض الحديث عن هبوب الريح، إن شاء الله تعالى..

---

(1) الجمل للمفيد ص356 و (ط مكتبة الداوري) ص190.

الباب الثاني عشر

هكذا كانت الحرب..

الفصل الأول: حرب الجمل باختصار..

الفصل الثاني: احمل على الأسنة..

الفصل الثالث: حرب الجمل في اليوم الأول: أحداث وتفاصيل..

الفصل الرابع: مع أحداث اليوم الأول..

الفصل الخامس: قتل طلحة..

الفصل السادس: قتل ابن يثربي.. وآخرين..

الفصل السابع: أحداث اليوم الثاني..

الفصل الثامن: أحداث اليوم الثالث: اقتلوني ومالكاً..

الفصل التاسع: عقر الجمل..

الفصل العاشر: عمار والأشتر.. وعائشة..

الفصل الأول:

حرب الجمل بإختصار

هكذا بدأت الحرب:

1 - قال محمد بن علي [يعني: ابن الحنفية]: فالتقينا، وقد عجل أصحاب الجمل، وزحفوا علينا، فصاح أبي «عليه السلام»: «امض».

فمضيت بين يديه أقطوا[1] بالراية قطواً.

وتقدم سرعان أصحابنا، فلاذ أصحاب الجمل، ونشب القتال، واختلفت السيوف، وأبي بين كتفي يقول: «يا بنيَّ تقدم». ولست أجد متقدماً وهو يقول: تقدم.

فقلت: ما أجد متقدماً إلا على الأسنة.

فغضب أبي «عليه السلام» وقال: «أقول لك: تقدم، فتقول: على الأسنة، ثق بالله يا بني، وتقدم بين يدي على الأسنة».

---

(1) «قطا يقطوا: ثقل مشية. والقطو: مقاربة الخطو مع النشاط. يقال منه: قطا في مشيته يقطو» راجع: لسان العرب ج15 ص189 - 190 (قطا).

وتناول الراية مني، وتقدم يهرول بها، فأخذتني حدة، فلحقته وقلت: أعطني الراية.

فقال لي: «خذها». وقد عرفت ما وصف لي[1].

2 - وفي نص آخر: عن ابن جريج، عن محمد بن الحنفية: فأدركته، وعالجته على أن يردها، فأبى علي طويلاً، ثم ردها وقال:

«خذها وأحسن حملها، وتوسط أصحابك، ولا تخفض عاليها، واجعلها مستشرفة يراها أصحابك».

ففعلت ما قال لي.

فقال عمار بن ياسر: يا أبا القاسم، ما أحسن ما حملت الراية اليوم!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: «بعد ماذا»!!

فقال عمار: ما العلم إلا بالتعلم[2].

3 - وفي نص آخر:

---

(1) الجمل للمفيد ص360 و (ط الداوري) ص191 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص234 وقال في هامشه: وراجع تاريخ الطبري ج4 ص514 والكامل في التاريخ ج2 ص339 والبداية والنهاية ج7 ص243 والأخبار الطوال ص149 ومروج الذهب ج2 ص375 .

(2) الجمل للمفيد ص361 و (ط الداوري) ص192.

فقال محمد بن الحنفية: قال لي أبي حين رأى القوم قد زحفوا نحونا: «قدم اللواء».

فقدمته. وزحف المهاجرون والأنصار.

فلما رآني القوم قد زحفت باللواء بارزاً عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد، فوقفت مكاني واتَّقيت منهم وقلت: ينقضي رشقهم في مرة أو مرتين، ثم أتقدم؛ فلم أشعر إلا وأمير المؤمنين «عليه السلام» قد ضرب بين كتفي بيده.

ثم أخذ اللواء مني بيده ونادى: «يا منصور أمت».

فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم قد زلزلت أقدامهم، وارتعدت فرائصهم، وألقى بعضهم ببعض، وتزايلوا. وقد رأت عائشة موضع كل فريق منهم(1).

4 - وتقدم عمار ومالك الأشتر مصلتين سيفهما نحو القوم، ونادى أمير المؤمنين: «يا محمد بن أبي بكر، إن صرعت عائشة فوارها، وتول أمرها».

---

(1) الجمل للمفيد ص343 و (ط الداوري) ص183 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص155 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص257 وج9 ص111.

مبارزات.. وأشعار:

فتضعضع القوم حين سمعوا ذلك واضطربوا، وأمير المؤمنين «عليه السلام» واقف في موضعه؛ ثم تراجعوا بعد تضعضعهم، ورجعت إليهم نفوسهم، ونادوا: البراز!

فتقدم رجل من بني عدي أمام الجمل وبيده السيف وهو يقول:

أضـــربـــكم ولا أرى علـــيـــاً عـمـمتـه أبـيـض مشـــرفيا
أريـح منـه قومـنـا عديـــا[1]

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» يقال له: أمية العبدي، وهو يقول:

هـذا عـلي والـــهـدى سبـيلـه والرشد فيه والتـقـى دلـيـلـه
مـن يتـبع الحق يـكـن خليـلـه

ثم اختلفت بينهما ضربتان، فأخطأه العدوي، وضربه العبدي فقتله.

فقام مقامه رجل يقال له: أبو الجرباء عاصم بن مرة من أصحاب الجمل، فقال:

أنـا أبـو الـجرباء واسمي عاصم وأمـنـا أم لـهـا مـحـارم[1]

---

(1) الجمل للمفيد ص344 و (ط الداوري) ص183 و 184 وفي هامشه عن: المناقب للخوارزمي ص187 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص156 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص264 وكشف الغمة ج1 ص242.

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يقول:

إليك إني تابع علياً وتارك أمكم مليا

إذ عصت الكتاب والنبيا وارتكبت من أمرها فريا

وضربه فقتله.

فقام مقامه رجل من أصحاب الجمل يقال له: الهيثم بن كليب الأزدي وهو يقول:

نحن نوالي أمنا الرضية وننصر الصحابة المرضية

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين وهو يقول:

دليلكم عجل بني أمية وأمكم خاسرة شقية

هاوية في فتنة عمية

وضربه ففلق هامته وخرَّ صريعاً.

وبرز من بعده عمرو بن يثربي، وكان من شياطين أصحاب الجمل فنادى: هل من مبارز؟!

فبرز إليه علباء بن الهيثم، فاختلفت بينهما ضربتان، فقُتل علباء

---

(1) جمهرة النسب ص266 وفيه: أبو الجربا عاصم بن دلف، وتاج العروس ج2 ص155 (جرب).

«رحمه الله»، فقام مقامه هند بن المرادي، فبادره بالسيف فاتقاه، وضربه عبد الله بن الزبير فشغله بنفسه، وثناه هند بن يثربي[1].

لا يظهر الدم على سيف علي ×:

5 - وقال محمد بن الحنفية، عن أبيه علي «عليه السلام»:

ثم تقدم بين يدي، وجرد سيفه، وجعل يضرب به، ورأيته قد ضرب رجلاً، فأبان زنده، وقال: «الزم رايتك يا بني، فإن هذا استكفاء».

فرمقت لصوت أبي ولحظته، فإذا هو يورد السيف ويصدره، ولا أرى فيه دماً، وإذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم[2].

اقطع البطان:

6 - وروى محمد بن عبد الله، عن عمرو بن دينار قال: قال أمير المؤمنين لابنه محمد: «خذ الراية وامض» وعلي «عليه السلام» خلفه، فناداه: يا أبا القاسم!

فقال: لبيك يا أبة!

فقال: «يا بني لا يستفزنك ما ترى، قد حملت الراية وأنا أصغر

---

(1) الجمل للمفيد ص345 و (ط الداوري) ص184 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص244.

(2) الجمل للمفيد ص360 و (ط الداوري) ص192.

منك، فما استفزني عدوي. وذلك أني لم ألق أحداً إلا حدثتني نفسي بقتله، فحدث نفسك بعون الله تعافى بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضعف النفس باليقين؛ فإن ذلك أشد الخذلان».

قال: قلت: يا أبة، أرجو أن أكون كما تحب إن شاء الله.

قال: «فالزم رايتك، فإذا اختلطت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك، فإن لم تر أصحابك فسيرونك».

قال: والله إني لفي وسط أصحابي، فصاروا كلهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردهم عني. وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم، فما شعرت إلا بأبي من خلفي قد جرد سيفه وهو يقول: «لا تقدم حتى أكون أمامك».

فتقدم «عليه السلام» بين يدي يهرول، ومعه طائفة من أصحابه، فضربوا الذين في وجهي حتى أنهضوهم، ولحقتهم بالراية، فوقفوا وقفة، واختلط الناس، وركدت السيوف ساعة، فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم أمامه، فأردت أن أجول فكرهت خلافه، ووصيته لي: لا تفارق الراية؛ حتى انتهى إلى الجمل، وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبة، والأزد، وتميم وغيرهم، فصاح: «اقطعوا البطان»!

فأسرع محمد بن أبي بكر «رحمه الله» فقطعه، واطَّلع على الهودج.

فقالت عائشة: من أنت؟!

قال: أبغض أهلك إليك.

قالت: ابن الخثعمية؟![1].

قال: نعم، ولم تكن دون أمهاتك.

قالت: لعمري، بل هي شريفة دع عنك هذا، الحمد لله الذي سلمك.

قال: قد كان ذلك ما تكرهين.

قالت: يا أخي، لو كرهته ما قلت ما قلت.

قال: كنت تحبين الظفر وإني قتلت.

قالت: قد كنت أحب ذلك، لكن لما صرنا إلى ما صرنا إليه[2] أحببت سلامتك لقرابتي منك، فاكفف ولا تعقب الأمور، وخذ الظاهر، ولا تكن لومة ولا عذلة[3]، فإن أباك لم يكن لومة ولا عذلة.

قال: وجاء علي «عليه السلام» فقرع الهودج برمحه، وقال: يا شقيراء! أبهذا وصاك رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قالت: يا ابن أبي طالب قد ملكت فاسجح[4].

---

(1) تعني بها: أسماء بنت عميس «رحمها الله» التي كانت زوجة أبي بكر بعد شهادة جعفر بن أبي طالب «عليهما السلام».

(2) ق، ط: إليه.

(3) «العذل: اللوم. رجل عذلة: يعذل الناس كثيراً مثل ضحكة» راجع: لسان العرب ج11 ص437 (عذل).

(4) السجح: السهولة واللين.

وجاءها عمار فقال لها: يا أماه كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف؟! فصمتت ولم تجبه[1].

تقدّم على الأسنة:

إنّ قول علي «عليه السلام» لولده محمد: «تقدم بين يديّ على الأسنة» قد يبدو غريباً لأوّل وهلة.. فهل يريد منه أن يقدم نفسه للقتل؟! وهو حامل راية الجيش كله، الذي إذا قتل انتكست رايته, وهزم الجيش الذي يرتبط بها و يراقبها؟!

و نجيب:

إنّ التردد فضلاً عن التوقف هنا غير مقبول، لأن مجرّد التردّد في مثل هذا الموقف سوف يجرّئ العدو, ويطمعه بتحقيق مكاسب ميدانيّة, ولو بمستوى ضعضعة صفوف الطرف الآخر وإرباكه, وإشغاله بالدفاع عن نفسه, بدلاً من بلورة ميل لديه إلى الهجوم, الذي يشغل العدو بنفسه، ويصرفه عن الحركة الهجوميّة, والتحوّل إلى اختيار أساليب الدفاع.

على أنّ ما يخشاه ابن الحنفيّة من التقدّم نحو العدو هو بعينه ما يخشاه العدو حين يتقدّم نحوه, فلماذا يتخلّى ابن الحنفية عن هذا الإمتياز الميداني, ويمنحه لعدوّه بلا مقابل؟!

---

(1) الجمل للمفيد ص368 و 369 و (ط الداوري) ص196 و 197.

إن اتخاذ المقاتل صفة الهجوم, يجعله يمسك بزمام المبادرة ويمكِّنه من فرض إرادته على عدوه, وحصره في النطاق الذي يريد, فإن المهاجم هو الذي يختارالأسلوب والطريقة القتالية التي تناسبه, وتريحه وتتعب عدوه وتربكه، وتحصره في نطاق معين.

وطلب «عليه السلام» من حامل راية جيشه: أن يتقدم نحو العدو يعني: أنه يريد للجيش كله أن يتقدم, ولا ينتظر الطرف الآخر أن يأتي إليه.. لأن نفس هذه الحركة تعطي الإيحاء, للعدو, بقوة المهاجم وبمدى تصميمه ووضوح الرؤية لديه، وأنه لا يجد في نفسه أي تردد أو شبهة, بل هو نافذ البصيرة في الحرب, وعلى يقين من أمره..

فإذا عاد إلى نفسه, ووجد أن الأمور ليست لديه بهذا المستوى من الوضوح, وأنه لا يملك مثل هذا اليقين, فإن تردده هذا إذا أضيف إلى يقين أعدائه بعدالة قضيتهم سيتضاعف، وسيزيد من رغبته في الخروج من هذا المأزق, ومن حبه للسلامة والنجاة..

فكيف إذا كان يرى عليّاً وابنه في طليعة المهاجمين والمقاتلين؟! ويرى أنهم غير مبالين بالموت, ولا آبهين للسيوف والأسنّة, رغبة فيما عند الله وابتغاء رضوانه؟!

الإندفاع العلويّ يخيفهم:

هذا.. ولا بأس بالتوقف عند قولهم: إن علياً «عليه السلام» تناول الراية من ولده محمد، واندفع يهرول بها نحو العدوّ, لكي يعرِّف ولده

كيف يتعامل في مثل هذا الموقف, فعرف ولده ما وصف له فردّ الراية إليه..

فإنّ هذا يعطي:

أولاً: إن سرعة الإندفاع نحو العدو إلى حد الهرولة إليه يربك ذلك العدو, ولا يدع له مجالاً للتفكير في كيفيّة التصدّي والرد, أو في طريقة استيعاب اندفاعه. أما إذا كانت الحركة بطيئة ومترددة, فإنّه سيتمكّن من رسم خطّة للتصدّي, وربما يتمكّن من التموضع الذي يجنّبه وطأة ذلك التحرّك، وسدّ الثغرات, والإستنجاد بالأشخاص, وتهيئة الوسائل التي تستوعب الهجوم, و تشتت الجهد المبذول فيه. وقد يتمكّن من نصب كمائن تلحق أضراراً بالغة بالمهاجمين..

ثانياً: إنه «عليه السلام» لم يعلّم ولده ما ينبغي أن يفعله بالوصايا والتوجيهات الكلاميّة، بل قدّم له نموذجاً عمليّاً وكاملاً غير منقوص ومستوعباً لجميع الحالات والحركات والمراحل بصورة حيّة ومباشرة..

وهذه أفضل وأمثل طريقة في التعليم, وهي تمنع من عروض التوهّمات التي قد تؤثّرعلى مستوى التركيز والدقّة في تنفيذ المطلوب، لا سيّما بالنسبة لشاب يحمل لواء الجيش كله، ولعله لم يبلغ خمس وعشرين ربيعاً، ولم يجرّب ولم يمارس الحرب بهذه الصورة, فكيف وقد أسند إليه أخطر مقام فيها, وربط به مصير الحرب، وصار هو رمز النصر أو الهزيمة للجيش كلّه؟!

ثالثاً: إذا كان علي «عليه السلام» يتولّى بنفسه حمل اللّواء, أو يولّي ولده حمله.. وإذا كان يندفع في هجومه على العدو بهذه الحدّة والشدّة، والسرعة إلى حدّ الهرولة بالرّاية، وإذا كان لا بدّ أن يندفع الجيش معه «عليه السلام» بنفس الحدّة والشدّة، فإن ذلك من شأنه أن يؤثّر على روحيّة الأعداء, ويظهر لهم حجم الأخطار التّي يعرّضون أنفسهم لها. ولم يكونوا قد حسبوا لها حساباً من قبل..

رابعا: لقد كان الحماس قد أخذ من محمد بن الحنفيّة مأخذه, وهو يرى فعل والده, فقال: «فأخذتني حدّة».

وتأكدت رغبته وحدّته، وهو يواجه امتناع أبيه عن إرجاع الرّاية إليه.

فإنّ ذلك يدلّ على لزوم إعطاء الدروس العملية والميدانية المؤثرة بعمق في نفس المتعلّمين.

كما أنّه يدلّ على مدى تأثير أهمية دور القيادة الأولى وتأثير حضورها العملي في ساحات التحدّي والنضال. وعلى أنّ مجرّد إصدار الأوامر لن يكون له الأثر الذي يتوخّاه القائد لا في حماس جنده، ولا في إحباط عزيمة عدوّه.

راية الجيش كيف نحملها؟!:

وقد أصدر «عليه السلام» توجيهاته العملية لولده محمد حول كيفية حمل الراية، وطريقة التعامل معها، وهي التالية:

1 - أن يحسن حملها.

2 - أن يتوسط أصحابه بها.

3 - أن لا يخفض عاليها.

4 - أن يجعلها مستشرفة يراها أصحابه.

ولنا أن نوضح هذه النقاط على النحو التالي:

أولاً: إن لطريقة حمل الراية أثراً في نفوس الذين يراقبونها، فإن رأوا أنها تضطرب تارة وتستقر أخرى.

أو تميل إلى اليسار تارة، وإلى اليمين أخرى.

أو أنها تنخفض وترتفع، فإن ذلك يثير البلبال في صدورهم، ويوهم الكثيرين أنها تتعرض لضغوط صعبة من قبل الأعداء، وتجعلهم يتوجسون خيفة من أن تسقط، وتتهاوى أمام ضربات الأعداء. وينتظرون لحظة هذا السقوط الهائل، ويتوقعونه.

أما إذا استقرت الراية، وظهر للناس ثباتها، واستقرارها، فإنهم ينصرفون إلى بذل الجهد في المنازلة الميدانية، بجنان ثابت، وعزم قوي.

ثانياً: إن وجود الراية في وسط الأصحاب، يفقد الأعداء فرصة الإلتفاف عليها، والوصول إليها من الجهة التي تمثل نقطة ضعف، بسبب انحسار المقاتلين عنها، أو لقلة تواجدهم فيها. فإن الراية تمثل هدفاً رئيسياً وطبيعياً للأعداء، فهم يلاحقونها أينما وجدت، فغيابها عن

وسط الميدان يجعل ضغوطهم تتمركز بصورة طبيعية في الجهة التي تتواجد فيها، فإذا كانت تلك الجهة ضعيفة من حيث العدد والعدَّة فلا بد أن تسقط مقاومتها أمام كثرة الأعداء، وشدة تركيزهم عليها.

ثالثاً: إن خفض القسم العالي من الراية، ولو بأن ينيمها بصورة حادة من شأنه أن يقلل من فرص رؤيتها حين يشتد الزحام، ولا سيما من قبل الرجالة إذا حال الفرسان بينهم وبينها، أو من قبل قصيري القامة إذا حال الطوال أو الرماح المرفوعة حين تكثر وتتكاثف بين الرجالة وبين رؤيتها..

وربما تحتاج رؤيتها إلى التطاول، والإستشراف، وصرف بعض الوقت، الأمر الذي يقلل من القدرة القتالية، وينشغل بها بال المقاتل، في وقت يحتاج فيه إلى فراغ البال، وبذل الجهد.

رابعاً: إن الراية هي الوسيلة الأساسية التي بواسطتها يتمكن جميع المقاتلين من التواصل العفوي والطبيعي والنفسي مع المركز، ويحتاج هذا التواصل إلى توفير عنصر الوضوح، والسهولة، والسلامة، وهي العناصر التي توفرها الراية بما لها من أحوال وأوضاع.

ويلاحظ: حرص الإمام «عليه السلام» بأوامره هذه على تحاشي أي خطأ أو خلل، أو ضعف، أو إبطاء في هذا التواصل، وفي دلالته المطلوبة.

حتى إنه يراقب ثبات الراية واهتزازها، وحركتها وموقعها،

وارتفاعها وانخفاضها، ثم أن تكون منشورة بطريقة مستشرفة بمعنى: أن لا تكون بصورة عمودية بحيث تكتف حاشيتها وبطانتها على العمود الذي يحملها، ولا تتدلى عليه ملتصقة به.. بل لا بد من أن يميلها حاملها بعض الشيء لكي تتدلى وتنتشر من دون انخفاض ولا اهتزاز. وهذا هو المراد بكونها مستشرفة بحيث يراها جميع المقاتلين.

خامساً: إن هذا يعطي درساً هاماً جداً في تواصل العاملين ميدانياً مع نقطة الإرتكاز، ولزوم استمرار هذا التواصل لحظة بلحظة، ويحتم ابتكار أساليب تواصلية تتسم بالوضوح، والسهولة، والسرعة، والسلامة.. وأن يكون تواصلاً مطمئناً، ومبيناً للوضعية القائمة التي يهم المقاتل الإطلاع عليها، باستمرار، ليصبح في مأمن من الشائعات الهادفة إلى خداعه وإيهامه بأن كارثة قد حدثت، وأن سائر الجيش قد هزم أو تعرض لنكسة، أو أن صلته بنقطة الإرتكاز قد انقطعت.. أو ما إلى ذلك..

بعد ماذا؟!:

وأخيراً.. فقد رأينا كيف أن عمار بن ياسر قد أبدى إعجابه الشديد بحسن قيام محمد ابن الحنفية بالمهمة التي أوكلت إليه. فقد بادر إلى تشجيع ابن الحنفية على الإنجاز الذي حققه..

ورأينا أنه يعتبر ذلك من العلم الذي يحتاج إلى التعلم.. وأن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي قام بمهمة التعليم.

ولعل سؤال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «بعد ماذا»؟! لا يراد به الإنتقاص ولا التأنيب لولده، بل أراد أن يستخرج الإجابة من عمار بن ياسر، التي تطمئن محمداً إلى أنه لم يكن ذلك لنقصٍ فيه ولا لتقصير منه، لأن الأمر يحتاج إلى تعلم، ودراسة لم يسبق لابن الحنفية أن حصل عليها. ربما لأنه لم يكن يظن أنه سيحتاج إلى هذا العلم.

زحف المهاجرين والأنصار:

والتعبير المتقدم الذي ورد على لسان محمد ابن الحنفية الذي يقول: «زحف المهاجرون والأنصار» يدل على كثرة المهاجرين والأنصار في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل، وهذا يسقط ما يزعمه بعض الساعين لتزوير الحقيقة، من أن الذين حضروا هذه الحرب هم طلحة والزبير في جانب، وعلي «عليه السلام» وعمار بن ياسر «رحمه الله» في الجانب الآخر(1).

قدم اللواء:

وقد ذكرت النصوص: أن ابن الحنفية حين تلقى الأمر بتقديم

---

(1) راجع: تاريخ خليفة بن خياط ص139 والعثمانية للجاحظ ص176 وراجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج4 ص328 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص509.

اللواء بادر إلى تقديمه بارزاً عن أصحابه، فرشقه الأعداء بالنبل رشقة رجل واحد.. فتوقف. فأخذ علي «عليه السلام» اللواء من يده، ونادى: يا منصور أمت الخ..

ونلاحظ:

أولاً: أن تقديم اللواء ليس شروعاً بالحرب.. وإنما هو إيذان بالحرب وتهيؤ لها.. ويدل على ذلك: أن حامل اللواء قد تقدم بارزاً عن أصحابه، وهذه إشارة إلى أن الحرب لم تبدأ بعد، لأنها لو بدأت؛ لكان يجب أن يكون اللواء في وسط المقاتلين، ولكانت قد تقدمت على اللواء وحفت به فرقة مقاتلة. كما ذكره علي «عليه السلام» في أوامر له أخرى..

ثانياً: يبدو: أن المسافة الفاصلة بين الجيشين كانت كبيرة بحيث لا تصل السهام إلى حامل اللواء، أو أنها تصل إليه وقد ضعف تأثيرها..

إلا إذا فرض أن فرقة الرماة في جيش الناكثين كانت في حاشية الجيش الذي كان يعد بعشرات الألوف والمنتشر على مساحات واسعة. مما يعني: أن موقعها كان بعيداً نسبياً عن موقع حامل اللواء في الجيش الآخر.

ثالثاً: يبدو: أن أخذ أمير المؤمنين «عليه السلام» اللواء من يد محمد ابن الحنفية كان لأجل عدم رضاه بتوقفه عن التقدم نحو غايته، لأن المطلوب كان هو المضي باللواء إلى الموضع المقرر، لأن هذا

التوقف يشير إلى أن زمام المبادرة قد أصبح بيد الأعداء، وأنهم هم الذين يتحكمون بحركة أصحابه «عليه السلام»، ولو أن حامل اللواء لم يكترث بفعلهم، وأفهمهم أنه يفعل كل ما يريد، فإنهم سيصبحون عاجزين عن توقع ما سيختاره من تصرفات ومواقف. ولن يمكنهم بالتالي أن يعدّوا أنفسهم لمواجهتها.. ولكن حينما أخذ علي «عليه السلام» اللواء من يد ولده، استعاد زمام المبادرة، حيث لم يعد يمكن لأعدائه التحكم بالقرار، ولا التكهن بالإجراء الذي سوف يتخذه.

يا منصور أمت:

والشعار الذي نادى به علي «عليه السلام»: «يا منصور أمت»، وهو شعار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو «عليه السلام» وصيه ووارثه، وشعاره شعاره، فعليهم أن يفهموا ذلك، وإذا نظرنا إلى هذا الشعار، فسنجد: أنه قد جاء مبهماً بالنسبة إلى الأعداء أيضاً، فلم يوضح ما سوف يقدم عليه «صلوات الله وسلامه عليه» من إجراءات أو تحركات، إلا أنه أفهمهم أمرين:

أولهما: ثقته بالنصر على أعدائه. وأن هذا النصر ثابت له دائماً. وأنه يأتيه من ناصر له ولمن معه، لا يشك أحد في أنه هو الله سبحانه..

الثاني: أنه يأمر أصحابه بأن يميتوا أعداءه.. وهذا معناه: أن زمان الرفق قد ولى.. وأن على أعدائه أن يتهيأوا لشرب هذا الكأس الذي سعوا إليه بأنفسهم، ولم تنفع المواعظ، ولا غيرها في ثنيهم عن

عزمهم على الوصول إلى هذه النتيجة المرة..

وهذا يفسر لنا قول ابن الحنفية: إنهم بمجرد سماعهم هذا النداء من علي «عليه السلام» زلزلت أقدامهم، وارتعدت فرائصهم، وألقي بعضهم ببعض، وتزايلوا الخ..

وهذا يعطينا درساً هاماً جداً في أساليب رفع معنويات أهل الحق، وفي الحرب النفسية التي يجب أن يواجهوا بها أهل الباطل.

إن صرعت عائشة فوارها:

1 - ثم جاء النداء الآخر الذي أطلقه أمير المؤمنين «عليه السلام»: «يا محمد بن أبي بكر، إن صرعت عائشة فوارها، وتولّ أمرها».

وهذه ضربة أخرى قد زادت في إضعاف معنويات الأعداء، تضاف إلى الضربة التي تلقوها حين النداء بشعار: «يا منصور أمت».

فقد قال النص: «فتضعضعوا حين سمعوا ذلك، واضطربوا. وأمير المؤمنين واقف في موضعه».

وذلك لأن الشعار الأول قد لامس مشاعرهم الشخصية، وأوضح لهم حقيقة الخطر الذي يواجهونه، والمصير الذي ينتظرونه.

وحيث كان من الطبيعي أن تتوجه النفس في مثل هذه الحال إلى من يعينها، وتبحث عمن ينقذها. وكان أقرب شيء إليهم مما يمكن

لنفوسهم أن تتعلق به وتنشدُّ إليه، وترى فيه أملاً، ويمنحها شيئاً من السكينة هو «عائشة» التي هي زوجة نبيهم، وأم المؤمنين، وبنت أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب، وهي التي كانت تقود عسكرهم، وتأمرهم وتنهاهم.

فجاء هذا النداء العلوي ليقول لهم بكل ثقة وثبات: إنها سوف تصرع، وتسقط عن جملها الذي جعلوه لواء عسكرهم. وسوف تقع في أيدي أولئك المنصورين، الذين سوف يميتونهم.. وقد زاد يقينهم بمصيرهم ومصيرها: أنه «عليه السلام» قد أعطى قائدهم بتعليماته الصارمة التي تحدد كيفية التعامل معها، حيث قال: «فوارها» أي استرها.

2 ـ فأسقط بأيديهم، وتبخرت آمالهم، وطاشت عقولهم، وخابت ظنونهم.

والذي أكد لهم صدقية ما يسمعونه، وصحة ما يخبرهم هذا النداء به: أنه يذكر في توجيهاته أن ثمة أمراً سيحدث يحتاج إلى معالجة صحيحة محددة ومضبوطة ومتوافقة مع الشرع والدين.. وقد اختار له من لا أحد غيره يستطيع القيام به حين وجه الخطاب إلى محمد بن ابي بكر أخي عائشة، فإنه من محارمها القادرين على التصرف معها بصورة يرضاها الشارع الحكيم.

3 ـ إنه «عليه السلام» قد أمر أخاها بمعالجة حالة يتوقع حدوثها لها، وهي أن من يصرع عن الجمل في حالة الحرب يتعرض عادة

للإنكشاف، ويحتاج إلى المبادرة إلى ستر ما ربما يظهر منه، بسبب سقوطه في بحبوحة هذا النشاط الحربي القوي والمتسارع..

فأمر «عليه السلام» بمواراتها حين تصرع حفظاً لأحكام الشرع والدين، وصيانة لمقام رسول الله «صلى الله عليه وآله».

يورد السيف ويصدره ولا يرى دماً:

وتقدم: أن محمد بن الحنفية يقول: إنه لحظ أباه، فرآه يورد السيف ويصدره، ولا يرى فيه دماً. وإذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم.

ونقول:

هذا درس آخر يعطيه أمير المؤمنين «عليه السلام» لكل محارب، فهو يظهر ما يلي:

أولاً: لزوم توخي السرعة الهائلة في إنجاز المهام.

ثانياً: أن يشارك القائد جنده في المسؤولية، بل أن يكون في الطليعة، ولا يكتفي بإصدار الأوامر..

ثالثاً: أن يراه جنده بينهم، ويتمكنوا من مراقبة حركته في الميدان، ليكون أمثولة لهم، وقدوة، وأسوة في حلو الأمور ومرها..

معنويات المقاتلين:

وقد نصح «عليه السلام» ولده محمداً بنصائح هامة، منها:

1 ـ قوله «عليه السلام»: «لا يستفزك ما ترى»..

ومن المعلوم: أن أهم عوامل الفشل في الحرب هو الإندهاش بكثرة العدو، وبعدته، وسلاحه، والتأثر بجلبته، وبغير ذلك من مظاهر قوته.

وقد أوصى «عليه السلام» ولده محمداً، وهو مقاتل يفترض أن يكون أكثر من غيره موضع استهداف للأعداء، ولم تكن له تجربة حربية سابقة ـ أوصاه ـ بأن لا يستفزه ما يراه، ولا يؤثر على ثقته بنفسه.. تماماً كما أن عليه أن لا يستثار بالحماس، ويقذف به تسرعه في أتون الحرب من دون تدبر وتبصر، لأن الذي يُسْتَفَزُّ ويتأثر ويجبن هو ذلك الذي تغرّه المظاهر، والأعداد والكثرات، فيظن أن القوة تكمن فيها، كما الذي يتسرع ويستدرجه عدوه إلى المغامرة معه، سيقع في أفخاخه التي دبرها له.

2 ـ قوله «عليه السلام»: «حملت الراية وأنا أصغر منك..».

إن هذه الكلمة تفيد: أن حمل الراية لا يجب أن يقتصر على أهل السن والتجربة والسابقة في الحرب.. بل للشباب الطالع دور ونصيب في هذا الأمر. فلا ينبغي أن يظن ولده، ولا غيره من الناس أنه «عليه السلام» قد غرَّر به، ورشَّحه لأمر ليس له.

3 ـ ولكن الشباب كما يحتاجون إلى المزيد من التعقل، فإنهم يحتاجون أيضاً إلى ترسيخ منطلقات إيمانية تعطيهم البصيرة واليقين والوعي التام لما هم مقدمون عليه. وقد أرسى «عليه السلام» في

وعي وضمير ولده الشاب معادلة تعتمد على ممارسة التلقين الذاتي للمفهوم الذي ينبغي أن يراود ذهنه في اللحظات الحساسة.. فأمره بأن يحدث نفسه بأنه سوف ينتصر على عدوه.. وأن يحول هذا المفهوم إلى حالة يقينية راسخة، تستطيع أن تصادر ضعف نفسه، الناشئ عن الإنبهار بالكثرات والمظاهر التي يراها في عدوه.

4 - وقد اعتمد «عليه السلام» طريقة التعليم بتقديم الأمثولة والقدوة العملية لولده من جهتين:

أولاهما: القدوة والأمثولة في صغر السن، فقدم نفسه نموذجاً، لأنه قد حمل راية الجيش كله، وهو أصغر سناً من ولده محمد..

الثانية: الأمثولة في اليقين بالظفر بالعدو، فإنه لم يلق أحداً إلا حدثته نفسه بقتله..

فتكون النتيجة هي:

أن صغر سنك لا يضرك، وأن عليك أن تحدث نفسك بأنك ستقتل أعداءك، وستظهر عليهم.. وعليك أن تحول هذا المفهوم إلى يقين راسخ، من شأنه أن يتغلب على ضعف نفسك.

5 - ولو أن ضعف نفسه غلبه، ولم يستطع يقينه بالظفر أن يزيل هذا الضعف، فإن ذلك سيكون أشد أنواع الخذلان، لأن من تخذله نفسه لا يستحق عون الله تعالى له.. كما أن معونة الناس له لن تفيده شيئاً، لأن المعونة إنما هي لمن يحرك قواه، ويبادر إلى الفعل في عدوه. أما الذي يفقد الدافع الذاتي، فلن ينتفع بمعونة الغير له، بل تكون

معونتهم كالنافخ في الرماد.

قف مكانك إذا اختلطت الصفوف:

وبديهي: أن التقدم بالراية نحو العدو إنما يكون حين انتظام الصفوف، وحيث يصبح الزحف نحو العدو ضرورة قتالية، يؤثر عليه روحياً، ويكسر غروره، فإذا تقدمت الراية تقدم الجيش معها..

أما إذا اختلطت الصفوف بصفوف جيش العدو، فإن الراية لا بد أن تكون في محل الأمان، لكي تصبح هي موضع التجمع الذي يفترض الإلتزام وعدم التفريط أو المجازفة به، لأن تحرك الراية منه باتجاه موضع الإختلاط يعرضها لخطر وصول الأعداء إليها، وإسقاطها، أو سيصبح الوصول إليها صعباً وخطراً، ولا تعود هي الملاذ الآمن لمن يريد أن يعود إليها من المهاجمين أو ينتهي إليها من الزاحفين.

وخلاصة الكلام: أنه لا بد أن تبقى نقطة الإرتكاز، أو فقل: موضع تجمع القوى هو المكان الآمن، الذي لا يستطيع العدو السيطرة عليه، ولا المنع من التواصل معه، أو الوصول إليه.

قوات التدخل السريع:

وحين تكون الراية بصدد الزحف، فقد تفرض ظروف الحرب أحياناً أن تنكشف القوات المقاتلة، وتتعرض نقطة الإرتكاز في زحفها للخطر، الأمر الذي يستدعي تدخل قوات التدخل السريع، لضرب

القوات المهاجمة، وتأمين الطريق، ليمكن استئناف الزحف..

وهذا يدل على لزوم إعداد قوة خاصة تقوم بمثل هذه المهمات الصعبة.. فإن هذا ما دل عليه قول محمد ابن الحنفية، وهو حامل الراية:

«والله إني لفي وسط أصحابي، فصاروا كلهم خلفي، وما بيني وبين القوم أحد يردهم عني، وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم، فما شعرت إلا بأبي من خلفي قد جرد سيفه وهو يقول: لا تَقَدَّمَ حتى أكون أمامك.

فتقدم «عليه السلام» بين يديَّ يهرول، ومعه طائفة من أصحابه، فضربوا الذين في وجهي حتى أنهضوهم، ولحقتهم بالراية ..».

اقطعوا البطان:

لقد كان جمل عائشة هو الرمز واللواء لجيش الناكثين ليس لهم لواء غيره(1)، وكان «عليه السلام» يعلم، وقد أخبر الناس أيضاً: بأن القتل والقتال سيستمر ما دام ذلك الجمل قائماً. وما دامت عائشة راكبة عليه..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص23 و (دار إحياء الكتب العربية - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) ج6 ص227 وأعيان الشيعة ج1 ص457 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص250 و 251 وبحار الأنوار ج32 ص213 .

فكان لا بد من قتله، وإنزال عائشة سالمة عنه، لأن قتلها ليس فقط لا يفيد، بل سيكون مضراً جداً بسمعة المسلمين، وسيُعَدُّ إهانة لرسول رب العالمين، وقد يتخذه الحاقدون والمجرمون وسيلة للإنتقام من كل منتسب لعلي «عليه السلام»، أو لبني هاشم، ومن كل محب وموال لهم على مدى التاريخ.. بل قد يجعلون ذلك ذريعة لانتهاك أعظم الحرمات، وهتك الأعراض، وقتل النساء والشيوخ والأطفال.

فكانت الوسيلة الأمثل لإخماد نار الحرب هي: أن يسقط الجمل، وأن تحفظ عائشة، وهذا ما حصل بالفعل، فأمر «عليه السلام» بقطع بطان الهودج، لأن قطع البطان من شأنه أن يمكن من أخذ الهودج عن الجمل، من دون أن تصاب عائشة بسوء..

وكان محمد بن أبي بكر بعد ذلك هو المأمور بتولي أمرها حفظاً لحرمة المرأة، من حيث هي امرأة.. وإكراماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

بين أم رومان.. وأسماء بنت عميس:

وقد تقدم: أنه لما وصل محمد بن أبي بكر إلى أخته عائشة، قالت عائشة له: من أنت؟!

قال: أبغض أهلك إليك..

فقالت: ابن الخثعمية؟!

قال: نعم، ولم تكن دون أمهاتك.

قالت: لعمري، بل هي شريفة، دع عنك هذا. الخ..

ونقول:

إن سياق الكلام يعطي: أن عائشة أرادت أن تميز نفسها عن أخيها محمد، وأن تحط من شأنه حين نسبته إلى أمه، ففهم محمد أنها تريد أن تترفع عنه، وأن تتعاظم، وتنأى بنفسها عن الصلة به.

فواجهها «رحمه الله» بأن أمهاتها لسن بأفضل من أمه، فاعترفت لأمه بالشرف، وصرفت الحديث باتجاه آخر، لأنها تعلم أن التركيز على الأمهات ليس من مصلحتها، لأن أمهاتها لم تكن لهن مكانة تضاهي مكانة أسماء بنت عميس، أو أن تذكر بين العرب.

ويدلنا على ذلك:

1 - أن عائشة لما ذكرت لابن عباس بغضها لهم، ولكل مكان يكونون فيه قال لها ابن عباس:

«فلم؟! فوالله، ماذا بلاؤنا عندك، ولا صنيعنا إليك، إنا جعلناك للمؤمنين أماً، وأنت بنت أم رومان الخ..»[1].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص337 و (ط دار الأضواء) ج2 ص486 وقاموس الرجال ج12 ص203 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج8 ص418 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج32 ص270 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص278 والدرجات الرفيعة ص109 وراجع: شرح الأخبار ج1 ص391.

2 ـ لما عير ابن الزبير محمد ابن الحنفية بأمه. قال ابن الحنفية: يا ابن أم رومان، وما لي لا أتكلم؟![1].

وهذا يعطي: أن أم رومان لم تكن لها مكانة يعتد بها، بل كان الأمر على عكس ذلك.

عائشة لا تهتم لقتل أخيها:

ولست أدري ما هذا القلب الذي كانت تحمله عائشة التي تصرح لأخيها محمد بن أبي بكر: بأنها كانت تحب الظفر في حرب الجمل، ولو بقتله.. وكيف نجمع بين طرفي كلاميها، في الحوار التالي:

قالت لأخيها: الحمد لله الذي سلمك.

فقال لها أخوها: قد كان ذلك ما تكرهين.

قالت: يا أخي، لو كرهته ما قلت ما قلت.

قال: كنت تحبين الظفر، وأني قتلت.

قالت: قد كنت أحب ذلك، لكن لما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرابتي منك الخ..[2].

فهي تارة تقول له: كنت أحب الظفر ولو قُتِل.

---

(1) مروج الذهب ج3 ص80 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص63 وراجع: بحار الأنوار ج42 ص102.

(2) الجمل للمفيد ص368 و 369 و (ط الداوري) ص196 و 197.

وأخرى تقول له: كنت أكره قتلك..

فبأيهما نأخذ، وما هي الحقيقة من ذلك؟!

شقيراء.. حميراء.. أدماء.. سوداء:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال حين قرع الهودج: «يا شقيراء! أبهذا أوصاك رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! الخ..».

ولكن رواية الأمالي للمفيد تقول: إنه خاطبها بـ «حميراء»[1].

وذكرت بعض الروايات في صفة عائشة: أنها كانت أدماء، أو سوداء.

ففي تاريخ ابن معين قال: «سمعت يحيى يقول: قال عباد: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشة؟!

قال: نعم.

قيل: صفها.

قال: كانت سوداء»[2].

---

(1) الأمالي للمفيد ص24 وبحار الأنوار ج32 ص269 وفضائل أمير المؤمنين للكوفي ص87 وكذا في كتاب الجمل ص382 و (ط مكتبة الداوري) ص203.

(2) تاريخ ابن معين ج3 ص509 و (ط دار القلم) ج1 ص369 والضعفاء للعقيلي ج2 ص155 والكامل لابن عدي ج3 ص446 و 447 والتعديل والتجريح للباجي ج3 ص1305 وتاريخ الإسلام ج9 ص169 وكتاب

وفي نص آخر: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لي عائشة..

قال: كانت أدماء[1].

وربما يكون وصفها بالحميراء، لأجل حمرة كانت في شعرها. مع كون الأدمة في وجهها، وهي حالة لا تعطي جمالاً، إن لم نقل: إنها تعطي صاحبها قبحاً ودمامة.

أو لعله «عليه السلام» أطلق عليها هذا الوصف على سبيل التلطف والمداعبة.

أو أنه «عليه السلام» لم يرد حتى في هذا الموقف أن يحرجها بلقب لا يروق لها سماعه.. ولا سيما بعد أن عرف عن العرب قولهم: «شر النساء الحميراء المحياض»[2].

المجروحين لابن حبان ج1 ص353 .

(1) الضعفاء للعقيلي ج2 ص155 والعلل لأحمد بن حنبل ج1 ص442 والتاريخ الصغير للبخاري ج2 ص96 والتاريخ الكبير للبخاري ج4 ص104 والكامل لابن عدي ج3 ص446 و 447 وميزان الإعتدال ج2 ص243 وج3 ص125.

(2) ربيع الأبرار ج4 ص280 وروض الأخيار المتخب من ربيع الأبرار ص130 ولسان العرب ج15 ص115.

جمال عائشة:

ومما يدل على أن عائشة لم يكن لها حظ من الجمال، بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفاً، من أنها كانت سوداء، أو أدماء، أو حميراء:

أولاً: إن جمال عائشة، وحظوتها لم يرو إلا من طريق عائشة نفسها، أو من طريق ابن أختها عروة بن الزبير، كما يظهر من تتبع الروايات.

ثانياً: إن ابن عباس جاءها في حرب الجمل، فجرت بينها وبينه محاورة، فكان مما قاله لها: إنها ليست بأحسن نساء النبي «صلى الله عليه وآله» وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً[1].

ثالثاً: قال علي فكري: «وما رواه ابن بكار، من أن الضحاك بن أبي سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً، فلما بايعه النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشة، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب) أفلا أنزل لك عن إحداهما، فتتزوجها؟!

---

(1) الفتوح لابن الأعثم (ط الهند) ج2 ص337 و (ط دار الأضواء) ج2 ص483 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج8 ص418 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج32 ص270 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص278 والدرجات الرفيعة ص109 وراجع قاموس الرجال ج6 ص3 وبهج الصباغة ج6 ص411.

وعائشة جالسة تسمع، فقالت: أهي أحسن؟! أم أنت؟!

فقال: بلى أنا أحسن وأكرم.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من سؤالها إياه، لأنه كان دميماً قبيح الوجه»[1].

رابعاً: ذكروا: أن عائشة كانت تغار من جميع نساء النبي «صلى الله عليه وآله» وتحسدهن، وكلهن قد وصفن بالجمال، والحسن إما على

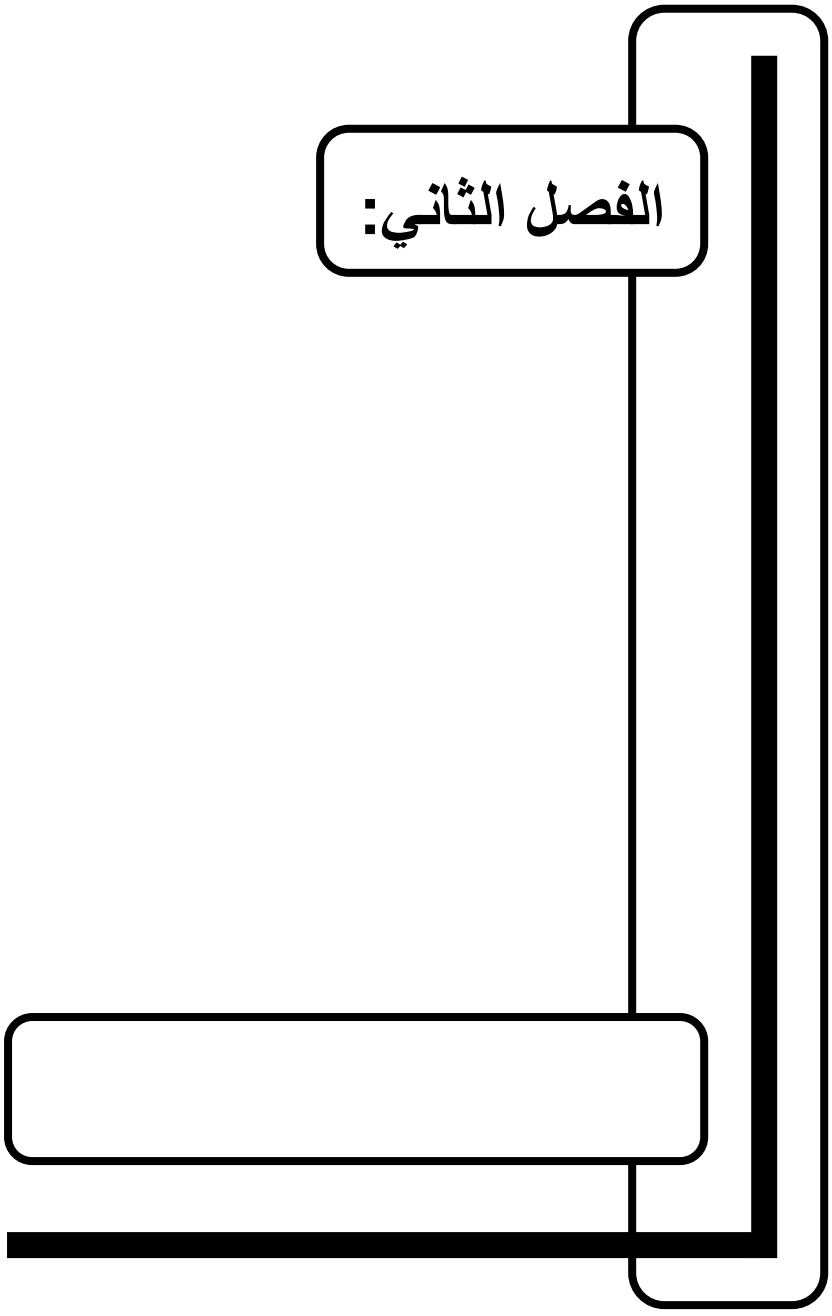

اطعن بها:

1 - قال ابن أعثم: دفع علي «رضي الله عنه» رايته إلى ابنه محمد ابن الحنفية وقال: تقدم يا بني!

فتقدم محمد ثم وقف بالراية لا يبرح، فصاح به علي «رضي الله عنه»: اقتحم لا أم لك!

فحمل محمد الراية، فطعن بها في أصحاب الجمل طعناً منكراً وعلي ينظر، فأعجبه ما رأى من فعاله، فجعل يقول:

أطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

قال: فقاتل محمد ابن الحنفية ساعة بالراية ثم رجع[1].

2 - دفع أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الجمل رايته إلى محمد

---

(1) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص317 و (ط دار الأضواء) ج2 ص474 و 475 وراجع: المناقب للخوارزمي ص186.

ابنه «عليه السلام»، وقد استوت الصفوف، وقال له: احمل.

فتوقف قليلاً. فقال له: احمل.

فقال: يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر!

فدفع في صدره، فقال: أدركك عرق من أمك، ثم أخذ الراية فهزها، ثم قال:

أطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسدد

ثم حمل وحمل الناس خلفه ، فطحن عسكر البصرة[1].

3 ـ لكن المسعودي ذكر هذه القصة بنحو آخر، ملخصه:

إنه «عليه السلام» بعث إلى ولده محمد بن الحنفية ـ وكان صاحب رايته ـ: احمل على القوم.

فأبطأ محمد بحملته، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاذ سهامهم.

فأتاه علي «عليه السلام» وقال له: هلا حملت؟!

فقال: لا أجد متقدماً إلا على سهم أو سنان، وإني منتظر نفاذ

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص243 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص244 عنه، وراجع: شجرة طوبى ج2 ص321.

سهامهم واحمل.

فقال له «عليه السلام»: احمل بين الأسنة، فإن للموت عليك جنة.

فحمل محمد فشك بين الرماح والنشاب، فوقف.

فأتاه علي «عليه السلام»، فضربه بقائم سيفه، وقال: أدركك عرق من أمك.

وأخذ الراية وحمل، وحمل الناس. فما كان القوم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

ثم ذكر المسعودي: قتالهم حول الجمل، ثم عقره وما قاله علي «عليه السلام» لعائشة، وما جرى بين الأشتر وعبد الله بن الزبير، ثم قال:

«وجاء ذو الشهادتين، خزيمة بن ثابت إلى علي «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد، واردد إليه الراية.

فدعا به، ورد عليه الراية وقال:

أطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

بـالـمشـرفــي والقنـا الـمسدد»[1].

من حملات علي بن أبي طالب وابن الحنفية:

1 - قال المعتزلي: «قال أبو مخنف: وبعث علي «عليه السلام»إلى الأشتر: أن احمل على ميسرتهم، فحمل عليها وفيها هلال بن وكيع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل هلال، قتله الأشتر، فمالت الميسرة إلى عائشة، فلاذوا بها، وعُظْمُهُمْ بنو ضبة وبنو عدى.

ثم عطفت الأزد وضبة وناجية وباهلة إلى الجمل، فأحاطوا به. واقتتل الناس حوله قتالاً شديداً، وقتل كعب بن سور قاضى البصرة، جاءه سهم غرب، فقتله وخطام الجمل في يده»[2].

2 - وقال المعتزلي أيضاً: وزحف علي «عليه السلام» نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه: حسن وحسين ومحمد «عليهم السلام». ودفع الراية إلى محمد، وقال: أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل، ولا تقفن دونه.

فتقدم محمد، فرشقته السهام، فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفد سهامهم، فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقتان.

فأنفذ إليه علي «عليه السلام» يستحثه، ويأمره بالمناجزة، فلما

---

(1) مروج الذهب ج2 ص368 و 369 وراجع: الجمل لابن شدقم ص141 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص32 .

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص258.

أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن، وقال له: أقدم لا أم لك!

فكان محمد «رضي الله عنه» إذا ذكر ذلك بعد يبكى، ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفاي، والله لا أنسى ذلك أبداً.

ثم أدركت علياً «عليه السلام» رقة على ولده، فتناول الراية منه بيده اليسرى، وذو الفقار مشهور في يمنى يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته.

فقال له أصحابه، وبنوه، والأشتر، وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين.

فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره، وظل ينحط ويزأر زئير الأسد، حتى فرق من حوله.

وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة، لا يبصر من حوله، ولا يرد حواراً.

ثم دفع الراية إلى ابنه محمد.

ثم حمل حملة ثانية وحده، فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً، والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته.

فاعصوصب به أصحابه، وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين، فأمسك ونحن نكفيك.

فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة.

ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يا بن الحنفية.

فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين![1].

3 - وذكر ابن أعثم حملات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقال: إنها كانت ثلاث حملات، فراجع[2].

4 - قال الطبري: حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن قال: حدثنا أبو عبد الله القرشي عن يونس بن أرقم، عن علي بن عمرو الكندي، عن زيد بن حساس قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول: دفع إلى أبي الراية يوم الجمل وقال: تقدم. فتقدمت حتى لم أجد متقدماً إلا على رمح.

قال: تقدم لا أم لك.

فتكاكأت وقلت: لا أجد متقدماً إلا على سنان رمح.

فتناول الراية من يدي متناول لا أدري من هو، فنظرت فإذا أبى بين يدي وهو يقول:

أنـت الـتي غـرك مني الحسنى يـا عيـش إن القـوم قـوم أعدا

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص257.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص317 و 318.

الـخفـض خـير من قتال الأبنا[1]

أين النجم من الشمس والقمر؟!:

يقول المعتزلي:

لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة، وحمل علي «عليه السلام» بالراية، فضعضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية، وقال: امح الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك. وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، في جمع من الأنصار، كثير منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة، أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلي «عليه السلام»: أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه، وإن كنت أردت ان تعلمه الطعان، فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين «عليهما السلام» لما قدمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال علي «عليه السلام»: أين النجم من الشمس والقمر!

أما إنه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص514 و 515 و (ط الأعلمي) ج3 ص524.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له، ولا نظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقه.

فقال علي «عليه السلام»: أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما في عودك اليوم وصمة ولا كنت في الحرب الضروس معردا

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله علي، وسماك النبي محمدا

فلو كان حقاً من أبيك خليفة لكنت، ولكن ذاك ما لا يرى بدا

وأنت بحمد الله أطول غالب لساناً، وأنداها بما ملكت يدا

وأقربها من كل خير تريده قريش وأوفاها بما قال موعدا

وأطعنهم صدر الكمي برمحه وأكساهم للهام عضباً مهندا

سوى أخويك السيدين، كلاهما إمام الورى والداعيان إلى الهدى

أبى الله أن يعطى عدوك مقعدا من الأرض أو في الأوج مرقى ومصعدا[1]

ونقول:

---

(1) شرح نهج البلاغة ج1 ص245 و 246.

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة، هي التالية:

إقتحم لا أم لك:

تقول الراوية: إن علياً «عليه السلام» قد قال لابنه محمد، لما وقف بالراية: اقتحم، لا أم لك![1].

فيرد سؤال: لماذا يدعو «عليه السلام» على ام محمد، وهي لم تقترف ذنباً؟! وهل إذا أذنب الولد يجوز الدعاء على أمه؟! أليس هذا يخالف قوله تعالى: **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**[2].

ونجيب:

إن لهذا التعبير وجوهاً أخرى من المعنى ليس فيها إشكال:

أولها: أن يكون دعاء على الشخص نفسه بأن لا يجد أماً تعطف عليه، وتهتم له، وتعذره فيما يخطئ فيه، وترثى له فيما ينوبه.. بل إنه سيجد الجميع في موقع الناقد والمؤاخذ له، والناقم عليه حتى إن أحب الناس إليه، وأكثرهم حدباً عليه، وهي أمه، فإنها تتبرأ منه، وتدينه، وتؤاخذه، وتأخذ بذنبه هذا.

الثاني: أن يكون دعاءً على الأم التي لم تحسن تربيته، ولم تقم بما يجب عليها، من غرس الخصال الحميدة، وفضائل الأخلاق في نفسه،

---

(1) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص317 و (ط دار الأضواء) ج2 ص475.
(2) الآية 18 من سورة فاطر، والآية 15 من سورة الإسراء.

بل لعلها أفسدت ما أصلحه الأب، وأبطلت ما بذله من جهد، وانتهت به إلى البوار والدمار، فاستحقت إظهار النفور، وتسجيل الموقف السلبي من فعلها هذا، لأنها الأقرب إلى الولد، والأشد تأثيراً في روحياته، وفي خصاله وحالاته.

الحسنان عينا علي ×:

قيل لمحمد: لم يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه(1).

وهذا السؤال والجواب يدل على أن محمد ابن الحنفية كان يعرف موقعه من أبيه، ومن أخويه الإمامين الحسنين «عليهما السلام» بدقة، ويدرك واجباته تجاههم، ويتفهم بعمق حقيقة أنه لا بد من حفظ حياة الإمامين الحسنين «عليهما السلام»، وأن الله تعالى قد رصد لهما مهمات أساسية وبالغة الخطورة في حفظ هذا الدين.. وأن حفظ حياتهما حفظ للدين، ولأهله. ولذلك فإن كل غال يرخص لهما، وكل نفيس يبذل من أجلهما حتى الأرواح..

ولأجل ما ذكرناه تجد علياً «عليه السلام» يأمر محمداً ولده في حرب الجمل بركوب الأخطار، ولا يرضى منه أي انتظار، ويريد

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244.

منه أن يقتحم الأسنة والرماح.. لأنه يريد له أن يكون المدافع عن الدين، وعن أهله وحفظته، وسدنته.

أدركك عرق من أمك:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال لابنه محمد, حين منعه من الإقدام تواتر نبال القوم: أدركك عرق من أمك.

ونحن نشير هنا إلى ما يلي:

1 ـ لقد أراد «عليه السلام» أن يعرف الناس: أن سلسلة الإمامة والنبوة لا يمكن أن تورث الأعقاب أية خصلة رديئة، مثل البخل والجبن والتردد , مهما كانت ضئيلة وهزيلة, لأن خصلة كهذه ليس لها عين ولا أثر في ذلك العرق مهما امتدت سلسلة الأصلاب للأسلاف, وأوغلت في عمق التاريخ البشري.

2 ـ إنه «عليه السلام» يؤكد بكلامه هذا وجود عنصر الوراثة للأخلاق، والسمات، والخصال الحميدة وغير الحميدة..

3 ـ إن بعض المزايا الموروثة قد لا تفصح عن نفسها بصورة صريحة, بل قد تتشكل بصورة خادعة، تناسب حالها كأن تظهر مثلاً بصورة معادلة فكرية، يتخيل صاحبها أنها من نتاج فكره وعقله, حيث يجدها حاضرة لديه بصورة مفاجئة, وكأنها خلقت فيه، أو من صناعته. وهذا بالذات هو ما حصل لمحمد ابن الحنفية حين وجد نفسه يبرر إحجامه عن متابعة سيره بضرورة انقضاء رشقهم في المرة

الثانية أو الثالثة.

أي أن العرق الذي أدركه من قبل أمه قد تمظهر على شكل فكرة معقولة, وكأن الفكر هو الذي استولدها من العقل العملي..

4 - وبذلك يتضح: أنه «عليه السلام» لم يكن بصدد توجيه إهانة لولده, أو لأمه. وإنما كان بصدد بيان حقيقة تظهر فضل شجرة الإمامة المتصلة بشجرة النبوة على سائر أهل الأرض.

5 - إن هذا البيان يعطي: أن فضل الإمامين الحسنين «عليهما السلام», وامتيازهما على أخيهما محمد يجب أن يكون من البديهيات والمسلمات..

6 - قد أظهرت النصوص المتقدمة: أن شجاعة ابن الحنفية, وشدة حملاته، وحسن قيامه بالمهمات التي أوكلها إليه أبوه قد جعلت الأمر يلتبس على بعض الناس, فيتوهم أنه لا يبتعد في ميزاته عن ميزات أخويه الحسنين «عليهما السلام», الأمر الذي احتاج إلى تدخل الامام علي «عليه السلام», ليقرر: أن محمداً بالنسبة لأخويه بمثابة نجم في مقابل الشمس والقمر..

اطعن بها طعن أبيك تحمد:

إن الروايات قد اختلفت في قائل هذا الشعر، ففي بعضها: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قال هذا الشعر:

أطعن بها طعـن أبـيك تـحـمـد إلخ..

ورواية الفتوح لابن أعثم تدل على أنه «عليه السلام» قد قال ذلك حين رأى حملات ولده التي أعجبته..

لكن رواية المعتزلي تقول: إنه «عليه السلام», قاله حين أخذ الراية من ولده.. ثم حمل حتى طحن عسكر البصرة.

أما المسعودي، فيقول: إنه قال ذلك حين رد الراية لولده..

لا خير في الحرب إذا لم توقد:

وقد تكلمنا عن هذا الشعر في فصل: «توجيهات قتالية» فلا حاجة إلى إعادة ذلك هنا.

احمل بين الأسنة:

وتقدم حين الحديث عن توجيهات علي «عليه السلام» للقائد حامل اللواء: أن علياً «عليه السلام» قال لابنه محمد: «احمل بين الأسنة، فإذا للموت عليك جنة»..

ولكن قد وردت هذه العبارة في مورد آخر بصيغة: «ثق يا بني, وتقدم بين يدي على الأسنة».

وهذه دروس هامة جداً لا بد من الإستفادة منها في الحرب في التوجيه العسكري، وفي البناء الثقافي والعقائدي لشخصية الإنسان المسلم المجاهد.

وقد تكلمنا هناك حول هذه الكلمة بما رأيناه مناسباً, ولا نريد تكرار ذلك, ولكننا نضيف هنا ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» قد ذكر هنا ما يصلح تعليلاً مقنعاً لهذا الأمر الذي أصدره «عليه السلام» لابنه محمد, وهو: أن الإقدام على الأسنة لا يعني حضور الأجل، فهناك أمران لا بد من الإلتفات لهما, والتعامل معهما بكل ثقة، وجزم، وحزم، ويقين. وهذه الثقة هي التي أشار إليها «عليه السلام» بقوله: «ثق يا بني»..

وهذان الأمران هما:

الأول: أن الأجل المحتوم, وهو المطابق لعلمه تعالى, لا يتغير ولا يتبدل, لأن علم الله سبحانه لا يمكن أن ينقلب جهلاً..

أما الأجل المخروم, وهو الذي يكتب في لوح المحو الإثبات, هو المتوافق مع السنن والمقتضيات, بغض النظر عما يعرض لها من موانع تستجد, أو شرائط تفقد. فهذا الأجل يتغير وفق هذه المستجدات العارضة للشرائط والموانع. وهو الذي تعرض له الزيادة بسبب صلة الرحم مثلاً, أو النقيصة بسبب قطعها.. أو بسبب شرب السم, أو القتل أو غير ذلك..

الثاني: إن لله تعالى أوامر ونواه، فرض سبحانه امتثالها على عباده, ولا يجوز أن يحجزهم عنه خوف الموت, لأن هذه التكاليف متوافقة كل التوافق مع الأجل المحتوم. فيجب على الإنسان الجهاد, فإذا جاهد فإن كان أجله المحتوم قد حضر كان موته بالقتل متوافقاً مع هذا الأجل المحتوم. وإن كان الأجل الحقيقي المطابق لعلمه تعالى لم يحضر وقته, فلا يمكن أن يموت الإنسان مهما اعتورته السيوف, وتواترت عليه

السهام، أو اشتبكت عليه الأسنة..

وهذا هو المراد بقوله «عليه السلام»: «فإن للموت عليك جنة» أي أنه إذا لم يحضر الأجل المحتوم، فأنت محفوظ من الموت، حتى لو اجتمع عليك الإنس والجن بسيوفهم واسنتهم، وغيرها.

وهذا درس هام جداً في التوجيه العسكري، والتعبئة الروحية، وفي الوعي العقائدي، والتربية النفسية، وبلورة معنى الشجاعة في قلب الإنسان المجاهد.

وبغض النظر عن جميع ما ذكرناه، فإن توقف محمد بن الحنفية باللواء بسبب الرشق بالنبال من شأنه أن يعطي العدو المزيد من الطموح والإندفاع، ويصعِّب على الإنسان المجاهد القيام بالواجب، والوصول إلى الأهداف المتوخاة.

وهنا تبرز أهمية مواصلة الإندفاع نحو العدو وإرباكه بالهجوم، وعدم إفساح المجال لتدبير خطة للمواجهة.. وقد ظهرت النتائج الإيجابية لهذا الإندفاع بمجرد أخذ أمير المؤمنين «عليه السلام» الراية من يد ابنه، ومتابعة هجومه على العدو، فقد زعزعهم وضعضعهم ذلك، حتى صاروا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

كيف قتل كعب بن سور؟!:

وذكرت رواية المعتزلي المتقدمة برقم [1]: أن كعب بن سور

قتل بسهم غرب ـ لا يعرف راميه ـ وهو آخذ بخطام الجمل.. وسيأتي: أن هذا الكلام غير دقيق، فقد قتل كعب في اليوم الثاني كما ذكره ابن أعثم في الفتوح، وقال: إن الأشتر هو الذي قتله(1).

الإعلان بالتحدي:

وقد طلب علي «عليه السلام» من ولده: أن يقدم بالراية حتى يركزها في عين الجمل.. وهو إجراء عسكري قوي، من حيث إنه يظهر التصميم والتحدي في أقصى مداه، لكي لا يظن العدو أنه يملك قوة لا يمكن مواجهتها. سواء أكانت مادية من حيث كثرة الجمع، وجودة التسليح والتجهيز، أو معنوية من حيث إن معه وإلى جانبه زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب.

وقد يتوهم الناكثون في هذه الحال: أن قتال علي «عليه السلام» وأصحابه لهم ليست إلا لأجل رفع العتب، وأن علياً وأصحابه يعانون من هزيمة روحية ومعنوية، سوف تتبعها هزيمة في ميدان القتال.

فجاء هذا التحدي الظاهر، ليسقط هذه الأوهام.

وقد أكد «عليه السلام» على هذا التحدي، وعلى أن جمعهم وسلاحهم وكل عتادهم، ووجود عائشة بينهم لا أهمية له، بزحفه

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص327 و 328 و (ط دار الأضواء) ج2 ص480 و 481.

بالكتيبة الخضراء المعروفة، التي تتكون من المهاجرين والأنصار، وكان على رأسها علي «عليه السلام» وبنوه: الحسن والحسين ومحمد.

ليفهم أن هؤلاء الصفوة هم الذين يواجهون عائشة. وقد جاؤوا لحربها جهاراً نهاراً مستندين في ذلك إلى أن عائشة بفعلها هذا إنما تعصي أمر الله تعالى لها بالقرار في بيتها، وتدعو الناس إلى قتل عثمان، ثم تتهم بقتله أبرأ الناس من دمه، ثم تأتي هي وقتلته الحقيقيون لتطلب بثأره. وتحرض الناس على نقض بيعة إمامهم وحربه، وتنصب نفسها قائدة لهذه الحرب.

وذلك يعطي: إن الخاسر الحقيقي هم عائشة وأعوانها، حتى وإن انتصروا.

شدة حملات علي ×:

وقد أوضحت الروايات المتقدمة مدى شدة علي «عليه السلام» في حربه على الناكثين، حتى إنه «عليه السلام» قد تابع حملاته الطاحنة عليهم بالرغم من محاولة أصحابه طمأنته إلى أنهم سوف يبذلون كل جهدهم في حرب هذا العدو، ورغم تأكيدهم الشديد على أنهم سيكفونه.

والسؤال هو: لماذا كل هذه الحدة والشدة؟! ولماذا هذه المخاطرة بالنفس في قتال الناكثين؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأنه «عليه السلام» يريد أن ينال ثواب الجهاد في سبيل الله في أقصى درجاته، وأجل مقاماته.. وقد صرح هو «عليه السلام» بهذا الأمر.

ثانياً: إنه «عليه السلام» يريد أن يزيل بذلك تردد المترددين، وخوف ورهبة الخائفين من سفك دم أناس يرون أنهم منهم وعلى دينهم، ويقولون بمقالتهم، ويصلُّون صلاتهم.

فإذا كان أعلم الناس، وأتقاهم وأفضلهم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يمعن إلى هذا الحد في قتالهم وقتلهم، فلماذا التردد والخوف والوجل. وبذلك يكون «عليه السلام» قد قدم الأسوة العملية للناس في مواجهة أهل الباطل.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» يعلم: أن حرب هذا النوع من الناس أوجب من حرب غيرهم، لأن استحلالهم الغدر، ونكث البيعة، والظلم والبغي إلى هذا الحد. والتستر بستار الدين. والتظاهر بالقداسة والورع، أضر على الإسلام وأهله من فتك الأسد الحطوم في قطيع الضأن، لأنه لا يكتفي بإلحاق الضرر بأهل الدين، بل يضيف إلى ذلك إعطاء الشرعية للظلم والبغي، والنكث، والغدر، والإفساد في الأرض. وادعاء أن ذلك هو ما يأمر به الإسلام والدين، وينال به رضا الله سبحانه.. إذ إن ذلك ـ على الأقل ـ يوجب الشبهة، ويعمِّي على الحق..

أما الكافر والفاجر، والمعلن بالفسق والظلم، فإن هجومه على اهل الإيمان لا يوجب أية شبهة في الدين، ولا يحلل الحرام، ولا يحرم الحلال.

رابعاً: إن هذا الهجوم الحاد على أهل الباطل يوجب سقوط رهانهم، ويبين لهم أنهم قد فشلوا في تسويق باطلهم، وأن شبهاتهم لم يكن لها التأثير الذي توقعوه، كما أن إظهار القداسة لم ينفع في التخفيف من حدة مواجهة الناس لهم، ولا أوجب التردد والوجل من الدخول في الحرب معهم.

وهذا يدخل في سياق الحرب النفسية والإعلامية، والإستفادة من الإيحاءات العفوية تأييداً أو تفنيداً.. فلا بد من ملاحظة ذلك في المواجهة مع أهل الباطل.. عسكرية كانت، أو إعلامية، أو غيرها.

الفصل الثالث:

حرب الجمل في اليوم الأول:
أحداث وتفاصيل

بداية توضيحية:

لقد عرضت النصوص تفاصيل القتال الذي جرى يوم الجمل تامة تارة وناقصة أخرى. وقد تجد في بعضها تعابير مسمومة تهدف إلى تزوير الحقيقة لصالح الناكثين, بهدف التخفيف من حدة المؤاخذات التي تسجل عليهم.

وربما يلاحظ: أن ثمة خلطاً وخبطاً في بعض تلك النصوص. ووجود بعض التناقض بين بعضها والبعض الآخر.

من أجل ذلك نقول:

أولاً: إن تتبع أمثال هذه الأمور لا يحمل معه الكثير من الفوائد والعوائد. كما أن تجاهلها بصورة تامة يثير أمام القارئ الكريم أسئلة كثيرة حول السبب والضابطة التي سوغت اختيار هذا النص, وتجاهل ما عداه.

فآثرنا أن نعرض أمام القارئ مختلف النصوص التي تشتمل على خصوصيات قد يرغب البعض بالإطلاع عليها. ونصرف النظر عن

النصوص التي اختصرت الحدث, ولم تتضمن أية خصوصية جديدة, أو مفيدة. وإن حاولت التغيير في الصياغة، أو خالفت في ترصيف الأحداث، فقدمت أو أخرت فيها.

ثانياً: لقد كان جلّ اعتمادنا في هذه النصوص على كتاب الجمل للشيخ المفيد، وعلى تاريخ الطبري, والفتوح لابن أعثم، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي, بالإضافة إلى مصادر أخرى.. ونحسب: أن هذا يكفي في إعطاء تصور مقبول ومعقول عن حقيقة ما جرى.

ثالثاً: إن تداخل النصوص وتشابك الأحداث, قد فرض علينا طريقة عرض لها ولمناقشتها قد تكون لها بعض السلبيات، لأنها قد تفرض تكراراً ولو ضئيلاً لعرض بعض الأحداث, لم يكن لنا منه مناص, حين يكون مقدمة لخصوصية فقدها النص الآخر، ولا يمكن التوصل لعرضها بدونه. إلا إذا أريد الإعتماد على الذاكرة أو على موهبة الذكاء, التي تعطي القدرة على ربط النص الحاضر بنص آخر غائب.. والإعتماد على ذلك غير سديد لعدم ضمان النتيجة المتوخاة في حالات كهذه.

يوم واحد أم ثلاثة أيام؟!:

وقد ذكرت بعض المصادر: أن الحرب قد بدأت وانتهت في يوم واحد. وهناك من أعطاها مدى أوسع من ذلك، حتى بلغ بها ثلاثة أيام ..

ونحن لا نريد أن ندخل في بحث هذا الموضوع, لأننا لا نرى له كبير فائدة, لأن ما يهمنا هو الأحداث والوقائع, وما قيل في حرب الجمل، سواء حصلت هذه الوقائع في يوم واحد أو يومين, أو خمسة أو عشرة.

ونحن نذكر ما تيسر وتوفر لنا من هذه الأحداث في سياق نحاول أن نحافظ على اتصاله , وأن نورده متتابعاً قدر الامكان.

وقد رأينا أن عرض الأحداث وفق السياق الأوسع، وهو ثلاثة أيام هو الأوفق بالغرض، لأنه أيسر علينا من حصرها في نطاق يوم واحد, يفرض علينا التعاطي مع مجموعها في مدى ضيق ومحدود جداً.

كما أن هذه التوسعة ستريح القارئ الكريم, وتسهل عليه استيعاب هذا الكم الكبير من النصوص. والتعامل معه..

ولا بد من إرشاد القارئ الكريم إلى أننا لم نحاول أن نخرج عن النص التاريخي الذي توفر لنا. ولم ننقص منه, ولم نضف إليه من عند أنفسنا شيئاً, لأن بسط الأحداث على ثلاثة أيام هو ما صرح به الذين تولوا عرض أحداث هذه الحرب.. ونحن إنما أخذنا منهم, ونقلنا عنهم, ولم نزد من عند أنفسنا شيئاً.

غير أن علينا أن نوضح: أننا بالنسبة لبعض النصوص التي لم نستطع أن نكتشف لها موقعها في مسار المعركة، كما في بعض المبارزات والأراجيز، وبعض الأحداث الأخرى سوف نعطي لأنفسنا

الحق في إيرادها في أي مقطع كان..

فإلى ما يلي من أحداث ووقائع.. ومن الله نستمد القوة والعون, وعليه نتوكل. وهو ولينا، والهادي إلى سواء السبيل.

حملات وقتال:

قال ابن أعثم: حملت ميمنة أهل البصرة على ميسرة أهل الكوفة، فكشفوهم إلا قليلاً منهم. وحملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل البصرة، فأزالوهم عن مواقفهم. وثبت الناس بعضهم لبعض فاقتتلوا ساعة من النهار.

شهداء من أصحاب علي ×:

وتقدم مخنف بن سليم الأزدي من أصحاب علي، فجعل يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها:

قد عشت يا نفس وقد غنيت دهراً وقبل اليوم ما عييت

وفي الهامش:

وبعد ذا لا شك قد فنيت أما مللت طول ما حييت[1]

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص317 و 318 متناً وهامشاً، و 328 و (ط دار الأضواء) ج2 ص474 وبحار الأنوار ج32 ص175 ومناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج3 ص239 و (ط المكتبة الحيدرية - سنة 1376هـ) ج2 ص341 فما بعدها.

[وفي الطبري: أن يزيد بن قيس قال يوم الجمل:

قـد عـشت يـا نفس وقد غنيت دهراً فقطْك الـيوم مـا بـقيت

أطلـب طـول العمر ما حييت

وإنما تمثلها، وهو قول الشاعر قبله][1].

قال ابن أعثم عن مخنف بن سليم:

قال: ثم حمل فقاتل قتالاً شديداً ورجع مجروحاً.

ثم تقدم أخوه الصعب بن سليم، فقاتل حتى قتل «رحمه الله».

ثم خرج أخوه الثالث عبيد الله بن سليم فقتل.

ثم تقدم زيد بن صوحان العبدي من أصحاب علي، فقاتل حتى قتل.

فأخذ الراية أخوه صعصعة، فقاتل فجرح.

وأخذ الراية أبو عبيدة بن راشد بن سلمي العبدي ـ وكان من خيار أصحاب علي ـ فقاتل فقتل.

فأخذ الراية عبد الله بن الرقية فقتل.

فأخذها رشيد بن سمي فقتل.

قال: فقتل سبعة أو ثمانية رهط من أصحاب علي في ربضة

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص515 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص524 والفتنة ووقعة الجمل ص160 والكامل في التاريخ ج3 ص246.

واحدة[1].

لكن الطبري يقول: «فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد، وصرع صعصعة، ثم سيحان، ثم عبد الله بن رقية بن المغيرة، ثم أبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول: اللهم أنت هديتنا من الضلالة، واستنقذتنا من الجهالة، وابتليتنا بالفتنة، فكنا في شبهة وعلى ريبة، حتى قتل.

ثم الحصين بن معبد بن النعمان، فأعطاها ابنه معبداً، وجعل يقول: يا معبد، قرب لها بوَّها تحدب. فثبتت في يده»[2].

وقال: «قتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة»[3].

وقال نمران بن أبي نمران الهمداني:

جـردت سيــفـي في رحال الأزد أضـــرب فـــي كـهولـــهم والمرد

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص318 و 319 و (ط دار الأضواء) ج2 ص474 و 475.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص515 و (ط الأعلمي) ج3 ص525.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص515 و (ط الأعلمي) ج3 ص525.

كـل طـويل الســاعدين نهد[1]

كيف وجدت أبا الحسن؟!:

قال ابن أعثم:

تقدم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبد الله بن سري، فجعل يرتجز ويقول:

يا رب إني طالب أبـا الــحــسن ذاك الـذي يعـرف حقـا بـالفتن
ذاك الذي يطلبـه عـلـى الإحــن وبـغـــضه شـريعـــة مـــن السنن

قال: فخرج إليه علي «رضي الله عنه» وهو يرتجز ويقول:

قد كنت ترميه بـإيـثار الــفتن قـدما وتطلبــه بأوتــار الإحــن
والــيــوم تلقاه مليا فاعلـمـن بـــالطعن والضـــرب عليهـــا بالســنن

قال: ثم شد عليه علي بالسيف فضربه ضربة هتك بها عاتقه، فسقط قتيلا، فوقف علي «رضي الله عنه»، ثم قال:

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص515 و (ط الأعلمي) ج3 ص525.

قد رأيت أبا الحسن، فكيف وجدته؟![1].

وتناول عبد الله بن أبزى خطام الجمل ـ وكان كل من أراد الجد في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه ـ ثم شد على عسكر علي «عليه السلام»، وقال:

أضربهم ولا أرى أبا حسن هـا إن هـذا حـزن مـن الحـزن

فشد عليه على أمير المؤمنين «عليه السلام» بالرمح، فطعنه فقتله، وقال: قد رأيت أبا حسن، فكيف رأيته! وترك الرمح فيه[2].

بنو ضبة يحدقون بجمل عائشة:

قال ابن أعثم: ثم تقدمت بنو ضبة، فأحدقوا بالجمل، وجعلوا يرتجزون بالاشعار من كل ناحية، ورجل منهم قد أخذ بخطام الجمل وفي يده سيف له كأنه مخراق، وهو يرتجز ويقول:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص319 و (ط دار الأضواء) ج2 ص475 والمناقب للخوارزمي ص187.

وراجع: بحار الأنوار ج32 ص175 ومناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج3 ص340 و (ط المكتبة الحيدرية ـ سنة 1376هـ) ج2 ص342 فما بعدها.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص256 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص238.

ننعي ابن عـــفان بأطراف الأسل اضـرب بالســـيف إذا الـرمح فصل

إن عـلـياً بـعد مـن خير البدل

وعند الطبري: بعد البيت الأول هكذا:

والموت أشهى عندنا من العـسل ننـــعى ابـن عفـان بـأطراف الأســل

ردوا عـليـنا شيخـنا ثم بجل(1)

وفيه: أن عمرو بن يثربي هو الذي قال ذلك(2).

[لكن المسعودي قال هكذا:

نحـن بـنو ضبة أصحاب الجمل ننـازل المـوت إذا المـوت نـزل

ردوا علـــينا شيخنا ثـم بـجل عثمـــــان ردوه بـــأطراف الأســل

والموت أحلى عندنا من العسل] (3).

وذكر الطبري: أن رجلاً يدعى الحارث، من بني ضبة، أخذ

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص319 و 320 و (ط دار الأضواء) ج2 ص475 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص518 و (ط الأعلمي) ج3 ص527 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص175.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و (ط الأعلمي) ج3 ص536.

(3) مروج الذهب ج2 ص366 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص518 و (ط الأعلمي) ج3 ص527.

بخطام الجمل آخر النهار، فما رأينا رجلاً أشد منه، وجعل يقول:

نـــحـــن بنو ضبة أصحاب الجمل ننعي ابن عفـان بـأطراف الأسـل
الـموت أحلـى عندنا من العسل ردوا علـــينا شيخنا ثـم بـــجل

بجل بمعنى: حسب. وقيل: إن القائل هو وسيم بن عمرو بن ضرار الضبي[1].

وفي الطبري: قال عمير بن أبي الحارث:

كيـف نرد شيخكـم وقـد قـحل نحـــن ضـــربنا صـــدره حتـــى انجفل[2]

قال ابن أعثم:

فبدر إليه زيد بن لقيط الشيباني من أصحاب علي وهو يقول أبياتاً مطلعها:

يا قائل الزور مـن اصحاب الجمل نحن قتلنا نعثلاً فيمن قتل

وفي الهامش:

أكثـر من أكثر فينـــا أو أقـــل نحن ضربنا رأسه حتى انجدل
لـحكـــمه حكم الطواغيت الأول وجاز في الحكم وجاز في العمل
فأبـدل الله بـــه خـــيـــر بـــدل اعلـــم بـــالله وأولـــى بـــالطول

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص517 و 518 وراجع ص530 و 531 و (ط الأعلمي) ج3 ص527.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و (ط الأعلمي) ج3 ص536.

أفقــه فــي الدين وأنمى في السفل إنــي امـرؤ مسـتقدم غيـر نكـل
مباشر الحـرب ومقـدام بــطل بغـــارة شـــعواء تــرمـــــي بـالشعل
مــن خـــدم شيبان وشيبان النزل

قال: ثم حمل عليه الشيباني فقتله(1).

وتقدم رجل من بني ضبة يقال له عاصم بن الدلف، وأخذ بخطام الجمل، وجعل يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:

[نحن] بنو ضـبة أعـــداء علـي ذاك الــذي يعـرف فـيكم [قـدماً] بالوصي

وفي الهامش:

والفارس الليث على عهد النبــي مـــا فـعلـــه فيمـا جنـى عنـا غبي

[وفي نص آخر:

وفارس الخيل على عهــد النبــي مـا أنـا عن فضل علـي بـالعمي]
صاحب عثمان بن عفان التـــقـي إن الـــــولي طـالـــــب ثـــأر الــولي

قال: فخرج إليه المنذر بن حفصة التميمي من أصحاب علي

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص320 و (ط دار الأضواء) ج2 ص475.

رضي الله عنه وهو يقول:

نحن مطيعون جميعاً لعلي إذ أنت ساع في الوغى سعي شقي

إن الغوي تابع أمر الغوي قد خالفت أمر النبي زوج النبي

قال: ثم حمل على الضبي فقتله، ثم جال في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:

أسامع أنت مطيع أم عصي وتارك ما أنت فيه أم غوي

وفي الهامش:

فقد أتاك السيف والموت الوحي والحق مثل الشمس في كف علي

وسنة الحق وإعلام النبي ما زال فينا ناصحاً لم ينثن

مجزراً للهام قتَّالاً كمي يضرب بالسيف إذ السيف خوي

قال: فخرج إليه وكيع بن المؤمل الضبي من أصحاب الجمل وهو يقول:

أسامع أنت مطيع لعلي وتارك في الحق أزواج النبي

إني ولما ذقت حد المشرفي أعرف يوما ليس فيه

بـعنـي[1]

قال: فحمل عليه صاحب علي فقتله، وتقدم على وكيع، الأشتر، حتى وقف بين الجمعين وهو يزأر كالأسد عند فريسته، ويقول في ذلك شعراً، فخرج إليه من أصحاب الجمل رجل يقال له عامر بن شداد الأزدي وأجابه على شعره.

قال: فحمل عليه الأشتر فقتله، ثم نادى فلم يجب أحد فرجع[2].

أراجيز في حرب الجمل:

قال المعتزلي: قال أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني، ومحمد بن عمر الواقدي: ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبة والأسد [لعل الصحيح: الأزد]، الذين كانوا حول الجمل

---

(1) في تاريخ الأمم والملوك ج4 ص525 و (ط الأعلمي) ج3 ص532 والفتنة ووقعة الجمل ص163: أن أبا الجرباء جعل يرتجز ويقول:

أسـامع أنـت مطيع لعلي؟! من قبل أن تذوق حد المشرفي

وخـاذل في الحق أزواج النبي أعرف قومـا لست فيـه بعني

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص320 - 322 و (ط دار الأضواء) ج2 ص475 و 476 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص175 و 176.

يحامون عنه[1].

ومن الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل ردوا علينا شيخنا ثم بجل
الموت أحلى عندنا من العأسل لا عار في الموت إذا خان الأجل
إن علياً هو من شر البدل إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل
أين الوهاد وشماريخ القلل؟!

فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»:

نحن قتلنا نعثلاً فيمن قتل أكثر من أكثر فيه أو أقل
أنى يرد نعثل وقد قحل نحن ضربنا وسطه حتى انجدل
لحكمه حكم الطواغيت الأول آثر بالفيء وجافى في العمل
فأبدل الله به خير بدل إني امرؤ مستقدم غير وكل
مشمر للحرب معروف بطل

ومن أراجيز أهل البصر ة:

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص253.

يا أيها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستغيثوا الرحمن
إني أتاني خبر ذو ألوان أن علياً قتل ابن عفان
ردوا إلينا شيخنا كما كان يا رب وابعث ناصراً لعثمان
يقتلهم بقوة وسلطان

فأجابه رجل من عسكر الكوفة:

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن ترد نعثلاً كما كان
خلقاً سوياً بعد خلق الرحمن وقد قضى بالحكم حكم الشيطان
وفارق الحق ونور الفرقان فذاق كأس الموت شرب الظمآن

ومن الرجز المشهور المقول يوم الجمل، قاله أهل البصرة:

يا أمنا عائش لا تراعى كل بنيك بطل المصاع[1]
ينعى ابن عفان إليك ناعي كعب بن سور كاشف القناع
فارضي بنصر السيد المطاع والأزد فيها كرم الطباع

ومنه قول بعضهم:

يا أمنا يكفيك منا دنوه لن يؤخذ الدهر الخطام عنوه
وحولك اليوم رجال شنوه وحي همدان رجال الهبوه
والمالكيون القليلو الكبوه والأزد حي ليس فيهم نبوة

---

(1) المصاع: الحرب.

قالوا: وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل، عليه جبة وشي، يحض الناس على الحرب، ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أمكم فإنها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمى التي تعمكم فأحضروها جِدكم وحزمكم
لا يغلبن سمّ العدو سمكم إن العدو إن علاكم رمكم
وخصّكم بجوره وعمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

قال المدائني والواقدي: وهذا الرجز يصدق الرواية: أن الزبير وطلحة قاما في الناس، فقالا:

إن علياً إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة، فاحموا حقيقتكم، فإنه لا يبقى حرمة إلا انتهكها، ولا حريماً إلا هتكه، ولا ذرية إلا قتلها، ولا ذوات خدر إلا سباهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه، ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله.

وقال أبو مخنف:

لم يقل أحد من رجاز البصرة قولاً كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ: أستقتل الناس عند قوله: وثبتوا حول الجمل، وانتدبوا.

فخرج عوف بن قطن الضبي، وهو ينادى: ليس لعثمان ثأر إلا علي بن أبي طالب وولده، فأخذ خطام الجمل، وقال:

يا أم، يا أم، خلا مني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هاهنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم علي فالغبن

أو فاتنا ابنـــــاه حسين وحسن إذا أمـت بـطول هـمّ وحـزن

ثم تقدم، فضرب بسيفه حتى قتل(1).

وقال ابن شهرآشوب: قتله محمد بن الحنفية(2).

ونذكر هنا شطراً من الأشعار والأرجاز التي ذكرها حسن حميد السنيد في كتاب الجمل وصفين والنهروان لأبي مخنف، فقد قال:

وقال أبو الهيثم بن التيهان، وكان بدرياً:

قـل للزبـير وقل لطلحة إننا نحـن الـذين شـعارنا الأنصـار
نـحن الذين رأت قـريش فعلنا يـوم القليـب أولئـك الكفـار
كنّـا شعـار نبيـنا ودثـاره يفديـه منـا الـروح والابصـار
إن الـوصـي إمـامـنا وولينا بـرح الخفـاء وباحـت الاسـرار

وقال عمر بن حارثة الأنصاري، وكان مع ابن الحنفية حين أمره علي «عليه السلام» بالهجوم على الأعداء، فتلكأ حتى ينقضي رشقهم..

أبـا حسـن أنت فصل الأمور يبـين بـك الحـل والمحـرم
جمعت الرجال عـلـى رايـة بهـا ابنـك يـوم الـوغى مقحـم

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص254 - 256.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص159 - 160 و (ط المكتبة الحيدرية - سنة 1376هـ) ج2 ص342 - 344 وبحار الأنوار ج32 ص180.

ولـم ينكـص المرء من خيفـة ولكـن توالـت لـه أسـهم
فقـال رويـدا ولا تـعـجلوا فـإني إذا رشـقوا مقـدم
فـأعـجلـته والفتى مجـمع بمـا يكـره الوجـل المحجـم
سـمـي الـنبي وشبه الوصي ورايـتـه لـونـهـا الـعـندم

وقال رجل من الأزد يوم الجمل:

هـذا عـلـي وهو الوصي آخـاه يـوم النجـوة النبـي
وقـال هذا بعـدي الولـي وعـاه واع ونسـي الشـقـي

وقال سعيد بن قيس الهمداني:

أية حرب أضـرمـت نـيرانها وكسـرت يـوم الـوغى مرانـهـا
قـل للوصي أقبلت قحطانـهـا فـادع بـهـا تـكفيكها همدانـها
هـم بـنوهـا وهـم إخوانها

وقال زياد بن لبيد الأنصاري:

كيف ترى الأنصار في يوم الكلب إنـا أنـاس لا نبـالي مـن عطـب
ولا نبالي في الوصي من غـضـب وإنمـا الأنصـار جـد لا لعـب
هذا علي وابن عبد المطـلـب ننـصـره اليـوم علـى مـن قـد كذب
من يكسب البغي فبئس ما اكتسب

وقال حجر بن عدي في يوم الجمل أيضاً:

يا ربنا سـلم لنـا عـلـيـا سـلم لنـا المبـارك المضـيا

المـــؤمـــن الـــمـوحد التقيا لا خَطـــل الـــرأي ولا غويـــا
بـــل هـــاديـــا مـوفقا مهديـــا واحفظـــه ربـــي واحفـظ النبيـا
فـــيه فـــقـــد كـــان لـــه وليا ثـــم ارتضـــاه بعـــده وصيـــا

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين ـ وكان بدريا ـ في يوم الجمل أيضاً:

ليس بيـن الأنصار في جحمة الحر ب وبـــين العـــداة إلا الطعـــان
وقراع الكمـــاة بـــالقُضـُب البيـ ـــض إذا مـــا يحطـــم المـــران
فادعهـا تستجب فليس من الـخز رج والأوس يـــا علـــي جبـــان
يا وصـي النبي قد أجلت الـحرب الأعـــادي وســـارت الأظعـــان
واستقامت لك الأمور سوى الشام وفـــي الشـــام يظهـــر الإذعـــان
حسبهـم مـا رأوا وحسبك منـا هكـــذا نـــحن حيث كنا وكانوا

وقال خزيمة أيضا في يوم الجمل:

أعائش خـلـــي عن عـلـي وعيبه بمـا لـيس فيـه إنمـا أنـت والـدة
وصي رسـول الله من دون أهـــلـه وأنـــت علـــى مـا كـان مـن ذاك
شـــاهدة
وحسبـك منـــه بعض مـا تعلمينه ويكفيك لو لم تعلمي غير واحدة
إذا قـيـل مـاذا عـبت منه رميته بقتل ابن عفان وما تلك آيدة[1]
ولـيـس سماء الله قاطـرة دمـاً لـذاك ومـا الأرض الفـــضاء

(1) الآيدة: المنكر الفظيع.

بمائدة

وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل أيضاً:

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصي وما للحرب من آس
الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت تلك القبائل أخماساً لأسداس

وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:

أضربكم حتى تقرُّوا لعلي خير قريش كلها بعد النبي
من زانه الله وسماه الوصي إن الولي حافظ ظهر الولي
كما الغوي تابع أمر الغوي[1]

وقال عثمان بن حنيف:

شهدت الحروب فشيبنني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أشد على مؤمن فتنة واقتل منهم لحرق بطل
فليت الظعينة في بيتها ويا ليت عسكر لم يرتحل[2]

وقال آخر:

---

(1) راجع كتاب الجمل وصفين والنهروان لأبي مخنف ص175 - 186.
(2) مناقب آل أبي طالب ج2 ص339 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص347 وبحار الأنوار ج32 ص184.

قـلــت لها وهي على مـهــوات إن لنـــا ســـواك أمهــات
فــي مسجـد الرسول ثاويــات

فقال الحجاج بن عمر الأنصاري:

يـا معشر الأنصار قد جاء الأجل إنـي أرى المـوت عيانـاً قد نـزل
فبادروه نحو أصحاب الــجـمـل مـا كـان فـــي الأنصـار جـبن وفشل
فـكل شـــيء مـا خـلا الله جلل

وقال خزيمة بن ثابت:

لـم يغضـبوا الله إلا للـــجمـــل والموت خير من مقام فـي خمل
والموت أحـرى مـن فرار وفشل والقول لا يــنفـع إلا بالعمــل

وقال شريح بن هاني:

لا عيش إلا ضرب أصحاب الجمل ما إن لـنا بعد علـــي من بـــدل

وقال هانئ بن عروة المذحجي:

يا لك حرب حثها جمـــالـــهـــا قائـــدة يــنقصها ضلالـــهـــا
هــذا عـلـي حـــوله أقيالـــها

وقال سعيد بن قيس الهمداني:

قل للوصي اجتمـــعت قـحطانها إن يـــك حـــــرب أضـــــرمت نيرانـها

وقال عمار:

إني لعـمار وشيـــــخي ياســـر صـــاح كلانـــا مـــؤمن مهـــاجر

طـلحة فيهـا والـزبير غـادر والحـــق فـــي كـف علـي ظـاهر

وقال الأشتر:

هـذا عـلي فـي الدجى مصباح نحن بـذا فـي فضـله فصاح

وقال عدي بن حاتم:

أنـا عـدي ونـمـاني حاتم هذا عـلي بالـكتاب عـالـم
لـم يـعصـه في الناس إلا ظالم

وقال عمرو بن الحمق:

هـذا عـلي قائـد نـرضى به أخو رسول الله فـي أصـحابـه
مـن عـوده النـامي ومن نصابه

وقال رفاعة بن شداد البجلي:

إن الـذين قطعوا الوسـيلـة ونـازعوا علـى عـلي الفضيلـة
فـي حـربه كالنعجة الأكيلة[1]

وكان بنو ضبة يرتجزون:

نـحن بنو ضـبة لا نـفـر حتى نـرى جماجماً تـخـر

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص160 و 161 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص345 و 346 وبحار الأنوار ج32 ص180 و 181 و 182.

يــخر منها العلـق المحمـــر

ويرتجزون:

يـا أمنـــا يا عيش لن تـراعـي كـــل بنيـــك بطـــل شـــجاع
يـا أمنا يا زوجـأة الـنـبـي يـــا زوجـــة الـــــمبارك المـهـدي[1]

وقال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

وأنشدت أم ذريح العبدية من شيعة أمير المؤمنين «عليه السلام» تقول:

عـــائـــش إن جئـــت لتهزمينا وتنشـــري البـــر لتغلبينـــا
وتـقذفـي بالحصـبـات فينـا تصـــادفي ضـــربا وتنكرينـــا
بـــالـــمشـرفيات إذا غـزيـنا نـسفـك مـن دمائكم ماشينا[2]

وقال الطبري: حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن قال: حدثنا عوانة قال: اقتتلوا يوم الجمل يوماً إلى الليل، فقال بعضهم:

شفى السيف من زيد وهند نفوسنا شفاء ومن عيني عدى بن حاتم
صبرنا لهم يوماً إلى الـلـيل كـله بـصـــم القنـــا والمرهفـــات الصوارم

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص518 و راجع 526 و (ط الأعلمي) ج3 ص527.

(2) الجمل للمفيد ص348 و 349 و (ط مكتبة الداوري) ص186.

وقال ابن صامت:

يا ضب سيرى فإن الأرض واسعة على شمالك إن الموت بالقاع
كتيبة كشعاع الشمس إذ طلعت لها أتيّ إذا ما سال دفاع
إذا نقيم لكم في كل معترك بالمشرفية ضربا غير إبداع[1]

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص524 و (ط الأعلمي) ج3 ص531.

الفصل الرابع:

مع احداث اليوم الأول..

علي × يعرف بالوصي:

ثم إن ذلك الضبي يرتجز ويقول:

نحــن بنـــي ضبــة أعداء علي ذاك الـــذي يعـــرف فـــيهم بالـوصـي

ووصفه «عليه السلام» بالوصي قد ورد في العديد من الأراجيز التي قيلت في حرب الجمل.

وما أبعد ما بين قول هذا الرجل المعادي لعلي «عليه السلام»، وبين قول ابن اليثربي:

يـــا رب إنـــي طـالب أبا الحسن ذاك الـــذي يعـــرف فـــيهم بـــالفـتـن

ونلاحظ ما يلي:

1 - إننا قد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب طائفة كبيرة من الأشعار التي صرحت بوصف علي «عليه السلام» بالوصي، الأمر الذي يدل على أن ذلك كان من المسلمات عند الناس.. وهذا يطرح

تساؤلاً مهماً عن مدى التزام الناس ورعايتهم أمور دينهم، فكيف يحاربون من يعترفون بأنه وصي نبيهم.

2 - إنهم إنما يقولون هذا الكلام في ساعة حاسمة بالنسبة إليهم، حيث لا يدري أي منهم متى يصافح فيها الموت، ويلاقي ربه.

3 - إن الرجل الضبي يعترف: بأن علياً «عليه السلام» يعرف بالوصي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم هو يقرر أنه وقومه أعداء لهذا الرجل بالذات. فهل كان لا يرى لهذا الأمر قيمة عملية؟! فإن كان الأمر كذلك، فلا بد أن نسأل عن سبب فقدان هذه القيمة، وإن كانت له قيمة فلماذا لا يسعى للتأكد من هذا الأمر الذي كان معروفاً لدى طائفة كبيرة من الناس تضم مئات بل آلاف من الصحابة، بما فيهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، والحال أنه ليس بين الناكثين أي من الصحابة أو غيرهم ممن يعرف بعلم أو استقامة أو دين.

4 - إنه في حين يقرر الضبي أنه «عليه السلام» يعرف بالوصي، تجد الشقي الآخر يقول: إنه «عليه السلام» يعرف بالفتن، فكيف يمكن الجمع بين هذين الأمرين في وجدان الناس وفي عقولهم؟!

5 - إن من الواضح: أن من يعرف بالفتن لا يبايعه الناس، ولا سيما الصحابة وكبارهم وأعيانهم، خليفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يبقون أياماً كثيرة يصرون عليه بقبول البيعة منهم..

بل يكفي أن يطرح هؤلاء سؤالاً على أنفسهم حول الناكثين وهم منهم، وهو: هل الذي ينكث بيعته، ويجمع الرجال والسلاح، وينتهب

بيت مال البصرة، ويقتل أكثر من ستماية رجل من أهلها، ويصر على الحرب ويباشرها مرات عديدة، ولا يستجيب للإحتجاجات والبراهين والأدلة، ولا تفيد معه المواعظ والنصائح ـ نعم.. هل الذي يفعل ذلك كله ـ لا يريد فتنة؟! ثم يكون علي «عليه السلام» الذي يدعوهم إلى التوبة والأوبة، ويصفح عنهم، ويحتج عليهم ويناشدهم مرة بعد أخرى هو صاحب الفتنة والساعي لها؟!

النبي ′ هو الآمر بقتال الناكثين:

وبعدما تقدم نقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دفع أي شبهة في أمر الجمل وصفين والنهروان، من خلال التوجيهات التي وجدتها الأمة، والأخبار الواردة عنه «صلى الله عليه وآله» التي يخبر فيها عن الناكثين والقاسطين والمارقين، فإنها تقطع أي عذر، وتزيل أي وهم..

ولذلك نلاحظ: أن مفهوم الفتنة لا ينطبق على أي من الفئات الثلاث: الناكثين، والقاسطين، والمارقين، لأن الفتنة هي الأمر الذي لا يعرف وجه الحق فيه، ووجه الحق واضح في هذه الفئات جميعها.

وقد تضمنت النصوص الكثيرة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يخبر أصحابه عن حرب علي «عليه السلام» للناكثين، والقاسطين والمارقين، ويحثهم على نصرته، ويأمرهم بها.

فقد قال أبو أيوب الأنصاري: أمرنا (أو قال عهد إلينا) بقتال:

الناكثين، والقاسطين، والمارقين[1].

وكذا روي عن أبي سعيد الخدري[2].

وعن عمار بن ياسر[3].

---

(1) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج1 ص369 والبداية والنهاية ج7 ص306 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص339 والمستدرك للحاكم ج3 ص139 وكنز العمال ج11 ص352 وتاريخ بغداد ج13 ص187 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص53 و 54 وج42 ص472 وسير أعلام النبلاء ج2 ص410 وكفاية الطالب ص169 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص307 وعن ابن حبان، والطبري، والحاكم، والإستيعاب ج3 ص53 وبحار الأنوار ج32 ص308 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص61 عن منتخب كنز العمال (المطبوع بهامش المسند ـ ط الميمنية بمصر) ج5 ص451 وميزان الإعتدال ج1 ص271 والمناقب للخوارزمي ص190 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص150.

(2) كفاية الطالب باب 38 ص173 والبداية والنهاية ج7 ص305 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص339 والمعجم الأوسط ج9 ص165 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1117 وعلل الشرائع ج1 ص223 ومجمع الزوائد ج7 ص238 والفصول المختارة ص231 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص471 وج43 ص456 والكامل لابن عدي ج2 ص146 وميزان الإعتدال ج1 ص410 وأسد الغابة ج4 ص33 والمناقب للخوارزمي ص190.

(3) مسند أبي يعلى ج3 ص194 ومجمع الزوائد ج6 ص235 وج7 ص238

وعن علقمة[1].

كما أن النصوص قد صرحت: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» بقتالهم، وقد روى ذلك عنه كلٌ من:

خليد العصري[2].

وعمار بن ياسر[3].

وعبد الله بن مسعود[4].

والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص338.

(1) الكامل لابن عدي ج2 ص219 وعلل الدارقطني ج5 ص148 وفضائل أمير المؤمنين للكوفي ص84 .

(2) تاريخ بغداد ج8 ص340 و (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص336 والبداية والنهاية ج7 ص305 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص339 والغدير ج3 ص193 عنهما، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص68.

(3) تاريخ مدينة دمشق ج12 ص370 وكنز العمال ج1 ص613 وشرح المواهب للزرقاني ج3 ص317 وترتيب جمع الجوامع ج6 ص155 وشرح نهج البلاغة ج14 ص15.

(4) الإستيعاب ج3 ص 53 و (ط دار الجيل) ج3 ص1117 ومجمع الزوائد ج7 ص238 والبداية والنهاية ج7 ص305 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص339 والمعجم الكبير ج10 ص91 والرياض النضرة ج3 ص198 ومطالب السؤل ص24 وكنز العمال ج13 ص110 وفرائد السمطين ج1 ص283.

وأبي أيوب الأنصاري[1].

وسعد بن عبادة[2].

وعلي بن سعيد الوالبي[3]، وصححوا أسناده.

وأبي سعيد مولى رباب[4].

وزيد الشهيد، ابن الإمام السجاد «عليه السلام» عن آبائه[5].

وأنس بن عمرو، عن أبيه[6].

---

(1) المستدرك للحاكم ج3 ص139 و 140 والخصائص للسيوطي ج2 ص138 و (ط أخرى) ج2 ص235.

(2) كنز العمال ج11 ص292 والبداية والنهاية ج7 ص305 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص338.

(3) كشف الأستار عن مسند البزار ج3 ص26 وعن الطبراني في الأوسط، ومجمع الزوائد ج7 ص238 ومسند أبي يعلى ج1 ص397 وشرح المواهب للزرقاني ج3 ص317 والبداية والنهاية ج7 ص304 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص338.

(4) المناقب للخوارزمي ص106 و (ط أخرى) ص175 وعن إيضاح الإشكال لعبد الغني بن سعيد، وعن ابن مردويه.

(5) كنز العمال ج13 ص112 والبداية والنهاية ج7 ص305 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص339.

(6) البداية والنهاية ج7 ص305 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص338 وتاريخ مدينة دمشق ج12 ص367 وترجمة الإمام علي «عليه السلام»

وابن عباس[1].

وعلي «عليه السلام»[2].

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد احتج بهذا الحديث في يوم الشورى.

وأخيراً.. فقد قال المعتزلي: «قد ثبت عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال لعلي «عليه السلام»: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين، والمارقين»[3].

وقد ذكرنا مصادر كثيرة لهذا الحديث في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج ج1 ص10 فراجع.

علي الوصي في الأشعار والأرجاز:

سنذكر هنا طائفة كبيرة من الأشعار التي تضمنت كلمة الوصي، وقد قيل أكثرها في حربي الجمل وصفين، وقد أخذنا معظمها من كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد للمعتزلي، وهي التالية:

1 - قال رجل من بني ضبة، من أنصار عائشة وهو عاصم بن الدلف:

[نحن] بنو ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف فيكم [قدماً]

من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج1 ص1210.

(1) راجع: الغدير ج1 ص338.

(2) راجع: مسند شمس الأخبار ج1 ص103.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص183.

بالوصي

2 - وقال أبو الهيثم بن التيهان

إن الـوصـي إمـامنا وولـيـنـا بـرح الـخفاء وباحـت الأسـرار

3 - وقال عمر بن حارثة الأنصاري:

سمـي الـنـبي وشبـه الوصي ورايـتـه لـونـها العـنـدم

4 - وقال رجل من الأزد:

هـذا عـلـي وهـو الـوصـي آخـاه يـوم النجـوة النبـي
وقـال هـذا بـعـدي الـولي وعـاه واع ونسـي الشقـي

5 - وقال سعيد بن قيس الهمداني:

قـل للـوصي أقبلـت قحطانها فادع بها تكفـيـكها همدانـهـا

6 - وقال زياد بن لبيد الأنصاري:

ولا نـبالي فـي الوصي من غضب وإنـمـا الأنصـار جد لا لعب

7 - وقال حجر بن عدي:

فيـه فـقد كـان لـه وليا ثـم ارتـضـاه بـعـده وصيا

8 - وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري، ذو الشهادتين:

يا وصـي الـنبي قد أجلت الحرب الأعـادي وسـارت الأظـعـان

9 - وقال خزيمة بن ثابت أيضاً:

وصـي رسـول الله من دون أهله وأنـتِ علـى مـا كـان مـن ذاك

شاهده

10 - وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي:

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصي وما للحرب من آسي

11 - وقال زحر بن قيس الجعفي:

من زانه الله وسماه الوصي إن الولي حافظ ظهر الولي

12 - وقال سعيد بن قيس الهمداني:

قل للوصي اجتمعت قحطانها إن يك حرب أضرمت نيرانها

13 - وقال عبد الله بن أبي سفيان بن حارث بن عبد المطلب:

وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

14 - وقال عبد الرحمان بن جعيل:

علياً وصي المصطفى وابن عمه وأول من صلى أخا الدين والتقى

15 - وقال عمرو بن أحيحة يمدح الإمام الحسن «عليه السلام»:

إن شخصاً بين النبي لك الخير وبين الوصي غير مشوب

16 - قال زحر بن قيس:

علـــيـــاً عـــنيت وصي النبي نـــجـــالـــد عنه غواة الأمـــم

17 - وقال المغيرة بن شعبة:

رســـول الـــوصـي وصي النبي لـــــه الســـــبق والفضـــل فـــي المؤمنينا

18 - وقال المغيرة بن شعبة أيضاً:

أتـــانا الرسول رسول الـــوصي عـــلـــــي الـــمهذب من هاشم

وزيـــــر الـنـــبـي وذي صهـــره وخـــيـــــر الـبـــرية والعالـم

19 - وقال جرير بن عبد الله البجلي في رسالة إلى شرجيل بن السمط الكندي:

وصـــي رســول الله من دون أهله وفـــارسه الـــحامي بـه يضـرب المثل

20 - وقال النعمان بن عجلان الأنصاري:

كـــيف التفـرق والوصي إمامنا؟! لا، كيـف إلا حـيـــــرة وتخـاذلا

لا تغبنـن عقولكـــم لا خيـــر في مـن لـم يكـن عنـد البلابـل عـاقلا

وذروا مـــعـــاويـة الغوي وتابعوا دين الـــوصي لتحمدوه آجـــــلا

21 - وقال عبد الله بن ذؤيب الأسلمي:

يقـــودهم الوصي إليـــك حتى يـــردك عـن ضلال وارتيـــاب

22 - وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

فـيكم وصي رسول الله قائدكـم وصـهـــره وكتـــاب الله قـــد نشــرا

23 - وقال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب:

وصي رسول الله من دون أهله وفارســـه إن قـــيل هـل مـن منازل

24 - وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

وإن ولـــي الأمـــر بـعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حـقاً وصـــنوه وأول مـــن صـــلى ومـــن لان جانبــه

25 - وقال خزيمة بن ثابت، ذو الشهادتين:

وصي رسول الله مـــن دون أهـلـه وفارســه مـذ كـان فـي سـالف الزمــن

26 - وقال زفر بن حذيفة الأسدي:

فـــحـــوطوا علياً وانصروه فإنه وصـــــي وفـــي الإســـلام أول أول

27 - وقال النعمان بن العجلان:

وصــي الـنبي المصطفى وابن عمه وقـــــاتل فـــــرسان الضـــلالة والكفر

28 - وقال حسان بن ثابت:

ألـسـت أخـــاه في الهدى ووصيه وأعـلـم منـهم بالكتاب وبالسنن

29 - وقال المنذر بن أبي خميصة:

لـــيس مـــنا من لم يكن لك في الله ولياً يـــا ذا الـــولا والـــوصية

30 - وقال علي أمير المؤمنين «عليه السلام»:

إن يقرنـــوا وصيـــه والأبتـــرا شـــــاني الرســـول واللعـــين الأخـــزرا

وأخيراً.. فقد قال المعتزلي:

«والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثير جداً، ولكنا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل الخ..»[1].

ويقول المعتزلي أيضاً:

الســـيـــد الـــمـــعظم الوصي بـــعـــل الـــبتـــول المرتضـــى علي

الرايات ليس واحدة:

يبدو أنه قد كانت للجيوش رايات مختلفة، فهناك راية الجيش كله، وهي المحور والأساس. وهناك رايات للميمنة، والميسرة، والقلب، ورايات للقبائل، وربما رايات للكراديس، والمجموعات. وللرايات

(1) راجع في أكثر هذه الأشعار شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط دار مكتبة الحياة سنة 1963 م) ج1 ص128 - 133 و 324 و 553 وج4 ص227 و 228 وج2 ص280 و 283 و 828.

علامات تميزها عن بعضها البعض.

فقول الروايات المتقدمة: إن صعصعة أخذ الراية، ثم أبو عبيدة العبدي، ثم عبد الله بن الرقية، ثم رشيد بن سمي، حتى قتل عشرة على راية أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يقصد بها راية الجيش التي كانت بيد محمد بن الحنفية، بل المقصود هو راية قيادة المسيرة، كما صرح به النص المنقول عن الطبري[1].

قرِّب لها بوَّها تحدب:

وتقدم عن الطبري: أن الحصين بن معبد بن النعمان لما أعطى راية ميسرة علي «عليه السلام» لولده معبد قال له: «يا معبد، قرِّب لها بوَّها تحدب فثبتت في يده»[2].

وتوضيح ذلك: أن ولد الناقة من حين يرضع إلى أن يفطم ويفصل عن أمه، يقال له حوار، فإذا مات الحوار يحشى جلده ثماماً (وهو نبت ضعيف هين المتناول) أو تبناً، أو غير ذلك، فيقرب من أم الفصيل، فتعطف عليه، فتدر اللبن. ومنه قولهم: فلان أخدع من البِّو[3].

فكأن هذا القائل أراد من ولده أن لا يتباعد بها عن الناس، وأن

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص515 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص525.
(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص515 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص525.
(3) راجع كتب اللغة، مادة بو.

يقربها منهم، لترفرف فوق رؤوسهم. فذلك أدعى لهم لأن يستميتوا في الدفاع عنها، وأن يعطوا كل ما لديهم من جهد في الدفاع والمنع من سقوطها.

أو أراد أن الراية تحدب على أصحابها، فإذا قربوا منها، وكأنها تحسبهم بمثابة أولادها فتعطيهم الثبات والعزم، كما تدرّ الناقة لولدها المفترض.

دعاء أبي عبيدة بن راشد:

وما أروع الدعاء الذي نُقِل عن أبي عبيدة بن راشد السلمي، حيث عبر فيه عن اعترافه بفضل الله عليهم بهدايتهم من الضلالة، واستنقاذهم من الجهالة. ولم ير فضلاً لنفسه في ذلك.

كما أنه «رحمه الله» قد اعتبر هذا القتال من البلاء الذي يمتحن فيه صبر المؤمن، ومدى يقينه، لأن كثيراً من الناس إذا تعرضوا للشدائد، إما أنهم يفقدون الصبر، ويتخلون عن واجباتهم التي لا يرتابون في مطلوبيتها.. وإما ينتهي بهم الأمر إلى تزعزع يقينهم بالثوابت الإعتقادية، والشك في صوابية ما هم عليه، ويعتبرون هذا البلاء دليلاً على الخطأ فيما استندوا إليه في يقينهم واعتقادهم، وهذا هو الأشر والأضر والأخطر.. مع أن المطلوب من هذا البلاء هو اختبار صبرهم، وتصفية نفوسهم، وتزكيتها من الشوائب، وتأكيد يقينهم..

ما المراد بالفتنة في كلام ابن راشد؟!:

ويبدو لنا: أن المراد بالفتنة التي قال أبو عبيدة بن راشد: إن الله تعالى ابتلاهم بها: هو الإقتتال بين أهل القبلة بسبب طمع بعضهم بالدنيا بعد أن اتضحت لهم الأمور، وزالت الشبهة والريبة.

وهذا هو الأضر والأخطر على يقين الناس، وعلى سلامة نواياهم، وصفاء إيمان الكثيرين منهم، لأنه كثيراً ما ينتهي إلى كدورات وخدوش، بل إلى جروح عميقة في النواحي الإيمانية والإعتقادية لكثير من الناس الذين لم يكن لهم حظ وافر من المعرفة والعلم.. ولا كان لهم نصيب معتد به من اليقين والثبات في الإعتقاد..

وليس المراد بالفتنة ما لا يعرف وجه الحق فيه، لأن المفروض: هو أن الشبهة قد زالت بالهداية من الضلالة، وزوال الجهالة.. ولم يعد هناك شبهة. فهذا الإقتتال هو بسبب إفتتان بعضهم بالدنيا، ورغبته في الحصول على حطامها.

وبتعبير آخر: كانت هناك شبهة وريبة فأزالها الله بظهور الحق.. ثم ابتلاهم في حرب هي فتنة، لأن مثيريها كانوا مفتونين بالدنيا، راغبين بنيل زخارفها..

بغض علي × سنة وشريعة:

وقد ذكر عبد الله بن السري في شعره: أن يطلب قتال علي «عليه السلام»، بدافع من الأحقاد والإحن. وأن بغضه «عليه السلام» سنة

وشريعة ودين..

وهذا الكلام يعبر عن واقع أليم، كانت السياسات التي انتهجها مناوئوا علي «عليه السلام» في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعد وفاته طيلة ربع قرن قد أفرزته، وكرسته أمراً واقعاً..

وقد يتوهم بعض الناس: أن هذا الواقع إنما نشأ بعد أن آتت سياسات الأمويين تجاه علي وأهل بيته ثمارها. فقد حرصوا على التنفير منهم، وسنوا للناس سبهم، وأغروا أشباه العلماء من وعاظ السلاطين باختلاق الأخبار، وتزوير الحقائق، التي ترتبط بهم..

ولكن الحقيقة هي: أن الأمويين قد واصلوا نهج أسلافهم، وأكدوه وشيدوه، وحفظوا ثماره، وشيدوا مناره، واتبعوا آثاره..

وقول عبد الله بن سري هذا، وكثير من النصوص المشابهة التي تصب في نفس هذا الإتجاه، شواهد صدق على ما كانوا يسعون إليه.. إنه يقول:

يـــا رب إنـــي طالـب أبا الحسن ذاك الـذي يعـرف حقـاً بـالفتن
ذاك الـــذي يـطلبه على الإحـــن وبغضـــــه شـــريـــــعة مـــن السنن

بل لقد بلغ بهم الأمر في الإفتراء على أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى حد الزعم: بأنه «عليه السلام» أراد قتل النبي «صلى الله

عليه وآله»، وسم أبي بكر، وشارك في قتل عمر، ثم قتل عثمان[1]، بل اتهموه بأنه لا يصلي[2].

وقال معاوية لعدي بن حاتم حين جرى الحديث عن سبه «عليه السلام» على المنابر: «ما أريد بذلك إلا إخلاق ذكره»[3].

ويقول «عليه السلام» عن سياسات أسلافه في الفتوحات: إنها كانت تقضي بتعظيم قوم، وتجاهل آخرين: «فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها إلخ..»[4].

---

(1) الإحتجاج للطبرسي ج1 ص403 وبحار الأنوار ج44 ص71.

(2) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص30 والكامل لابن الأثير ج3 ص313 والفتوح لابن أعثم ج3 ص196 و (ط دار الأضواء) ج3 ص118 وصفين للمنقري ص354 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص36 والغدير ج9 ص122 وج10 ص290 عن أكثر من تقدم. وبحار الأنوار ج33 ص36 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص184 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج3 ص99 ونقله المحمودي عن ابن عساكر ج38 حديث رقم 1139. وراجع: المعيار والموازنة ص160 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص752 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص126 والدرجات الرفيعة ص379.

(3) الفتوح لابن أعثم ج3 ص134 و (ط دار الأضواء) ج3 ص83.

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص298 و 299 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص728 والدرجات الرفيعة ص37.

واجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، والمغيرة بن شبعة، وغيرهم، فقالوا: «إن الحسن قد أحيا أباه وذكره. وقال فَصُدِّق، وأمر فأطيع. وخفقت له النعال. وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم..» ثم طلبوا من معاوية إحضاره للحط منه[1].

وقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه: بأن أعداءه لو استطاعوا لم يتركوا من بني هاشم نافخ ضرمة أو نار[2].

ويقول «عليه السلام»: «فلما رق أمرنا طمعت رعيان البهم من

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص285 والإحتجاج ج1 ص402 وبحار الأنوار ج44 ص70 والغدير ج2 ص133 عن المعتزلي، وعن المفاخرات للزبير بن بكار، وعن جمهرة الخطب ج2 ص12. ونقل عن شرح النهج للآملي ج18 ص288 وعن أعيان الشيعة ج4 ص67.

(2) راجع: تفسير العياشي ج2 ص81 وبحار الأنوار ج21 ص349 وج32 ص592 و 594 والغدير ج10 ص173 والفايق في غريب الحديث ج2 ص282 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص221 وج19 ص129 والدرجات الرفيعة ص191 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج3 ص144 واللمعة البيضاء ص340 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص181 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص301 والنهاية في غريب الحديث ج3 ص86 و 128 وج5 ص90 و 141 وغريب الحديث لابن قتيبة ج1 ص367 والنصائح الكافية ص112 ولسان العرب ج3 ص63وج7 ص421 وج12 ص355وج13 ص267 ومجمع البحرين ج4 ص343 و 399 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص120.

قريش فينا»[1].

كما أن عمر بن الخطاب حين يسأل عمن يتدوال الناس أسماءهم للخلافة بعده، لا يسمع ذكراً لعلي «عليه السلام» في جملة من يذكرهم الناس لهذا المقام[2].

وسأل رجل أحد زعماء أهل الشام وأهل الرأي والعقل منهم، عن أبي تراب الذي كان يلعنه الإمام على المنبر، فقال: أراه لصاً من لصوص الفتن[3].

وجاء جماعة من قواد أهل الشام، وأهل الرياسة والنعم فيها إلى السفاح العباسي، وحلفوا له بالعتاق والطلاق، وصدقة ما يملكون أنهم ما كان يعرفون أهل بيت للنبي يرثونه غير بني أمية[4].

---

(1) الأمالي للشيخ المفيد ص324 وبحار الأنوار ج29 ص582 ونهج السعادة ج1 ص486 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج2 ص322 وج3 ص64 وشرح الأخبار ج2 ص261 والأمالي للشيخ الطوسي ص9 وتقريب المعارف ص242 وكشف الغمة ج2 ص4.

(2) المصنف للصنعاني ج5 ص446 والأدب المفرد للبخاري ص127 وكنز العمال ج5 ص736 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج31 ص470.

(3) مروج الذهب ج3 ص38 والإمام علي بن أبي طالب لللهمداني ص751 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج11 ص358.

(4) النزاع والتخاصم للمقريزي ص28 ومروج الذهب ج3 ص33 والفتوح لابن أعثم ج8 ص195 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص159

وحين طلب بعضهم من معاوية أن يكف عن لعن أمير المؤمنين «عليه السلام» على المنابر قال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر ذاكر له فضلاً[1].

وبعد ما تقدم نقول:

1 - أليس من أعظم الجرائم، والموبقات، والمصائب: أن يصبح بغض وصي الرسول والإمام بعده ديناً وشريعة في الأمة التي تنسب نفسها إلى نفس هذا الرسول، وتدعي أنها على ملته، وتعمل بسنته؟!

2 - هل تصل الأمة إلى الفلاح والنجاح، وتحقق آمالها، وتبني مستقبلها وكيانها، إذا تعاملت بمنطق الإحن والأحقاد، واستبعدت منطق الشرع والدين والعقل؟!

3 - ألا يكون القضاء على هذا المنطق: منطق الإحن والأحقاد، والتخلص من أهله ومن رموزه من أوجب الواجبات، وأعظم

ووفيات الأعيان ج6 ص102 وسير أعلام النبلاء ج6 ص79 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص752.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص57 وبحار الأنوار ج33 ص214 والنصائح الكافية ص72 و (دار الثقافة للطباعة والنشر - قم) ص97 والإمام الحسن بن علي «عليه السلام» لآل يس ص125 وشجرة طوبى ج1 ص95 والغدير ج2 ص102 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص748 والكنى والألقاب ج1 ص89 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص291 عن مروج الذهب ج3 ص41.

القربات، ومن الإحسان للأمة، بتخليصها من وباء هائل، ومن مرض خبيث قاتل؟!

4 ـ هل كان يظن ذلك البائس: عبد الله بن سري، وكذلك عبد الله بن أبزى: أن علياً «عليه السلام» يريد الوصول إلى مبتغاه بواسطة الآخرين، وأن يضحي بغيره لحفظ نفسه؟! أو أنه حسب أنه يختبئ وراء الرجال، ويجنب نفسه النزال القتال؟!

5 ـ وقد ترك «عليه السلام» رمحه مركوزاً في عبد الله بن أبزى، ليكون عبرة لمن اعتبر، وليعرفوا أن هذه هي عاقبة البغي، والظلم، والعدوان على أهل الحق..

ردوا علينا شيخنا ثم بجل:

قد تكرر في أرجاز الناكثين قولهم لأنصار علي «عليه السلام»:

..... ردوا علينا شيخنا، ثـــم بـــجل

أو نحو ذلك..

ومعنى كلمة «بجل»: وحسب.

وهذا طلب غريب وعجيب، فهل يعقل طلب إرجاع الميت إلى الحياة؟! وجعله كشرط لإنهاء الحرب والقتل والقتال؟! وهل هذا إلا طلب تعجيزي، يراد منه إظهار الإصرار على مواصلة الحرب إلى النهاية، وعدم القبول بالحلول مهما كان نوعها؟!

وهل يمكن إبعاد صفة البغي والتعنّت والظلم عن أناس يحصرون

مطالبهم بهذا الأمر المستحيل؟! وألا يكفي هذا مبرراً لحربهم، ما دامت هذه الفكرة هي التي تفرض نفسها على قرارهم، وتهيمن على تفكيرهم؟!

على أن أكثر من أمعن في مناوأة عثمان، وفي التحريض عليه هو طلحة، والزبير وعائشة. فإن كان هناك آخرون، قد شاركوا أو حرضوا على قتل عثمان، فلا شك في أنهم فئة قليلة جداً، وتبقى الأكثرية الساحقة من ذلك الجمع لم تحضر قتل عثمان. أو كانت بعيدة عن أجواء القتلة، فلماذا يريدون قتل كل تلك الجموع، ولماذا يواجهونها بالمطالب التعجيزية؟!

وإذا جاز الطلب بثار عثمان، فإنما يجوز من أولياء دمه، ولم يتقدم أحد منهم بطلب كهذا أمام قضاء إمام المسلمين، الذي يفترض أن يكون الترافع إليه.

على أنه لا مبرر لهذه الألوف التي تعد بالعشرات أن تخرج على إمامها، ولا على غيره، وتقتل نفسها وغيرها بحجة الطلب بدم شخص ليس بينها وبينه صلة قرابة، ولا هي مخولة بإقامة الحدود في الناس، فضلاً عما اقترفته من جرائم وموبقات، في البصرة قبل وصول علي «عليه السلام» إليها..

علي خير بدل:

وقد تضمن الرجز المنسوب إلى زيد بن لقيط الشيباني ـ وهو من

أنصار علي «عليه السلام» ـ ما ربما يقال: إنه اعتراف من هذا الفريق بقتل عثمان بن عفان. وهذا معناه: أن الحرب التي شنها الناكثون كانت مبررة إلى حدٍّ مَّا، ولم تكن عدوانية.

ونقول:

إن الأمر ليس كما يُظن، وذلك لأن هذا الشيباني قد تكلم في أمرين:

أحدهما: قتل عثمان.

فيلاحظ:

أولاً: أن كلامه لا يتضمن اعترافاً بقتله، لأن فيه تصريحاً بأن هذه المزاعم هي من قول الزور، مما يعني: أن مقصوده في كلامه اللاحق هو بيان أقاويل المزورين.

ثانياً: إن طلحة والزبير وعائشة كانوا من أشد الناس على عثمان، وقد أصدروا أوامرهم للناس بقتله بصورة صريحة، وكان فيهم من شارك عملياً في هذا القتل كقائد عمليات، وهو طلحة. ولا يصح للآمر بالقتل والمشارك فيه أن يشن الحرب على شريكه، ويطلب منه تسليم نفسه إليه ليقتص منه في أمر اشترك هو معه فيه، وأمره به..

ثالثاً: على فرض وجود بعض من شارك في قتل عثمان في جيش علي «عليه السلام»، فإن ذلك لا يبرر نكث الناس لبيعتهم، ثم جمع الجيوش لحرب الإمام، وإسقاط النظام.. بل عليهم أن يرفعوا

أمرهم إلى ذلك الإمام نفسه، ويطلبوا منه أن يحكم فيهم وبينهم بالعدل والشرع..

المجال الثاني: الذي تعرض له ذلك الشيباني في رجزه، هو نظرته إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فبين لنا من ذلك أموراً هي التالية:

أولاً: إنه قد شبَّه عثمان بنعثل، وهو رجل يهودي طويل اللحية معروف بينهم، وكانوا يشبهون به عثمان إنتقاصاً من عثمان.

وقد شاركت عائشة أم المؤمنين في إطلاق هذا الوصف عليه في قولها المشهور: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»..

ثانياً: قد بيَّن أن حكم عثمان كان على مثال حكم الطواغيت الأول.. فاستحق بذلك القتل وجاز تنفيذ هذا الحكم فيه، ولعل هذا هو مراده حين قال: «فجاز في الحكم، وجاز في العمل».

ثالثاً: لقد كانت في علي «عليه السلام» ميزات لا تنكر، وقد عرفها الكبير والصغير، واشتهرت حتى بلغت القريب والبعيد، واعترف بها له العدو والولي. وقد ذكر هذا الشيباني عدداً منها في رجزه هذا.. ونحن نذكرها ونضيف إليها غيرها مما ورد في أشعارهم وأرجازهم التي قيلت في ميدان القتال في خصوص حرب الجمل، وذلك ضمن العنوان التالي:

صفات علي ×:

إن من الصفات التي كان أصحاب علي «عليه السلام» يواجهون بها الأعداء ما ذكره الشيباني في أبياته المتقدمة:

1 - أنه «عليه السلام» أعلم الخلق بالله.

2 - أولى الناس بأن يطولهم، ويزيد عليهم.

3 - أفقه في الدين.

4 - أنمى في السفل.. كأنه أراد الإشارة إلى أنه «عليه السلام» مصدر النماء، والزيادة، والعطاء، والبركة حين تواجه الناس الضائقة والحاجة.

وقد أضاف إلى ذلك المنذر بن حفصة التميمي:

5 - إن الحق مع علي «عليه السلام» ظاهر كالشمس.

6 - إن مخالف علي شقي، وغوي.

7 - إنه «عليه السلام» الكمي، المجزر للهام..

وقال أبو الهيثم بن التيهان:

8 - إنه «عليه السلام» الوصي. وهذا الوصف قد أطلقته عليه عائشة نفسها أيضاً.

وقال عمرو بن حارثة الأنصاري:

9 - إنه «عليه السلام» فصل الأمور، يعرف به الحلال والحرام.

وقال رجل من الأزد:

10 - إن النبي «صلى الله عليه وآله» آخاه دون غيره..

11 - إنه «صلى الله عليه وآله» قد نص على أنه الولي بعده..

وقال حجر بن عدي:

12 - إنه العالم بالكتاب.

13 - إنه «عليه السلام» مبارك.

14 - إنه مضيء.

15 - هو المؤمن.

16 - الموحد.

17 - التقي.

18 - ليس بخطل الرأي.

19 - ليس غوياً.

20 - هاد.

21 - موفق.

22 - مهدي.

23 - كان ولياً للنبي «صلى الله عليه وآله».

وقال خزيمة بن ثابت:

وقال ابن بديل:

24 - إنه «عليه السلام» الحكم الفصل.

وقال زهر بن قيس:

25 - إنه «عليه السلام» خير قريش كلها..

وقال الأشتر:

26 - إنه «عليه السلام» مصباح الدجى.

وقال عمرو بن الحمق:

27 - إنه «عليه السلام» من عود النبي النامي.

28 - إنه من نصاب النبي «صلى الله عليه وآله».

ولم نجد أحداً من أعداء أمير المؤمنين «عليه السلام» قد حاول تكذيب أي من هذه الأمور التي وصف الناس بها علياً «عليه السلام».. أو حاول أن يثير شبهة على أية مفردة ذكرت منها، أو من غيرها..

والفضل ما شهدت به الأعداء:

وقد اعترف عاصم بن دلف الضبي، وهو من حزب الناكثين، ومن الآخذين بخطام جمل عائشة ـ اعترف ـ لعلي «عليه السلام» بفضائل ومزايا جليلة وجميلة، ستكون من أعظم الحجج عليه في يوم القيامة.

وما ذكره عاصم بن الدلف هو التالي:

1 - إن علياً «عليه السلام» يعرف بالوصي من قديم الأزمان.

2 - إنه الفارس الليث على عهد النبي «صلى الله عليه وآله»..

3 - إن فضله «عليه السلام» كان ظاهراً لكل أحد.

بماذا يطعنون على علي ×؟!:

أما في الإتجاه السلبي، فنلاحظ: أن تلك الأشعار والأراجيز نفسها لم تستطع أن تأخذ على أمير المؤمنين «عليه السلام» أي مأخذ، سوى أمور مكذوبة، ومختلقة. ويمكن لكل أحد اكتشاف زيفها وبطلانها، وكذبها، وهي التالية:

1 - إنه «عليه السلام» يعرف بالفتن.

2 - إنه قتل عثمان..

وكلا هذين الأمرين ظاهر الزيف والبطلان. فقتلة عثمان هم: عائشة، وطلحة، والزبير. وعلي فقط هو الذي حاول دفع القتل عنه.. وقد أظهرت ذلك الوقائع والنصوص بما لا مزيد عليه..

كما أن علياً «عليه السلام» هو الذي فقأ عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيره على حد تعبيره[1]. وكان ولا يزال يتحمل ما

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص182 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص193 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص44 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص103 وينابيع المودة ج3 ص433 وبحار الأنوار ج32 ص316 وج33 ص366 وج34 ص116 و 259 وج41 ص9 و 348 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص100 وج8 ص58 وشرح الأخبار ج2 ص39 والغارات للثقفي ج1 ص6 وراجع ص16 وج2 ص676 و 683 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص10 و 257

ينزل من مصائب وبلايا وعدوان عليه وعلى زوجته الزهراء «عليهما السلام»، لكي يتلافى حدوث أي عنف، أو قتال. وقد حاول عشرات المرات: أن يقنع الناكثين بالعدول عن موقفهم، وترك الحرب، فلم يستجيبوا لطلبه هذا.

وقد أظهرت الأحداث التي ذكرنا شطراً منها في هذا الكتاب طائفة كبيرة من هذه المحاولات، ولن نجد في التاريخ أي شيء يدل على خلاف هذه الحقيقة..

3 - وقد ادعوا أيضاً: أنه لا يعدل بعثمان.. وقد أوضحت خطبته الشقشقية: أن الأمر على عكس ذلك تماماً، فقد قال «عليه السلام»:

«متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»[1]. وأقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» خير شاهد على أنه «عليه السلام» لا يقاس به أحد. كما أن ما جرى لعثمان،

و 305 وج11 ص149.

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص30 وعلل الشرائع ج1 ص151 ومعاني الأخبار ص361 والإحتجاج ج1 ص286 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص49 والطرائف لابن طاووس ص418 والصراط المستقيم ج3 ص43 و 118 وكتاب الأربعين للشيرازي ص168 وحلية الأبرار ج2 ص292 وبحار الأنوار ج29 ص498 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص457 والغدير ج7 ص81 وج9 ص381 وج10 ص26 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص184.

بسبب سياساته، وأفعاله يدل على زيف هذا الإدعاء، ولا نريد أن نقول أكثر من هذا.

عثمان بنظر أتباعه:

ونلاحظ: أن أنصار عثمان لا يذكرون في أشعارهم وأراجيزهم أي وصف إيجابي لعثمان، سوى وصف عاصم بن دلف له بـ: «التقي».

ونقول:

إن وصفه لعثمان بالتقي لا يفيد، وذلك لما يلي:

أولاً: إن عاصماً هذا كان يعلم: أن عثمان قد قتل على مرأى ومسمع من صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأن الكثيرين منهم أو أكثرهم كانوا راضين بقتله، وبعضهم قد أمر بقتله، حتى الذين يطلبون بثأره كانوا من أشد الناس عليه كعائشة في قولها المشهور: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر». وكطلحة الذي كان من أشد الناس عليه، وقد شارك في حصره، ومنع من وصول الماء إليه، وساعد على قتله، وكذلك الزبير، فإنه كان من المحرضين عليه، والساعين في إيصال الأذى إليه. ولا يرضى الصحابة، ولا يأمرون بقتل تقي عابد، ومؤمن زاهد. كما هو معلوم..

ثانياً: إن الأعمال المنسوبة إلى عثمان، والتي استند إليها الصحابة وغيرهم في التحريض عليه، أو في المساعدة على قتله هي

أعمال لا يرضاها الله ورسوله بلا ريب.. ومن أراد التفصيل والبيان فليراجع تاريخ عثمان.

ثالثاً: إن عاصم بن دلف قد وصف علياً «عليه السلام»: بأنه وصي النبي «صلى الله عليه وآله»، والفارس الليث على عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، وبأن فضله كان معروفاً وظاهراً لكل أحد..

ولم نجده ذكر شيئاً من ذلك لعثمان، بالرغم من أنه من أنصار الناكثين، الذين يرمقون شعار الطلب بثارات عثمان.

عثمان عند أصحاب علي ×:

أما أصحاب علي «عليه السلام»، فقد أطلقوا على عثمان أوصافاً غير حميدة بلا ريب، ونذكر منها ما يلي:

1 - إنه نعثل.. على حد قول عائشة، وزيد بن لقيط الشيباني فيه..

2 - إن حكمه حكم الطواغيت الأول..

3 - الغوي.

4 - آثر بالفيء.

5 - جار في العمل.

6 - قضى بحكم الشيطان.

7 - فارق الحق.

8 - فارق نور الفرقان.

عائشة في أشعار وأراجيز أصحابها:

وأما عائشة، فإن غاية ما حكاه عنها ووصفها به أتباعها، والمدافعون عنها في أشعارهم وأراجيزهم هو ما يلي:

1 - إنها زوج النبي «صلى الله عليه وآله»..

2 - إنها أمهم، وهم أبناؤها.

3 - إنها صلاتهم وصومهم.

4 - إنها الرحمة العظمى التي تعمهم.

5 - الطاهرة.

6 - الزكية.

7 - البرَّة.

8 - المؤمنة.

9 - التقية.

10 - إنها أرادت بما فعلته صلاح المسلمين.

نظرة في هذه الصفات:

ونلاحظ هنا: أن الوصف الأخير هو مجرد تبرير لتصرفها.. وهو وصف غير واقعي، فإن من يريد الإصلاح لا يأتي بجيش، ويقوده ضد إمام له بيعة صحيحة في أعناقهم. ولا يتزعم فريق الناكثين ويأمرهم وينهاهم ويحثهم على الحرب، ويأمر بقتل الناس في

البصرة، ويشارك في انتهاب بيت المال قبل مجيء علي «عليه السلام» إلى البصرة.

أما الأوصاف الأخرى التي أطلقت عليها، فمعظمها مجرد ثناء ومديح من أشخاص أرادوا التعبير عن الثقة والمحبة لها..

ومردها إلى حسن الظن. ولم تأت استناداً إلى نص من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقها، كان الناس قد تداولوه واستندوا إليه..

ويبقى الوصفان الأولان، وهما:

1 ـ أنها زوج النبي «صلى الله عليه وآله».

2 ـ وأنها أم المؤمنين.

وهما يرجعان إلى أمر واحد، تضمنته الآية المباركة التي تقول: **(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)**[1].

غير أننا نشير هنا إلى أمور:

أولها: ما سيأتي من أن هذين الوصفين لا يختصان بها، فأم سلمة، وسواها كنَّ أيضاً من أزواجه «صلى الله عليه وآله»، وهنَّ أمهات للمؤمنين، فلماذا انفردت عنهن في موقفها هذا؟! ولماذا لا يتأسى الناس بهن دونها؟!

الثاني: إن المطلوب من زوجة الرسول وأم المؤمنين هو: أن

---

(1) الآية 6 من سورة الأحزاب.

تلتزم بما فرضه الله عليها في كتابه الكريم. ولا يحق لها المخالفة والتعدي، استناداً إلى أمومتها، وإلى زوجيتها للرسول «صلى الله عليه وآله»..

الثالث: إن أمومتها للمؤمنين لا يقصد بها: أن لها حقوق الأم النَسَبية، ومشاركتها لها في جميع ما لها وما عليها.. بدليل: أن أم المؤمنين لا ترث أبناءها ولا تورثهم، كما هو الحال بالنسبة للأم النَسَبية. كما أنها لا يجوز لها مصافحتهم، ولا إظهار شعرها أو بعض جسدها لهم.. ولا يجب صلتها كما توصل الأم، ولا نفقتها ولا غير ذلك..

بل المقصود هو: أنها كالأم في تحريم الزواج منها.. وليس أكثر من ذلك..

الرابع: إن مجرد زوجيتها للرسول لا يعطيها امتيازاً. ولكنه يرتب على المؤمنين حقوقاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تجب مراعاتها فيها، وهي: الحفاظ عليها، وعدم إهانتها إكراماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله». أي أن المطلوب هو معاملتها بنحو لا يوجب وهناً في مقام الرسول..

وأما إكرامها لنفسها، فإنما يطلب ذلك وفق ما يصدر منها من أعمال، فإن أحسنت عوملت بما يعامل به أهل الإحسان، وإن أساءت ـ كما كان الحال في امرأة نوح ولوط ـ حُرمت من معاملة أهل

الإحسان.. وذلك ظاهر..

بعض أتباع عائشة يسيء إليها:

وقد وجدنا في أشعار بعض أتباعها ما تضمن ذماً لها، في سياق ذمه لعشيرتها، فإن عمير بن الأهلب، قد عبَّر في شعره عن ندمه على طاعتها، وهي من بني تيم بن مرة. وقال: «وهل تيم إلا أعبد وإماء»؟!

وسيأتي بعض الحديث عن هذا الأمر حين نصل إلى ذلك المقطع إن شاء الله تعالى..

عائشة في نظر أصحاب علي ×:

أما أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد ذكروا عائشة في أشعارهم وأرجازهم بصورة مخففة، ليس فيها إغراق وحدّة في النقد.. أو في التوصيف.

والظاهر: أن ذلك قد كان منهم احتراماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كما قلنا...

ومما ذكروه في مؤاخذاتهم عليها:

قول منذر بن حفصة التميمي:

1 - إنها خالفت أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

بالإضافة إلى وصف خزيمة لها:

2 - بأنها والدة. أي مجرد امرأة.. أو فقل: مجرد أم. وقد رسم الله

ورسوله في كتابه الكريم لها حدوداً عليها أن تتقيد بها.

3 - إنها تعلم: بأن علياً «عليه السلام» هو الوصي، فكيف خرجت عليه؟!

4 - إنها تعلم: بأن لعلي «عليه السلام» فضائل كثيرة، كل واحدة منها كافية لصدها عن موقفها هذا.

5 - إنها أخطأت بإبرازها نفسها.

وقال آخر:

6 - إنها أخطأت، وتحتاج إلى التوبة.

وقال ابن يساف الأنصاري عن حربها لعلي «عليه السلام».

7 - إنها كانت زلَّة وعثرة..

وقال آخر:

8 - إنها ليست وحدها أماً للمؤمنين، فهناك نساء أخريات هنَّ أمهات للمؤمنين.

وبعد.. فإننا نظن: أن هذه اللمحات عن الأرجاز التي ذكرناها في هذه الفصول القتالية لحرب الجمل لا بد أن تعطي القارئ انطباعاً عن واقع الفوارق الظاهرة بين علي «عليه السلام» وبين مناوئيه.. نأمل أن يجد فيها القارئ الكريم وفي غيرها من نصوص حفل بها هذا الكتاب ما يفيد في تكوين تصور لما أردنا أن يلتفت إليه، ويعول في فهم واقع الأمور عليه..

إن الولي طالب ثأر الولي:

وقد ورد في الرجز الذي قاله عاصم بن دلف، قوله: «إن الولي طالب ثار الولي».

وهذا الكلام غير صحيح، وهو تدليس على الناس، وغش لهم.

فأولاً: إن ابن دلف وعائشة، وطلحة، والزبير وسائر ذلك الجيش ـ باستثناء أحد أولاد عثمان ـ ليسوا أولياء دم عثمان.

ثانياً: إن مشاركة أحد أبناء عثمان في ذلك الجيش، لا يعطي الشرعية لتلك الحرب، لأن قادة الجيش والقائمين بالحرب والداعين لها. هم الآخرون..

ثالثاً: حتى لو كان أبناء عثمان هم الطالبون بالثأر، فإن ذلك لا يكون بنكث البيعة، وشن الحرب على الإمام، ومباشرة قتل حراس بيت المال، وست مئة رجل من الناس في البصرة، بل يكون برفع الأمر إلى الإمام العادل، وطلب حكمه في الأمر، وفق أصول القضاء..

رابعاً: إن قتلة عثمان هم نفس قادة جيش الناكثين، فعلى أبناء عثمان أن يبدأوا بقتل قادتهم.

وادعاؤهم التوبة لا يدفع القصاص عنهم، وإلا لجاز لكل إنسان أن يقتل من شاء من الناس، ثم يدفع القصاص عن نفسه بإظهار التوبة..

ولو كانت التوبة تدفع القصاص، فلماذا لا تكون توبة بقية القتلة الذين يدعون أنهم مع علي «عليه السلام» كافية لدفع القصاص عنهم أيضاً؟!

خامساً: لا شيء يدل على وجود أي من المباشرين لقتل عثمان في جيش علي «عليه السلام».

سادساً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذلك نلاحظ: أن المنذر بن حفصة التميمي أجاب عاصم بن دلف: بأن طلب ثار الولي لا يبرر مخالفة أوامر النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا السياق.. فلا يجوز لعائشة، وهي زوج النبي «صلى الله عليه وآله»: أن تخالف أمر النبي، ومن ثم لا يجوز لغيرها أن يطيع أوامرها في نفس ما خالفت به أمر الرسول «صلى الله عليه وآله»، لأن ذلك يصبح مصداقاً لحقيقة: أن الغوي تابع أمر الغوي.

لماذا يخيفون الناس من علي ×؟!:

لقد نقل المدائني والواقدي: أن طلحة والزبير قالا للناس: «إن علياً إن يظفر بكم فهو فناؤكم يا أهل البصرة، فاحموا حقيقتكم.

فإنه لا يبقي حرمة إلا انتهكها.

ولا حريماً إلا هتكه.

ولا ذرية إلا قتلها.

ولا ذوات خدر إلا سباهن الخ..»[1].

ونقول:

1 ـ لقد أظهرت سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه «عليه السلام» قد عاملهم بالرفق، والصفح، والصبر الجميل.

2 ـ إن علياً «عليه السلام» لم يترك وسيلة يتفادى بها الحرب إلا اتبعها، وبقي يدعوهم إلى التوبة والأوبة، ويقيم عليهم الحجج، ويسدي لهم النصائح، ولم يبدأهم بقتال، بل غض النظر عن تحرشاتهم مرة بعد أخرى، حتى قتلوا بعض أصحابه في الميدان، بعد أن كانوا قد فعلوا الأفاعيل في أهل البصرة، وانتهبوا بيت المال، وقتلوا السبابجة، والمصلين في المسجد، وحراس عثمان بن حنيف ومئات آخرين حتى بلغ المجموع ـ كما يقول المؤرخون ـ ست مئة قتيل.

فمن يكون هذا حاله في العفو والصفح، هل يصدق عليه ما رماه به طلحة والزبير؟!

3 ـ على أن طلحة والزبير لم يأتيا بما يشهد على صحة أقوالهما فيه، فإنه لم يخض قبل ذلك حرباً، إلا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحروبه في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» كانت صافية من أي تعدٍّ، أو أي تصرف يتوافق مع الروحية التي نسباها إليه، أو الصورة التي رسماها له في أذهان الناس، بالرغم من أنه

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص256.

«عليه السلام» كان يحارب اليهود والمشركين آنئذٍ.

4 - إن الأوامر التي أصدرها علي «عليه السلام» لجيشه قد قضت بأن لا يتبعوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، وأن لا يهيجوا امرأة، وإن شتمن أعراضهم، ولا يكشفوا ستراً الخ..

وهذا يكذب ما زعمه طلحة والزبير للناس، فلا عذر لأتباعهم في إمعانهم في قتل الناس، وفي إظهار هذه الشراسة في الحرب..

5 - وقد كان يمكن لأولئك الناس: أن يسألوا أنفسهم عن أنه إذا كان هذا هو حال علي «عليه السلام» في القسوة والإقدام على سفك الدماء إلى حد استئصال أهل البصرة بأجمعهم، وانتهاك الحرمات، وقتل الذرية، وسبي النساء المسلمات، فكيف يُجْمِع صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله» على البيعة له، وتأميره على الأمة، وجعلوه أميناً على دماء الناس وأعراضهم، وأموالهم؟!

وأين هي التقوى والغيرة منهم على مصلحة الأمة؟! وألم يكن الأجدر بهم أن يتركوه وشأنه بعد أن امتنع من قبول هذا الأمر منهم؟!

ولماذا بقوا يلاحقونه ثمانية أيام أو أكثر من بيت إلى بيت، ومن بستان إلى بستان، ليقبل منهم هذا الأمر؟!

6 - وبعدما تقدم نقول: ألا ترى معي أيها القارئ الكريم: أن طلحة والزبير قد لجآ إلى هذا الأسلوب الرخيص، حين عجزا عن مقارعة علي «عليه السلام» الحجة بالحجة، وعجزا عن إقناع الناس بأباطيلهما، وخشيا أن يشك الناس في أمرهما، وأن يترددوا

في نصرتهما، فاتبعا نفس السبيل الذي اتبعه فرعون في مواجهته لنبي الله موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام»، فإن فرعون حين عجز عن مواجهة موسى «عليه السلام» بالحجة، وأظهر موسى المعجزات الكبرى، لجأ إلى الكذب على الناس، والتدليس عليهم بإيهامهم أن موسى الذي جاء ليدفع شر فرعون عنهم، ويحررهم من بغيه وقهره، وأبطل كيده بمعجزته وأبار سحر سحرته، - إن فرعون - أوهمهم أن موسى «عليه السلام» جاء ليخرجهم من أرضهم بسحره، وأن فرعون يريد تخليصهم من موسى «عليه السلام» وقال لهم: **(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)**[1].

وذلك ليثير فيهم غريزة الدفاع عن النفس، وعن المال والوطن. بعد أن أخرج نفسه عن دائرة الإستهداف والتحدي، وأراد أن يصرف أنظارهم عن أن معجزة موسى «عليه السلام» قد أبطلت دعوى الربوبية من فرعون، وأبارت كيده، وأظهرت تدليسه وكذبه، ومرغت أنفه بتراب المذلة، والسقوط.

وقد اتبع طلحة والزبير هذا الأسلوب الفرعوني بالذات، حيث إنهما بعد أن أقام علي «عليه السلام» الحجة عليهما، وأبطل كيدهما، وفضح أكاذيبهما، حاولا أن يخيفا الناس من علي «عليه السلام»، وأن

---

(1) الآية 29 من سورة غافر.

يوهماهم بأنهم إن لم يقاتلوه أشد قتال، فإنه سوف يفنيهم، وينتهك حرماتهم، ويهتك حريمهم، ويبيد ذريتهم، ويسبي نساءهم. وركزا على موضوع انتهاك الأعراض ليثيرا غيرتهم وحميتهم، وليحشراهم في الزاوية، فلا يبقى خيار أمامهم غير حربه والإنتصار عليه..

فالخطر متوجه إليهم. وكأن طلحة والزبير لا ناقة لهم في هذا الأمر ولا جمل..

ولأجل ذلك: استقتل الناس، وأعلنوا عن أن ما يهمهم هو قتل علي وولديه الحسن والحسين «عليهم السلام»، كما ورد في رجز عوف بن قطن أشد قتال، لأنه «عليه السلام» ـ كما زعم طلحة والزبير ـ إن علاهم، وتغلب عليهم، فسوف يفنيهم، ويصيرهم رميماً. وخصهم بجوره وعمهم، كما ورد في الرجز الذي كانوا يرددونه.

لا يـــغلـــبن سم العدو سمكم إن العـــدو إن علاكـــم رمكـــم
وخصكم بجـــوره وعـــمكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم[1]

الأنصار في حرب الجمل:

وقد أظهر الشعر الذي قاله أبو الهيثم بن التيهان، والرجز الذي قاله زياد بن لبيد، وخزيمة بن ثابت، والحجاج بن عمرو: أن مشاركة

(1) شجرة طوبى ج2 ص323 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص255 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج2 ص47.

الأنصار في حرب الجمل كانت مشهودة ومتميزة، وأن دافع مشاركتهم ليس رأيهم السياسي، أو ميلهم القلبي لهذا الفريق دون ذاك.. ولا كان ذلك لأجل أنهم رأوا أن مصالحهم تفرض عليهم تأييد فريق على فريق.. بل كان لدوافع إيمانية، لأنهم يرون علياً «عليه السلام» إماماً ووليّاً؛ فالمشاركة إذن قد جاءت من منطلق إيماني، وبدافع عقائدي بالدرجة الأولى.

ولأنهم يرون أيضاً ـ كما ألمح ابن التيهان ـ: أن نصرتهم لعلي «عليه السلام» امتداد لنصرتهم للنبي «صلى الله عليه وآله»..

هذا بالإضافة إلى دوافع أخلاقية وسلوكية، هي: أنهم يرون أن الفريق الآخر، قد افترى وكذب فيما يدَّعيه علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكذب أيضاً فيما يدَّعيه، من أن هدفه هو الأخذ بثارات عثمان. ونحو ذلك.

وكل هذه الأمور تعبر عن مزايا أخلاقية كانت لدى الأنصار، وعن تدين والتزام بما يفرضه عليهم الشرع والدين، وتسوقهم إليه عقيدتهم، ويدعوهم إليه إيمانهم..

يا رب سلِّم لنا علياً!!:

هذا.. وقد أظهرت بعض الأرجاز التي مرت معنا، كالرجز الذي قاله حجر بن عدي، وهو يدعو لعلي «عليه السلام» بالسلامة والحفظ: أن ثمة مستوى آخر من الوعي لدى فريق من أصحاب علي

«عليه السلام» يفرض عليهم اهتمامات ومفردات تعامل ذات طابع أرقى مما عرفناه وألفناه لدى مجتمعات تلك الحقبة الزمنية، فهذا حجر بن عدي ينصب اهتمامه في الرجز الذي أنشأه على الابتهال إلى الله تعالى: بأن يسلِّم لهم علياً «عليه السلام»، ليدلنا بذلك على أنه يعلم أن الأمور بيد الله تعالى، وأنه هو الذي يحمي، ويحفظ، ويسلِّم، وليس كثرة الجيوش، وما يمكن أن يهيئه البشر من عدة وسلاح.

نعم.. لقد كانت سلامة علي «عليه السلام» هي مصب اهتمامهم، وليس الحصول على النصر، ولا التمكين من قتل الأعداء، ولا غير ذلك، لأن في حفظه حفظ الدين وعز المسلمين.

وقد أظهرت كلمات حجر بن عدي: أن ما يجده في علي «عليه السلام» من سمات وصفات هي التي شدته إليه، فهو «عليه السلام» كما يصرح به حجر في دعائه:

1 - المبارك.

2 - المضي.

3 - المؤمن.

4 - الموحد.

5 - التقي.

6 - السديد الرأي، الذي لا تجد فيه أي خطل أو خلل.

7 - الهادي الذي ليس بغوي.

8 - المهدي.

9 - الموفق.

وهذه المزايا هي التي جعلت قلب حجر بن عدي يتعلق بعلي «عليه السلام»، وهي نموذج من الصفات الإنسانية الصافية الرضية، التي لا تشوبها أية شائبة، ولا يدخلها أي حظ من الدنيا. بل لا يتوهم فيها ذلك، لأنها من أعمال القلب، وشؤون النفس والروح، وحالات العقل..

فليست هي من قبيل صفة الشجاعة والإقدام التي يمكن أن تختزن في داخلها حظاً من الدنيا، أو أن تتلاقى في بعض وجوهها وحالاتها مع الباطل..

وتعلق حجر بن عدي بعلي «عليه السلام»، انطلاقاً من هذه الصفات والميزات يدل على أن طهر روحه، وصفاء نفسه، وسلامة فطرته، كانت هي المهيمنة على قراره ومساره، وقديماً قيل: وشبه الشيء منجذب إليه.

حفظ النبي ′ بحفظ علي ×:

وما أروع قول حجر بن عدي:

..... واحفظــه ربــي واحفــظ النبيــا
فـــيـــه فقد كان لـه ولـياً ثـــم ارتضاه بعده وصـــيا

فإنه يدل على بعد نظر، وفهم عميق للأمور، وعلى أنه «رحمه

الله» لا يقاتل مع علي «عليه السلام»، دفاعاً عن علي كشخص، بل لأنه يرى أن علياً «عليه السلام» امتداد للنبي «صلى الله عليه وآله»، وأن حفظ علي «عليه السلام» حفظ للنبي «صلى الله عليه وآله» من حيث هو نبي، لأنه هو الولي والوصي له، والحافظ لرسالته..

ولم نر أحداً يدعي هذا لغير علي «عليه السلام»، فحتى أولياء أبي بكر وعمر عثمان ومحبوهم، وأتباعهم، لم يكونوا يرون ذلك فيهم، ولم يحاربوا معهم ليحفظوا النبي «صلى الله عليه وآله» فيهم..

وإنك لتجد معظم أشعار وأراجيز أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» تنضح بهذا الأمر، وتؤكد على أن وصايته وولايته وإمامته، وموقعه في هذا الدين هو الذي يدعوهم لقتال أعدائه ومناوئيه، ويرون أنه يكفيهم حفظ نفس علي «عليه السلام»، لأن في ذلك حفظ الدين وبقاؤه.

ذو الشهادتين يخاطب عائشة:

وقد دلنا قول ذي الشهادتين:

إذا قيل ماذا عبت منه رميته بقتل ابن عفان وما تلك آيدة

وكذلك سائر أشعار مناوئيه «عليه السلام» على أن أعداء علي «عليه السلام» ما كانوا يجدون سبيلاً للطعن في علي «عليه السلام» غير أمرين:

الأول: الإفتراء عليه ورميه بما هو بريء منه، وهو قتل عثمان.. ونحو ذلك من أمور لا أساس لها.

الثاني: الحقد والضغينة والبغض الذي لا يرضاه الله ولا رسوله. وحسب علي «عليه السلام» بذلك فخراً ومجداً، وكرامة وسؤدداً.

الفصل

قتل طلحة..

هكذا قتل طلحة:

روى إسماعيل بن عبد الملك، عن يحيى بن شبل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه «عليهما السلام» قال: حدثني أبي علي زين العابدين «عليه السلام» قال:

قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس يوم الجمل قد انكشفوا قلت: والله لأدركن ثاري، ولأفوزن به الآن، فرميت طلحة فأصبت نساه، فجعل الدم لا يرقأ؛ فرميته ثانية، فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة، فبقي تحتها ينزف الدم حتى مات.

وروى ابن سليمان، عن ابن خيثمة قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً ـ وقد ذكر عثمان وقتلته وطلحة ـ: ولولا أن أبي قتله لم يزل في قلبي جرح منه إلى اليوم.

وقال عبد الملك؛ سمعت أبي يقول: نظرت إلى طلحة يوم الجمل وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا عينيه، فقلت: كيف لي به، فنظرت

إلى فتق في درعه، فرميته، فأصبت نساه فقطعته، فإني أنظر إلى مولى له يحمله على ظهره مولياً، فلم يلبث أن مات[1].

وروى عبد الحميد بن عمران، عن ابن كعب القرظي، عن رواح بن الحارث، عن عمير قال: لقيت طلحة بن عبد الله فقلت له: يا أبا محمد، ما أخرجك إلى ههنا؟! أفلم تبايع علياً بالمدينة طايعاً غير مكره؟!

قال: دعني، والله ما بايعته إلا واللج على عنقي.

فلما التقى الناس يوم الجمل جاءه سهم غرب، فقطع نساه، فنزف الدم حتى مات[2].

وروى أبو سهل عن الحسن قال: لما رمي طلحة ركب بغلاً وقال لغلامه: التمس لي مكاناً أدخل فيه.

فقال الغلام: ما أدري أين أدخلك.

فقال طلحة: ما رأيت كاليوم أضيع من دم شيخ مثلي!

---

(1) الجمل للمفيد ص383 و (ط مكتبة الداوري) ص204 وقال في هامشه: قارن بطبقات ابن سعد ج3 ص223 وتاريخ المدينة المنورة ج4 ص1170 وتهذيب التهذيب ج5 ص20.

(2) الجمل للمفيد ص384 و (ط مكتبة الداوري) ص204 و 205 وقال في هامشه: قارن بتاريخ الطبري ج4 ص462 والعقد الفريد ج4 ص321 والكامل ج3 ص239 والنص والإجتهاد ص447.

قال الحسن: **(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)**[1]»[2].

وروى علي بن زيد بن جدعان قال: لما بلغ طلحة أن الزبير قد اندفع ذهب في طلبه، وقد التقى ـ وهم لا يعلمون ـ برجوع الزبير، فمر مروان بن الحكم فرآه، فقال: لا أطلب ثاري بدم عثمان بعد اليوم والله، وقاتل عثمان بين أعجاز الإبل وصدورها. ثم رماه بسهم فقتله[3].

وروى سفيان بن عيينة، عن أبي موسى، عن الحسن بن أبي الحسن قال: خرج طلحة بن عبيد الله من رساتيق أقطعه إياها عثمان بن عفان، إن كان بعضها ينيخ به ألف راكب ثم يروحون، فلم يعرف

---

(1) الآية 38 من سورة الأحزاب.

(2) الجمل للمفيد ص384 و (ط مكتبة الداوري) ص205 وقال في هامشه: الفتوح م1 ص484 - 485 وقارن بأنساب الأشراف ص246 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص182 والمغني ج20 ق2 ص88 والشافي ج4 ص339 وشرح نهج البلاغة ج9 ص213.

(3) الجمل للمفيد ص384 و (ط مكتبة الداوري) ص205 وقال في هامشه: قارن بمصنف ابن أبي شيبة ج7 ص542 وتاريخ خليفة بن خياط ص181 وأنساب الأشراف ص246 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص182 وشرح الأخبار ج1 ص403 والإستيعاب ج2 ص222 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص207 وتذكرة الخواص ص77 وشرح نهج البلاغة ج9 ص113 ونهاية الإرب ج20 ص87.

له ذلك حتى سعى في دمه.

فلما كان يوم البصرة خرج للقتال، وقد لبس درعا استجنَّ بها من السهام، إذ أتاه سهم فأصابه **(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)**.

ورأيته يقول حين أصابه السهم: ما رأيت كاليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعي!

قال الحسن: وقد كان قبل ذلك جاهد مع رسول الله، ووقاه بيده، فضيع أمر نفسه.

ولقد رأيت قبره مأوى السقائين، فيضع عنده أحدهم قربته ثم يقضي حاجته.

فما رأيت أعجب من هؤلاء القوم!

وأما الزبير فإنه أتى حياً من أحياء العرب، فقال: أجيروني. وقد كان قبل ذلك يجير ولا يجار عليه.

ثم قال الحسن: وما الذي أخافك؟! والله ما أخافك إلا ابنك.

قال: فاتبعه ابن جرموز في تلول من أتاليل العرب، والله ما رأيت مثله أحداً قط، فضاع دمه.

وهذا قبره بوادي السباع مخرأة الثعالب!

خرجا، ولما خرجا لم يدركا ما طلبا، ولم يرجعا إلى ما تركا؛

فعز على هذه الشقوة التي كتبت عليهما[1].

وروى قيس بن أبي حازم قال: رمي طلحة بسهم في ركبتيه، فجعل يعدو والدم يفور، فإذا أمسكوا رأس الجرح انتفخت ركبته.

فصاح: دعوه فإنه سهم أرسله الله؛ فلم يزل الدم ينزف حتى مات.

فدفنوه على شاطئ الفرات.

فرأى بعض الناس في النوم طلحة يقول: أريحوني من هذا الماء، فإني في أذى شديد.

رأى الرجل تلك الرؤيا ثلاث ليال؛ فنبشوه فإذا قبره قد اخضرَّ كأنه السلق، فاستخرجوه، فأخذ ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض.

فاشتريت له داراً من دور آل بكر بعشرة آلاف درهم، فدفن فيها[2].

---

(1) الجمل للمفيد ص385 و (ط مكتبة الداوري) ص205 و 206 وقال في هامشه: قارن بشرح نهج البلاغة ج9 ص113 - 114.

(2) الجمل للمفيد ص385 و 386 و (ط مكتبة الداوري) ص206 وأشار في هامشه إلى: طبقات ابن سعد ج3 ص223 - 224 وتاريخ خليفة بن خياط ص186 ومصنف ابن أبي شيبة ج7 ص536 وأنساب الأشراف ج2 ص246 والعقد الفريد ج4 ص321 - 322 والإستيعاب ج2 ص223 - 224 والرياض النضرة م2 ص230 - 231 والتمهيد والبيان ص223 - 224 ونهاية الإرب ج20 ص88 وتاريخ الإسلام ص528 وسمط النجوم

فهذه الأخبار جملة مختصرة صحيحة في قتل طلحة بن عبيد الله، طريقها من العامة من أوضح طريق، وأسنادها أصح أسانيد، وليس بين الأمة فيها اختلاف، وكل يدل على أن طلحة قتل وهو مصر على الحرب غير نادم ولا مرعوٍّ، وكلٌّ غير وفاق لمذهب الحشوية، وخلاف على مذهب المعتزلة، وشاهد ببطلان ما ادعوه من توبته(1).

مروان يرمي طلحة:

وذكروا: أن مروان نظر إلى طلحة يوم الجمل، فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فرماه بسهم فقتله(2).

ثم التفت إلى أبان بن عثمان، فقال: قد كفيتك [كفينا] بعض قتلة

ج2 ص445.

(1) الجمل للمفيد ص386 و (ط مكتبة الداوري) ص206 و 207 وقال في هامشه: راجع: الإنتصار ص98 وشرح نهج البلاغة ج1 ص9 وج14 ص24 وج20 ص34.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص112 و 113 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص207 والمستدرك للحاكم ج3 ص417 و 370 والرياض النضرة ج4 ص230 والإستيعاب (ط دار الجيل) ص768 رقم 1280 وأسد الغابة ج3 ص88 رقم 2625 والإصابة ج2 ص230 وأنساب الأشراف ج2 ص267 و (ط مؤسسة الأعلمي سنة 1394هـ) ص246 ومروج الذهب ج2 ص365 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص223 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص374 والمناقب للخوارزمي ص183.

أبيك[1].

وكان السهم قد وقع في عين ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات[2].

وقالوا: فكانوا إذا أمسكوها انتفخت، وإذا أرسلوها انبعثت.

فقال: دعوها فإنها سهم أرسله الله[3].

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص113 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص207 والإستيعاب (ط دار الجيل) ص768 رقم 1280 وتاريخ خليفة ص185 و (ط دار الفكر) ص139 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص374 وأسد الغابة ج3 ص61 وسير أعلام النبلاء ج1 ص36 وأنساب الأشراف للبلاذري ص246 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص487 وتاريخ المدينة لابن شبة ج4 ص1171.

(2) المستدرك للحاكم ج3 ص370 والمعجم الكبير ج1 ص113 ومجمع الزوائد ج9 ص150 والإصابة ج3 ص432 وعن يعقوب بن سفيان بسند صحيح، وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص112 و 113 والأخبار الطوال ص148 وسير أعلام النبلاء ج1 ص35 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص486.

(3) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص112 و 113 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص207 وتاريخ خليفة بن خياط ص186 و (ط دار الفكر) ص139 والإستيعاب (ط دار الجيل) ص768 رقم 1280 وراجع: الملاحم والفتن لابن طاووس ص223 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص708 وراجع 716 وج7 ص256 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص114 والطبقات

فقال طلحة يوم الجمل، حين ولّى:

نـدمــت نــدامـة الـكسعي لما شـريـت رضا بني جرم برغمي

اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[1].

ويؤكد هذا الأمر ما يلي:

1 - قال ابن عبد البر: «ولا يختلف العلماء في أن مروان قتل طلحة»[2].

2 - وقال محب الدين الطبري: «المشهور: أن مروان بن الحكم

الكبرى لابن سعد ج3 ص224 وأسد الغابة ج3 ص61 وأنساب الأشراف للبلاذري ص246 و 247 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص528 والجمل للمفيد ص206 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص17.

(1) راجع: مروج الذهب ج2 ص365 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص766 وتاريخ خليفة بن خياط ص186 و (ط دار الفكر) ص139 وأسد الغابة ج3 ص104 و (ط دار الكتاب العربي) ج3 ص60 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص44 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص109 و 114 وراجع ج39 ص474 وراجع: الفتنة ووقعة الجمل ص158 والفايق في غريب الحديث ج3 ص155 وتاريخ المدينة لابن شبة ج4 ص1238 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص17.

(2) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص766 رقم1280 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص373 عنه، وتهذيب التهذيب ج5 ص20 والوافي بالوفيات ج16 ص272.

هو الذي قتله»[1].

3 - وروى بعضهم: أنه سمع عبد الملك بن مروان يقول: لولا أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه قتل طلحة, ما تركت أحداً من ولد طلحة إلا قتلته[2].

4 - وأخرج الحميدي في النوادر، من طريق سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن مروان قال: دخل موسى بن طلحة على الوليد، فقال له الوليد:

«ما دخلت علي قط إلا هممت بقتلك، لولا أن أبي أخبرني أن مروان قتل طلحة»[3].

وقتل مروان لطلحة مذكور في مختلف المصادر[4].

وقيل: إن قاتل طلحة رجل آخر، وقد جاء رجل يوم الجمل إلى

---

(1) الرياض النضرة ج4 ص230 و (ط أخرى) ج2 ص295.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص223 وتاريخ مدينة دمشق ج68 ص155 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 .

(3) تهذيب التهذيب ج5 ص20 وتاريخ مدينة دمشق ج60 ص424

(4) راجع على سبيل المثال: مروج الذهب ج2 ص364 والعقد الفريد ج4 ص128 والكامل في التاريخ ج2 ص338 وصفة الصفوة ج1 ص341 ودول الإسلام ص23 والبداية والنهاية ج9 ص269 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 وتاريخ ابن شحنة ج1 ص217 وتذكرة الخواص(ط النجف) ص77 ومرآة الجنان ج1 ص97 وأسد الغابة ج7 ص61.

علي «عليه السلام»، فقال: إئذنوا لقاتل طلحة.

قال: فسمعت علياً يقول: بشره بالنار[1].

وقيل: أصابه سهم غرب فقتله[2].

في ركبته أم في أكحله؟!:

وقد اختلفت الروايات في الموضع الذي أصيب فيه طلحة، فبعضها تقول: إنه أصيب في عين ركبته، وقد تقدم ذلك.

وأخرى تقول: إنه أصيب في أكحله[3].

أو أصيب في ثغرة نحره[1].

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص225 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص116.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص110 و 122 وتاريخ خليفة بن خياط ص135 وتهذيب الكمال ج13 ص421 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص518 - 519 والفتنة ووقعة الجمل ص157 - 158 والكامل في التاريخ لابن الأثير ج3 ص243 - 244 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص479 - 480. وراجع: تاريخ المدينة لابن شبة ج4 ص1238 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص418.

(3) راجع: مروج الذهب ج2 ص365 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص33 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص113 والجمل للمفيد ص200 والكنى والألقاب ج1 ص239.

ولعل السهام قد تواترت على طلحة، فأصابت كل هذه المواضع فيه.

قتل طلحة بعد الهزيمة:

وذكروا: أن مروان قتل طلحة بعد أن هزموا(2).

وفي مقابل ذلك نجد أنهم يقولون: إن طلحة كان (من) أول قتيل(3).

وفي نص آخر: فلما شبت الحرب قال مروان: لا أطلب بثأري

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص113 و 114 وتاريخ خليفة بن خياط ص185 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص766 و 768 وتاريخ خليفة بن خياط ص139 وأسد الغابة ج3 ص60 وتاريخ المدينة ج4 ص1170 والوافي بالوفيات ج16 ص272.

(2) المستدرك للحاكم ج3ص370.

(3) مختصر تاريخ دمشق ج11 ص205 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص108 وج18 ص415 وفتح الباري ج7 ص66 وعمدة القاري ج16 ص226 وتحفة الأحوذي ج10 ص165 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص768 وتاريخ خليفة بن خياط ص138 والتاريخ الصغير للبخاري ج1 ص100 وتهذيب الكمال ج13 ص420 وسير أعلام النبلاء ج1 ص35 والإصابة ج2 ص461 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص505 و 506.

بعد اليوم فرماه إلخ..[1].

طلحة: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى:

أما ما قالوه: من أن طلحة كان يقول يوم الجمل: إنا كنا قد داهنا[2] في أمر عثمان، فلا نجد اليوم شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه. اللهم فخذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى[3].

ونحن نرى: أن هذا الكلام فيه تدليس ومداهنة أيضاً، فلاحظ ما يلي:

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص112 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص374 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص256 وج8 ص716 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص768 و 769 وتاريخ خليفة بن خياط ص135 و 139 وأسد الغابة ج3 ص61 وتهذيب الكمال ج13 ص422 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 وأنساب الأشراف ص246 والمناقب للخوارزمي ص183.

(2) المداهنة: إظهار خلاف ما يضمر. والإدهان: الغش . ودهن الرجل: إذا نافق. راجع: لسان العرب ج13 ص162.

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص222 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص109 رقم2983 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص204 وتذكرة الخواص(ط النجف ـ العراق) ص77 وسير أعلام النبلاء ج1 ص35 وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص72 و (تحقيق الشيري) ج1 ص97 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص277 وج8 ص710 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص486.

أولاً: إن طلحة لم يداهن في أمر عثمان، بل كان قائداً ميدانياً شديد الوطأة على عثمان. ومن كان كذلك لا يكون مداهناً، بل يكون صريح العداوة، معلناً لها، ومصراً عليها. فإن المداهن هو الذي يرى منكراً ويقدر على دفعه، ثم لا يدفعه، حفظاً لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلة المبالاة بالدين(1). كما يقوله اللغويون.

ثانياً: إن طلحة كان يعلم أنه لم يكن يبذل دمه لأجل عثمان، بل لأجل الملك والمال، لأنه يعلم أن علياً «عليه السلام» لم يقتل عثمان، وأن قتلته ليسوا في جيش علي «عليه السلام»، بل في مصر، أو في غيرها من البلاد، وأنه هو والزبير وعائشة كانوا من أشد المساعدين على قتله.. وعلي «عليه السلام» كان أبرأ الناس من دم عثمان..

ثالثاً: لعل هدف طلحة من هذا الكلام: إثارة حماس الناس في القتال ضد علي «عليه السلام»، ودعوتهم لمواصلة الحرب، حتى لو قتل طلحة وسواه، ليكون بذلك قد تحمل أوزار تلك الحرب في حياته وبعد مماته..

رابعاً: إن قول طلحة: «خذ لعثمان مني حتى ترضى». يشير إلى أنه يرى: أن ما ارتكبه في حق عثمان ـ كان إلى حد يستحق معه أن يسفك دمه.. ويتأكد ذلك إذا كان قول طلحة هذا، قد جاء بعد أن رمي بسهم مروان، وأحس بقرب أجله..

---

(1) أقرب الموارد ج1 ص357.

مروان يقتل طلحة:

هذا.. وقد قال الذهبي أيضاً: «..ورمى مروان طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي ـ أحد العشرة ـ بسهم، فقتله. ومناقبه كثير»[1].

وقتل مروان لطلحة مذكور في مختلف المصادر[2].

وقال الحاكم: «ورمى مروان بن الحكم طلحة بن عبد الله بسهم، فشك ساقه بجنب فرسه، فقبض به الفرس، حتى لحقه فذبحه.

فالتفت مروان إلى أبان، وهو معه، فقال: لقد كفيتك أحد قتلة أبيك».

وفي نص آخر: أن مروان قال: لا أدرك بثاري بعد اليوم من طلحة[3].

وقالوا: إن طلحة كان أول قتيل، كما عن ابن عبد ربه، وابن عبد البر، والذهبي[4].

---

(1) العبر للذهبي ج1 ص27.

(2) الثقات ج2 ص283 والمستدرك للحاكم ج3 ص370 وتلخيصه للذهبي (بهامشه)، والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص223.

(3) المستدرك ج3 ص371 وتلخصيه للذهبي (بهامشه)، وأسد الغابة ج3 ص60 و 61.

(4) راجع: أحاديث أم المؤمنين عائشة ص332 عن سير أعلام النبلاء ج1 ص82 ـ 83 والعقد الفريد ج4 ص321 والإستيعاب ص207 و 208

وعن المدائني: لما أدبر طلحة، وهو جريح يرتاد مكاناً ينزله جعل يقول لمن يمر به من أصحاب علي:

أنا طلحة، من يجيرني؟! يكررها.

قال: فكان الحسن البصري إذا ذكر ذلك يقول: لقد كان في جوار عريض[1].

وقالوا: ثم مات ودفنوه بالسبخة[2].

وقال المسعودي عن مروان: قال لما رأى طلحة: ما أبالي رميت ها هنا أم ها هنا ـ جيش علي، أو جيش البصرة!! ـ فرماه في أكحله فقتله، فمر به علي بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قرة، فوقف

الترجمة رقم 875 و (ط دار الجيل) ج2 ص768 وراجع: مختصر تاريخ دمشق ج11 ص205 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص108 وج18 ص415 وفتح الباري ج7 ص66 وعمدة القاري ج16 ص226 وتحفة الأحوذي ج10 ص165 وتاريخ خليفة بن خياط ص138 والتاريخ الصغير للبخاري ج1 ص100 وتهذيب الكمال ج13 ص420 وسير أعلام النبلاء ج1 ص35 والإصابة ج2 ص461 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص505 و 506.

(1) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص231 عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص431 و (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج9 ص115.

(2) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص231 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 هامش ص417 و الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص479.

عليه، فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، والله لقد كنت كارهاً لهذا أنت والله كما قال القائل:

فـتى كان يدنيه الفتى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كـأن الـثريـا علقت في يمينه وفـي خده الشعرى وفـي الآخر البدر

وذكر أن طلحة لما ولىَّ سُمِعَ وهو يقول:

نـدامـة ما ندمت وضل حلمي ولهفي ثـم لـهف أبـي وأمـي
نـدمـت نـدامة الكسعي لما طلبت رضـا بنـي جـرم بزعمـي

وقيل: وقد سمع وهو يقول هذا الشعر، وقد جرحه في جبهته عبد الملك. وقد رماه مروان في أكحله، وقد وقع صريعاً يجود بنفسه[1].

وفي نص آخر: رماه بسهم فأصاب ركبته، فما رقأ الدم حتى مات. وقال: لا يختلف العلماء الثقات في أن مروان قتل طلحة يومئذ، وكان في حزبه[2].

---

(1) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص230 والمسعودي في مروج الذهب ج2 ص364 و 365.

(2) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص228 عن المصادر التالية: الإستيعاب ص207 و 208 و (ط دار الجيل) ج2 ص766 و 769 وتاريخ اليعقوبي (ط النجف) ج2 ص158 والعقد الفريد ج4 ص321 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص 84 - 87 والإصابة ج2 ص222 وأسد الغابة ج3ص60 و 61 .

وفي نص آخر: «فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفاً، فقال: والله إن دم عثمان عند هذا هو كان أشد الناس عليه. وما أطلب أثراً بعد عين، ففوَّق له بسهم، فرماه به فقتله»[1].

وفوقة السهم: رأسه، أي جعل رأس السهم في الوتر ليرمي.

لكن ابن أعثم يقول:

وجعل طلحة ينادي بأعلى صوته: عباد الله! الصبر الصبر! إن بعد الصبر النصر والأجر.

قال: فنظر إليه مروان بن الحكم، فقال لغلام له: ويلك يا غلام! والله إني لاعلم أنه ما حرض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة، ولا قتله سواه! ولكن استرني فأنت حر.

قال: فستره الغلام، ورمى مروان بسهم مسموم لطلحة بن عبيد الله، فأصابه به، فسقط طلحة لما به وقد غمي عليه.

ثم أفاق فنظر إلى الدم يسيل منه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أظن والله أننا عنينا بهذه الآية من كتاب الله عز وجل إذ

وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج7 ص256 وج8 ص716 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص373 والغدير ج9 ص97 وتهذيب التهذيب ج5 ص20 والوافي بالوفيات ج16 ص272.

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص223 و (ط دار صادر) ج5 ص38 وتاريخ مدينة دمشق ج57 ص259.

يقول: **(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)**[1].

قال: ثم أقبل على غلامه، وقد بلغ منه الجهد، قال: ويحك يا غلام! اطلب لي مكانا أدخله فأكون فيه.

فقال الغلام: لا والله ما أدري أين أنطلق بك!

فقال طلحة: يا سبحان الله! والله ما رأيت كاليوم قط! دم قرشي أضيع من دمي، وما أظن هذا السهم إلا سهماً أرسله الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

فلم يزل طلحة يقول ذلك، حتى فات، ومات، ودفن.

ثم وضع في مكان يقال له: السبخة، ودخل من ذلك على أهل البصرة غمّ عظيم، وكذلك على عائشة لأنه ابن عمها.

وجاء الليل فحجز بين الفريقين[2].

وقال الطبري:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر قال: قال طلحة يومئذ: اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى؛ فجاء سهم غرب وهو واقف، فخلّ ركبته بالسرج،

---

(1) الآية 25 من سورة الأنفال.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص326 و 327 و (ط دار الأضواء) ج2 ص478 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص241 عنه.

وثبت حتى امتلا موزجه دماً.

فلما ثقل قال لمولاه: اردفني، وابغني مكاناً لا أُعرف فيه، فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً [مني].

فركب مولاه، وأمسكه وجعل يقول: قد لحقنا القوم، حتى انتهى به إلى دار من دُور البصرة خربة، وأنزله في فيئها، فمات في تلك الخربة، ودفن «رضي الله عنه» في بني سعد[1].

وفي نص آخر:

فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير:

فـإن تـكن الـحوادث أقصدتني وأخطـأهن سـهمي حـين أرمـي
فـقد ضـعيت حـين تبعت سهماً سـفاها مـا سـفهت وضـل حلمـي
نـدمت ندامة الكسعـي لـمـا شريت رضى بني سـهم برغمـي
أطـعـتـهـم بفـرقة آل لأي فـألقوا للسـباع دمـي ولحـمـي[2]

التأييد بالرجل الفاجر:

إن المصادر والنصوص لا تدع مجالاً للشك في أن مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة بن عبيد الله، استناداً إلى أنه هو قاتل

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص527 و 528 و 508 و (ط الأعلمي) ج3 ص534.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص508 و (ط الأعلمي) ج3 ص519.

عثمان.

وهذا يدعونا إلى تسجيل الأمور التالية:

أولاً: إن قتل مروان لطلحة قد جاء ليقطع الشك باليقين في أن الناكثين قد كذبوا على الناس، بادِّعائهم: أن علياً «عليه السلام» قد قتل عثمان، أو ساهم في قتله من قريب، أو من بعيد، بل هو يكذب دعواهم أنه رضي أو وافق على ما جرى.

إن قتل مروان لطلحة، استناداً إلى حقيقة أنه هو قاتل عثمان قد أبطل كل هذه الدعاوى، وبيَّن كذب الناكثين. ومنهم مروان فيما ادَّعوه على علي «عليه السلام» في ذلك، وبيَّن لكل أحد مظلوميته «صلوات الله وسلامه عليه».

ثانياً: إنه يدل على أن ما يدَّعونه على علي «عليه السلام» من أنه قد حمى القتلة، ودافع عنهم هو الآخر من الباطل الذي لا أساس له، ولا منطق يساعده.

ثالثاً: إن هذه التبرئة للمظلوم قد جاءت من قبل الظالم نفسه، ومن العدو لعدوه. ومن المدَّعي للمدَّعى عليه، ومن شريك للظالمين في ظلمهم، وفي حربهم التي شنوها على الإمام علي «عليه السلام».

رابعاً: إن مروان وإن كان قد أصاب فيما نسبه إلى طلحة، ولكنه أخطأ حين بادر هو إلى الإقتصاص من طلحة بزعمه، وذلك لما يلي:

ألف: لأن مروان ليس ولي دم عثمان، بل أولاد عثمان هم أولياء دمه.

ب: حتى لو كان مروان ولي الدم، فإنه لا يحق له أن يبادر إلى عقوبة المجرم بنفسه، بل يجب عليه أن يرفع الأمر إلى ولي الأمر، والقاضي العادل لينظر فيه، وليكون هو الذي يحكم، وينفذ الحكم، أو يأمر بتنفيذه من شاء..

خامساً: إذا كان طلحة قد شارك في قتل عثمان، فإن عائشة قد أمرت بالقتل، فلماذا لم يوجه إليها مروان أية كلمة، ولم يعلن بلومها وتحميلها المسؤولية عما صدر منها من تحريض وحكم بالكفر، وأمر بالقتل.

كما أنه لم يطالب الزبير، ولا أحداً من أبنائه بما صدر من الزبير من تحريض على عثمان. فلماذا حصر انتقامه بطلحة دون كل أحد سواه؟!

سادساً: ألا يحتمل أن يكون مروان قد قصد قتل طلحة لعلمه بأن عائشة تسعى لتكريس الأمر له، فأراد أن يزيله من طريقه، فلعل عائشة تجعل له في هذا الأمر نصيباً؟!

وألا يحتمل أن يكون قد قتله للحسد، وحب الإنتقام، بدليل أنه قتله حين رأى الهزيمة قد حلت بفريقه؟! بل لعله قتله لأجل كلا الأمرين. أي أنه أراد أن يزيله من طريقه، كمنافس قوي، وقتله حسداً له، وحقداً عليه، وللإنتقام منه.

سابعاً: إن ما فعله مروان من الغدر بشريكه ورفيقه الذي يفترض أن يكون في موقع الأمن منه، هو عمل غير أخلاقي، حتى في عرف

أهل الجاهلية.. حتى لو كان الطرف الآخر ليس ملتزماً بالقيم والأخلاق.

وبعبارة أخرى: إن القيم والأخلاق لا بد أن تفرض نفسها، كطريقة حياة الناس من دون نظر إلى حال الآخرين، فنحن نتعامل مع الناس بأخلاقنا وقيمنا، لا بأخلاقهم وقيمهم..

فإن كانوا من الساقطين والكاذبين والخائنين، فلا نتعامل معهم بالكذب والخيانة، وإن كان يجب علينا أن نحذر منهم. ولا نمكنهم من إلحاق الضرر بنا، فيما يمارسونه من كذب وتزوير وخيانة. فمروان كان خائناً وغادراً بطبعه، ولذلك غدر بشريكه، وكان على المغدور أن يتوقع منه ذلك. إذ كل إناء بالذي فيه ينضح.

ثامناً: لعل مروان حين حدَّث الإمام السجاد «عليه السلام» بأنه قد غدر بطلحة كما تقدم، أراد أن يتزلف إليه، وأن يمن عليه بالقول بأنه قد أحسن إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، حين خلصه من أحد ألدّ أعدائه.

فإن كان الأمر كذلك، نقول:

1 - إن ما فعله، لا يعدو كونه غدراً قبيحاً لا يحمد عليه..

2 - إن ذلك كان جناية لا يرضاها الشارع، ويستحق العقاب عليها، لأنها ليست من ولي الدم، ولا بأمر من الحاكم العادل.

3 - إن قتله لطلحة لم يقدم ولم يؤخر في مصير الحرب، لأنه إن كان قد قتله بعد وقوع الهزيمة على الناس.. فهذا لم يفد شيئاً، وإن كان

قد قتله قبل الهزيمة، فمن المعلوم: أن الهزيمة لم تحصل بسبب قتل طلحة ولا الزبير، بل حصلت بسبب عقر جمل عائشة.

طلحة يقسم كاذباً:

وقد تقدم: أن طلحة قد أقسم أنه إنما بايع علياً «عليه السلام» والسيف على عنقه.. ومن المعلوم: أن الأمر لم يكن كذلك، بل بقي هو والزبير وسائر الصحابة يلاحقون علياً «عليه السلام» أياماً، ويصرون عليه بقبول البيعة له، وهو يأبى ذلك. فلما قبل كان طلحة أول من بايعه، فلماذا يقسم على الكذب؟!

طلحة الذليل الخائب:

وقد بينت النصوص المتقدمة: أن طلحة حين أصابه السهم، ورأى الدم لا يرقأ، وعجز عن أن يجد لنفسه ملاذاً يلتجئ إليه شعر بالمرارة، وبالمذلة والخيبة القاتلة، حتى قال حين لم يجد مكاناً يأوي إليه: لم أر كاليوم أضيع من دم شيخ مثلي..

وهذا الشعور سيكون هائلاً في شدته، وأثره في نفس شخص كان يضرب المثل في بأوه[1] وكبره وعنجهيته[2].. فيكون قد نال في هذه

---

(1) البأو: الكبر والفخر. راجع: لسان العرب ج14 ص63.

(2) العنجهية: الكبر والعظمة. راجع: لسان العرب ج13 ص513 والصحاح للجوهري ج6 ص2239.

الدنيا أقسى جزاء يمكن تصوره لأمثاله من المتكبرين..

وقد ضاعف هذه المرارة: أنه رأى نفسه محتاجاً إلى من يجيره، فلا يجد، حتى لقد ذكر المدائني: أنه حين ذهب ـ وهو جريح ـ يرتاد منزلاً، جعل يقول لمن يمر به من أصحاب علي «عليه السلام» أنا طلحة، من يجيرني.. يكررها. فلم يجبه أحد..

وقد عبر عن مرارته هذه، حين تمثل بالشعر المعروف:

نـدمت ندامة الكسعـي لـمـا شـريت بنـي جـرم برغمـي
أطـعـتـهـم بفـرقة آل لأي فألـقـوا للسبـاع دمـي ولحمي

عثمان يحسن وطلحة يسيء:

ويحاول بعض الناس ـ وهو الحسن بن أبي الحسن ـ: أن يصور عثمان بصورة المحسن إلى طلحة.. وأن طلحة قد قابل إحسانه بالإساءة، فيقول:

«خرج طلحة بن عبيد الله من رساتيق (جمع رستاق وهي: السواد أو

القرى) أقطعه إياها عثمان بن عفان، إن كان بعضها ينيخ به ألف راكب، ثم يروحون. فلم يعرف له ذلك»[1].

ونقول:

إنه لا ريب في أن نكران الجميل أمر مبغوض لله، وقبيح ممجوج عند العقلاء، وعامة الناس.. ولكننا لم نكن نتوقع من الحسن بن أبي الحسن أن يعتبر ما فعله عثمان مع طلحة من الجميل الذي يستحق الشكر عليه. بل هو قبيح سيء جداً من المعطي، وقبيح سيء أيضاً من الآخذ، لأن هذا السواد ليس ملكاً لعثمان، ليحق له أن يعطيه له، أو ليحق له هو أن يأخذه، بل هو مال الله جعله للمسلمين جميعاً.. فلا يجوز أعطاؤه لأي كان من الناس إلا برضاهم..

ومن أين؟! وأنى؟! ومتى؟!

الذل والخزي في الدنيا والآخرة:

وقد صورت لنا رواية الحسن بن أبي الحسن، والمدائني وروايات أخرى الذل والخزي الذي أصاب طلحة والزبير في حياتهما وبعد مماتهما.. فلاحظ ما يلي:

1 - أما في حال الحياة، فكلاهما يطلب من الناس أن يجيروه فلا

---

(1) الجمل للمفيد ص385 و (ط مكتبة الداوري) ص205 وقال في هامشه: قارن بشرح نهج البلاغة ج9 ص113 و 114.

يجيبه أحد. وقد رأيا بأم أعينهما دمهما يضيع، ولا يجدان حيلة لدفع ذلك، ولا سبيلاً للخروج من المأزق الذي أوقعا أنفسهما فيه..

بل إن طلحة يصرح: بأنه لم ير دم شيخ أضيع من دمه.. ويصرح الحسن بن أبي الحسن في روايته المتقدمة بضياع دم الزبير أيضاً..

2 ـ وأما في حال الممات.. وهما بعد في قبرهما، فقد ظهر الخزي لهما في أقبح وأبشع الصور، فقد أصبح قبرهما مخرأة للناس، حتى إن الحسن ليقول عن طلحة:

«ولقد رأيت قبره مأوى السقائين، فيضع عنده أحدهم قربته. ثم يقضي عنده حاجته. فما رأيت أعجب من هؤلاء القوم..»[1].

وقد ذكرت الرواية الأخيرة المتقدمة: أن طلحة قد دفن في خربة في بني سعد، في حين أن بعض الروايات المتقدمة ذكرت: أنه دفن أولاً على شاطئ الفرات، ثم نبش واستخرج، ودفن في دار اشتريت بعشرة آلاف..

ولعل المقصود: أن هذه الخربة التي في بني سعد هي التي اشتريت، ليدفن فيها.. ويحتمل غير ذلك أيضاً..

ثم يقول عن الزبير:

«فضاع دمه. وهذا قبره بوادي السباع مخرأة الثعالب».

---

(1) الجمل للمفيد ص385 و (ط مكتبة الداوري) ص205 وراجع شرح نهج البلاغة ج9 ص113 و 114.

فهل هناك من خزي أعظم من هذا؟!

ومن المعلوم: أن الذكر الحسن بعد الموت واستمرار التعظيم والتبجيل من الحياة إلى ما بعد الممات هو الآخر نعمة على الإنسان، وهو وإن لم يكن يشعر بها مباشرة، ولكن علمه بأنها ستكون له بعد موته يسلِّي خاطره، ويلذُّه وينعش نفسه..

كما أنه يعد عزاءً لذريته ومحبيه من بعده، ومصدر اعتزاز، ورفعة لهم..

ونحن نرى: أن الزبير قد عوقب بحرمانه، حتى من توقع هذا الأمر لنفسه، ثم عوقب بحرمان ذريته الذين هم على مثل رأيه من هذا الأمر، واستبداله بما يشعرون معه بالخزي والعار.. وهو أن يصبح قبر أبيهم أو جدهم، مخرأة للناس، وللثعالب..

3 ـ أما في الآخرة، فهناك الحساب العسير، والعقاب الأليم، على كل موبقاتهم وجرائمهم التي اقترفوها..

وصدق الحسن بن أبي الحسن حين اختصر حالتهما بقوله: «ولما خرجا لم يدركا ما طلبا، ولم يرجعا إلى ما تركا، فعزّ علي هذه الشقوة التي كتبت عليهما»[1].

---

(1) المصدران السابقان.

هل هذا من الجبر الإلهي؟!:

وقد ذكر الحسن بن أبي الحسن: أنه يعز عليه هذه الشقوة التي كتبت عليهما يعني على طلحة والزبير!.

ونقول للحسن بن أبي الحسن:

أولاً: لماذا يعز عليك ما جرى لهما؟! أليس هما اللذان اختارا لأنفسهما طريق الجريمة، والطغيان، والعدوان على الله ورسوله، وعلى العباد والبلاد؟!

وإن كان هذان الرجلان قد استقاما في بعض حياتهما، فإنهما قد عملا من الجرائم والموبقات في حق الدين والأمة، والإمام ما لا يمكن تقديره، ولا تبريره..

فهل يأسف الحسن بن أبي الحسن عليهما في ذلهما وخزيهما، ولا يأسف على عشرات ألوف المسلمين الذين قتلوهم، أو تسببوا في قتلهم؟!

ثانياً: إن كان مقصود الحسن بقوله: «عز علي هذه الشقوة التي كتبت عليهما» هو كتابة الشقوة. بمعنى: علم الله بصدور هذه الموبقات منهما، من دون أن يكون هناك أي جبر إلهي لهما على أي فعل أو مسير أو مسار، فهو صحيح ومقبول..

وإن كان مراده بذلك: أنهما قد خضعا لإرادة الله تعالى التي جرت عليهما من دون سعي منهما، ومن دون اختيار وإرادة. وقد أيد

ذلك بقراءته قوله تعالى: **(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)**[1]. فهذا مرفوض ومدان، فإن الله تعالى لا يجبر عباده على شيء، ثم يعاقبهم عليه، وذلك ظاهر لا يخفى..

منام يزيد الطين بلة:

ومما يزيد في ظهور خزي طلحة منام، قيل: إن بعض الناس رآه يطلب فيه طلحة أن يريحوه من الماء يصل إليه من النهر الذي كان مدفوناً بقربه، قال: «فإني منه في أذى شديد».

فنبشوا القبر، فاستخرجوه ليظهر لهم كيف أن الأرض سرعان ما أكلت لحيته ما كان يليها، وأكلت وجهه أيضاً.. فاشتروا بيتاً بعشرة آلاف درهم، فدفنوه فيه، فتحول إلى مخرأة للناس كما تقدم.. فكأنه نقل من خزي خفي أظهره الله إلى خزي ظاهر ومشهود..

الذهبي.. ومناقب طلحة:

أما إشارات الذهبي ـ وهو يذكر مقتل طلحة ـ إلى أن طلحة من العشرة المبشرين بالجنة. ثم قوله: ومناقبه كثيرة.. فلا يجديه طلحة شيئاً، فقد تقدم: أن حديث بشارة العشرة المبشرة بالجنة مكذوب من أساسه لا يصح[2].

---

(1) الآية 38 من سورة الأحزاب.

(2) راجع هذا الكتاب ج14 ص241.

أما مناقب طلحة، فقد عرفنا حالها أيضاً، وأنها مكذوبة أيضاً، وحتى لو صحت، فإنه يكون قد أحبطها حين آذى النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر زوجاته، حتى مات «صلى الله عليه وآله» وهو ساخط عليه بشهادة عمر بن الخطاب بالذات. وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل، فراجع فصل الشورى العمرية: حدث ونص..[1].

طلحة أول قتيل:

وقد ذكرت بعض النصوص: أن طلحة كان أول قتيل في حرب الجمل.. ولكن نصوصاً أخرى ذكرت: أن أول قتيل هو كعب بن سور.

ولعل الأصح من هذا وذاك هو: أن الفتى الذي حمل القرآن إلى الناكثين ليدعوهم إلى ما فيه كان أول قتيل، ثم تبعه غيره ممن قتلهم الناكثون قبل أن يأذن علي «عليه السلام» لأصحابه بالدفاع عن أنفسهم، وعن دينهم. ورد كيد الناكثين إلى نحورهم..

علي × يثني على طلحة:

وقد ذكرت رواية المسعودي: أن علياً «عليه السلام» مر بطلحة، وهو مقتول، فوقف عليه، واسترجع، وقال: أنت والله كما قال القائل:

فتــى كان يدينه الغنى من صديقه إذا مــا هــو اســتغنى ويبعــده

---

(1) راجع هذا الكتاب ج15 ص33.

الـفـقــر

والمراد من هذا الشعر: وصفه بالكرم، وأنه إذا استغنى تقرب من صديقه ليفيده من غناه، وإذا افتقر تباعد عنه، لأنه لا يقدر على إفادته بشيء..

وزعموا: أنه كان من الكرماء، وأن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» سمَّاه الفياض.

ولكننا ناقشنا هذه الدعاوى في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج14 ص266 - 272 وبيَّنَّا زيفها وبطلانها، فراجع..

وستأتي خلاصة عن هذا الموضوع، حين نتحدث عن تفقد علي «عليه السلام» للقتلى بعد انتهاء حرب الجمل، وما خاطبهم به.. فانتظر.

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا:

وقد ذكرت رواية ابن أعثم المتقدمة: أن طلحة لما أصيب قال: «أظن والله أننا عنينا بهذه الآية من كتاب الله عز وجل إذ يقول: **(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)**[1]»[2].

---

(1) الآية 25 من سورة الأنفال.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص326 و 327 و (ط دار الأضواء) ج2

ونقول:

إن كان طلحة يقصد: أن الحرب التي أثارها الناكثون فتنة لا يعرف وجه الحق فيها، فهو كاذب لا محالة، لأنه كان عارفاً وجه الحق، كما أن أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه قد أوضح وأوضحوا لكل أحد حقيقة الأمور، وأقام الحجة عليهم مرات كثيرة..

وإن كان يريد أنه من الذين ظلموا، وقد أصابته رياح الفتنة التي آثارها هو.. فهو صادق فيما قال، وقديماً قيل: «على نفسها جنت براقش»، وإن أراد أن الظالم هو غيره، فهو كاذب.

وإن أراد أن الفتنة هي قتل عثمان، فقد كان هو أعرف الناس بها، وكان على رأس المشاركين في قتله..

هذا سهم أرسله الله:

وقد صرحت رواية ابن أعثم الكوفي: بأن طلحة قال: «ما أظن هذا السهم إلا سهماً أرسله الله، **(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)**[1]..»، فإن كان يريد أن الله تعالى أرسل هذا السهم إليه عقوبة له.. فهذا اعتراف منه بالذنب الذي استحق به ذلك..

وإن كان يريد الإستدلال بالجبر الإلهي، فهو كلام باطل، لأن هذا ينقض سنة العدل الإلهي، ويبطل العقاب والثواب. إلى غير ذلك من

ص479.

(1) الآية 38 من سورة الأحزاب.

محاذير..

حزن البصريين على طلحة:

وقد زعمت رواية ابن أعثم: أنه قد دخل بقتل طلحة على أهل البصرة غم عظيم.

فإن كان المقصود بأهل البصرة: هم الذين كانوا في جيش عائشة. فحزنهم عليه لا قيمة له، لأنهم مثله في النكث والعدوان على الإمام..

وإن كان المقصود غيرهم، فإننا لا نتوقع أن يكونوا قد اغتموا لمقتل طلحة، بعد أن وجدوه متكبراً ومتعجرفاً، وقد مارس القتل، وارتكب المذابح فيهم، حتى بلغ عدد الذين قتلهم الناكثون في البصرة، وهو على رأسهم ست مئة قتيل.. وكان ذلك قبل ورود علي «عليه السلام» البصرة..

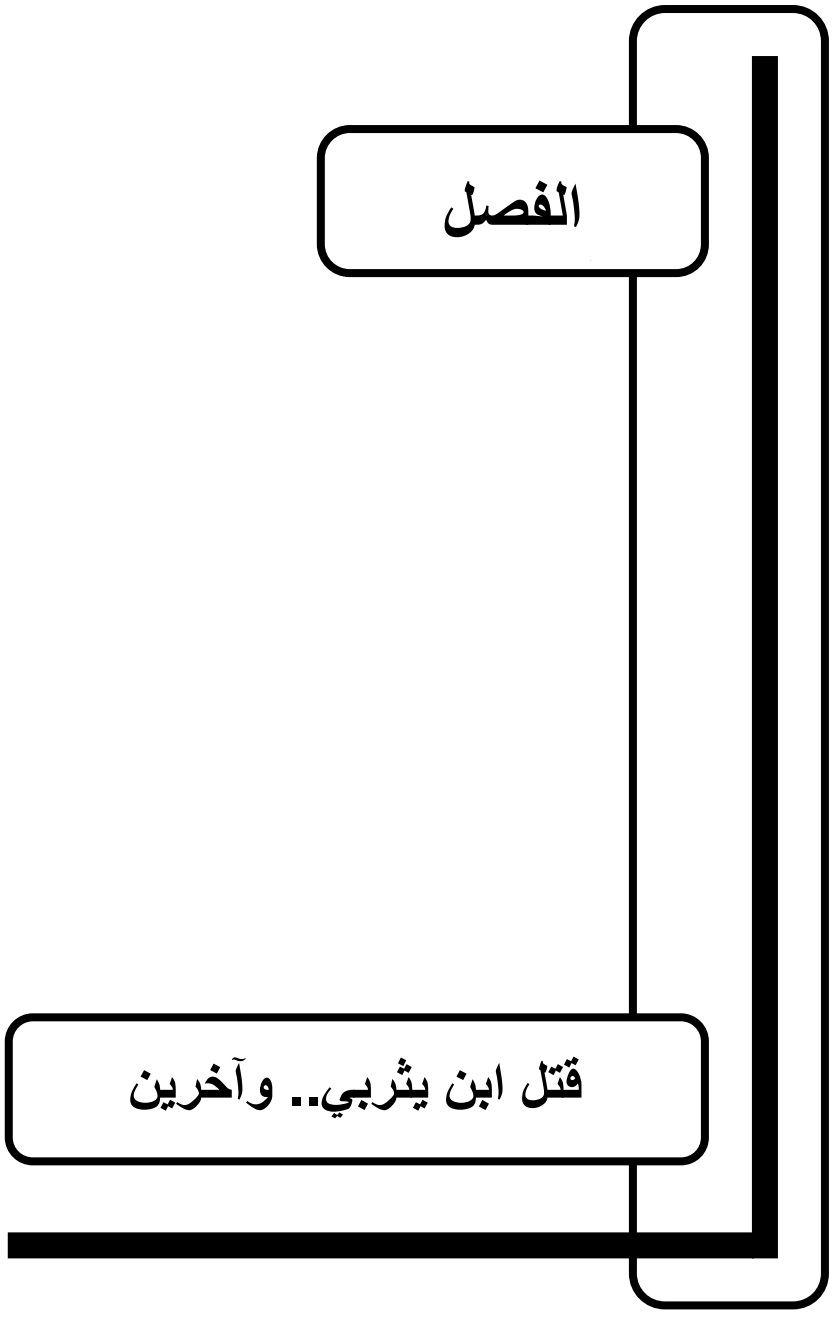
الفصل
قتل ابن يثربي.. وآخرين

مبارزات.. وقتلى:

قال ابن أعثم: ثم خرج محمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر حتى وقفا قدام الجمل، قال: وتبعهما الأشتر ووقف معهما، قال: فقال رجل من أصحاب الجمل: من أنتم أيها الرهط؟!

قالوا: نحن ممن لا تنكرونه. وأعلنوا بأسمائهم، ودعوا إلى البراز، فخرج عثمان الضبي وهو ينشد شعراً، فخرج إليه عمار بن ياسر فأجابه على شعره ثم حمل عليه عمار فقتله.

قال: وذهب كعب بن سور الأزدي ليخرج إلى عمار، فسبقه إلى ذلك غلام من الأزد أمرد فخرج، وهو يرتجز ويقول شعراً.

فذهب عمار ليبرز إليه، فسبقه إلى ذلك أبو زينب الأزدي، فأجابه إلى شعره، ثم حمل عليه أبو زينب فقتله، ورجع حتى وقف بين يدي علي «رضي الله عنه»[1].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص322 و 323 و (ط دار الأضواء) ج2 ص476 و

قتل عمرو بن يثربي وابن خلف وغيرهما:

قال ابن أعثم: وخرج عمرو بن يثربي من أصحاب الجمل حتى وقف بين الصفين قريبا من الجمل، ثم دعا إلى البراز وسأل النزال فخرج إليه علباء بن الهيثم من أصحاب علي «رضي الله عنه»، فشد عليه عمرو فقتله.

ثم طلب المبارزة فلم يخرج إليه أحد، فجعل يجول في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول شعراً، ثم جال وطلب البراز، فتحاماه الناس، واتقوا بأسه.

قال: فبدر إليه عمار بن ياسر وهو يجاوبه على شعره، والتقوا بضربتين، فبادره عمار بضربة فأرداه عن فرسه.

ثم نزل إليه عمار سريعاً، فأخذ برجله، وجعل يجره حتى ألقاه بين يدي علي «رضي الله عنه».

فقال علي: اضرب عنقه!

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! استبقني حتى أقتل لك منهم كما قتلت منكم.

فقال علي: يا عدو الله! أبعد ثلاثة من خيار أصحابي أستبقيتك؟! [لعل الصحيح: استبقيك] لا كان ذلك أبداً!

.477

قال: فأدنني، حتى أكلمك في أذنك بشيء.

فقال علي: أنت رجل متمرد. وقد أخبرني رسول «صلى الله عليه وآله» بكل متمرد علي، وأنت أحدهم.

فقال عمرو بن يثربي: أما والله لو وصلت إليك لقطعت أذنك ـ أو قال: أنفك.

قال: فقدمه علي فضرب عنقه بيده صبراً.

قال: وخرج أخوه عميرة فجعل يرتجز ويقول شعراً، فخرج «علي رضي الله عنه» وأجابه إلى شعره. ثم حمل عليه علي فضربه ضربة على وجهه، فرمى بنصف رأسه(1).

وقال المعتزلي:

ثم قتل عمرو بن يثربي الضبي، وكان فارس أصحاب الجمل وشجاعهم، بعد أن قتل كثيراً من أصحاب علي «عليه السلام».

قالوا: كان عمرو آخذ بخطام الجمل، فدفعه إلى ابنه، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه علباء بن الهيثم السدوسي، فقتله عمرو.

ثم ذكر قتله لهند بن عمرو الجملي، وزيد بن صوحان، ثم قال:

ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزا يقول:

أرديـــت علـبـاء وهنداً في طلق ثـم ابـن صـوحان خضـيباً فـي

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص323 و 324 و (ط دار الأضواء) ج2 ص477.

**علـــــــ

وترت القوم وهم قاتلي، وهذه أمكم نصرها دين، وخذلانها عقوق، ولست أخشى أن أقتل حتى أصرع، فإن صرعت فاستنقذوني.

فقالت له الأزد: ما في هذا الجمع أحد نخافه عليك إلا الأشتر، قال: فإياه أخاف.

قال أبو مخنف: فقيضه الله له، وقد أعلما جميعاً، فارتجز الأشتر:

إنـي إذا مـا الـحرب أبدت نابها وأغلقـت يـوم الـوغى أبوابهـا
ومزقت من حـنـق أثـوابـها كنـا قُـداماها ولا أذنابهـا
لـيس العدو دوننا أصحابـها مـن هابـهـا الـيـوم فلـن أهابها

لا طعنها أخشـى ولا ضرابـها

ثم حمل عليه فطعنه فصرعه، وحامت عنه الأزد فاستنقذوه، فوثب وهو وقيذ ثقيل، فلم يستطع أن يدفع عن نفسه، واستعرضه عبد الرحمن بن طود البكري، فطعنه فصرعه ثانية، ووثب عليه رجل من سدوس، فأخذه مسحوباً برجله حتى أتى به علياً «عليه السلام»، فناشده الله، وقال: يا أمير المؤمنين، اعف عنى، فإن العرب لم تزل قائلة عنك: إنك لم تجهز على جريح قط.

فأطلقه، وقال: اذهب حيث شئت.

فجاء إلى أصحابه وهو لما به. حضره الموت، فقالوا له: دمك عند أي الناس؟!

فقال: أما الأشتر فلقيني وأنا كالمهر الأرن، فعلا حده حدي،

ولقيت رجلاً يبتغى له عشرة أمثالي. وأما البكري فلقيني، وأنا لما بي، وكان يبتغى لي عشرة أمثاله، وتولى أسري أضعف القوم، وصاحبي الأشتر.

قال أبو مخنف: فلما انكشفت الحرب، شكرت ابنة عمرو بن يثربي الأزد، وعابت قومها، فقالت:

يا ضب إنك قد فجعت بفارس حامي الحقيقة قاتل الأقران
عمرو بن يثربٍ الذي فجعت به كل القبائل من بني عدنان
لم يحمه وسط العجاجة قومه وحنت عليه الأزد، أزد عمان
فلهم عليَّ بذاك حادث نعمة ولحبهم أحببت كل يمان
لو كان يدفع عن منية هالك طول الأكف بذابل المران
أو معشر وصلوا الخطا بسيوفهم وسط العجاجة والحتوف دواني
ما نيل عمرو والحوادث جمة حتى ينال النجم والقمران
لو غير الاشتر ناله لندبته وبكيته ما دام هضب أبان
لكنه من لا يعاب بقتله أسد الأسود وفارس الفرسان

قال أبو مخنف: وبلغنا أن عبد الرحمن بن طود البكري قال لقومه: أنا والله قتلت عمراً، وأن الأشتر كان بعدي وأنا أمامه في الصعاليك، فطعنت عمراً طعنة لم أحسب أنها تجعل للأشتر دوني، وإنما الأشتر ذو حظ في الحرب، وإنه ليعلم أنه كان خلفي، ولكن أبى الناس إلا أنه صاحبه، ولا أرى أن أكون خصم العامة، وإن الأشتر

لأهل ألا ينازع.

فلما بلغ الأشتر قوله قال: أما والله لولا أنى أطفأت جمرته عنه ما دنا منه، وما صاحبه غيري، وإن الصيد لمن وقذه.

فقال عبد الرحمن: لا أنازع فيه، ما القول إلا ما قاله، وأنى لي أن أخالف الناس(1).

وقال ابن شهرآشوب: وكان عمرو بن اليثربي يقول:

إن تنكروني فأنا ابن اليثربي قاتل علباء وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي

فبرز إليه عمار قائلاً:

لا تبرح العرصة يا ابن اليثربي أثبت أقاتلك على دين علي

فطعنه وأرداه عن فرسه، وجر برجله إلى علي «عليه السلام» فقتله بيده، فخرج إليه أخوه قائلاً:

أضربكم ولا أرى عليّا عممته أبيض مشرفيّا

وأسمراً عنطنطا خطيّا أبكي عليه الولد والوليّا

فخرج علي «عليه السلام» متنكراً وهو يقول:

يا طالباً في حربه عليّا يمنحه أبيض مشرفيّا

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص258 - 261.

اثبــت ستــلقــاه بــهـا مـلـيا مــهـذباً سـمـيدعاً كمــيّـا

فضربه فرمى نصف رأسه[1].

وقال الطبري: حدثني عبد الله بن أحمد قال: حدثني عمي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم قال: حدثني محمد بن أبي يعقوب وابن عون، عن أبي رجاء قال: قال يومئذٍ عمرو بن يثربي الضبي، وهو أخو عميرة القاضي:

نــحــن بنو ضبة أصحاب الجمل نــنــــزل بالــموت إذا المـوت نزل

وزاد ابن عون: وليس في حديث ابن أبي يعقوب:

الـقتــل أحلـى عندنا من العسل ننعـي ابــن عفــان بــأطراف الأسل

ردوا عـلينا شــيخنا ثـم بــجل

(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف، عن داود بن أبي هند، عن شيخ من بني ضبة قال: ارتجز يومئذٍ ابن يثربي:

أنــا لـمن أنــكرني ابن يـثربـي قاتــل عــلباء وهـند الجملي

وابــن لــصوحان على دين علي

وقال: من يبارز؟!

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص156 - 157 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص342 وبحار الأنوار ج32 ص176 عنه.

فبرز له رجل، فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وارتجز وقال:

أقـتـلهم وقـد أرى عـلـيّـا ولـو أشـا أوجـرته عـمـريـا

فبرز له عمار بن ياسر؛ وإنه لأضعف من بارزه، وإن الناس ليسترجعون حين قام عمار، وأنا أقول لعمار من ضعفه: هذا والله لاحق بأصحابه وكان قصيفاً، حمش الساقين، وعليه سيف حمائله تشفُّ عنه قريب من إبطه، فيضربه ابن يثربي بسيفه، فنشب في حجفته(1)، وضربه عمار وأوهطه، ورمى أصحاب علي ابن يثربي بالحجارة حتى أثخنوه، وارتثُّوه(2).

قال الطبري: وعرض عمار لعمرو بن يثربي، وعمار يومئذ ابن تسعين سنة، عليه فرو قد شد وسطه بحبل من ليف، فبدره عمرو بن يثربي، فنحى له درقته، فنشب سيفه فيها، ورماه الناس حتى صرع وهو يقول:

إن تقـتلـوني فـأنـا ابن يثربي قـاتـل علـباء وهـند الجملي
ثم ابـن صوحان عـلى دين علي

وأخذ أسيراً حتى انتهى به إلى علي، فقال: استبقني.

فقال: أبعد ثلاثة تقبل عليهم بسيفك تضرب به وجوههم! فأمر به

---

(1) الحجفة: الترس. راجع: مجمع البحرين ج1 ص464.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و 531 و (ط الأعلمي) ج3 ص536 و 537.

فقتل(1).

قتل ابن خلف الخزاعي:

قالوا: وبعد أن قتل «عليه السلام» عمرو بن يثربي انفرق يريد أصحابه فصاح به صائح من ورائه، فالتفت، وإذا بعبد الله بن خلف الخزاعي، وهو صاحب منزل عائشة بالبصرة، فلما رآه علي عرفه فناداه: ما تشاء يا بن خلف؟!

قال: هل لك في المبارزة؟!

قال علي: ما أكره ذلك، ولكن ويحك يا ابن خلف! ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟!

فقال عبد الله بن خلف: دعني من مدحك [بذخك] يا بن أبي طالب! وادن مني لترى أينا يقتل صاحبه! ثم أنشد شعراً:

إن تـــدن مـــنـــي يـــا علـــي فترا فـــــإنني دان إليـــــك شـــــبرا
بـــصـــارم يـــسقيك كأساً مراً هـــا إن فـــي صـدري علـــيك وترا

فبرز علي «عليه السلام» قائلاً:

يـــا ذا الـــذي يـطلب مني الوترا إن كنـت تبغـي أن تـزور القبـرا
حقـــاً وتصلـــى بـعد ذاك جـمرا فـادن تـــجدني أســـداً هـــزبرا

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص518 و 519 و (ط الأعلمي) ج3 ص528.

أصعــطــك اليوم زعــاقاً صبرا

فضربه فطيَّر جمجمته[1].

وفي نص آخر:

والتقوا للضرب، فبادره عبد الله بن خلف بضربة دفعها علي بحجفته، ثم انحرف عنه علي فضربه ضربة رمى بيمينه، ثم ضربه أخرى فأطار قحف رأسه. ثم خرج علي إلى أصحابه[2].

وحسب نص المعتزلي:

قال: وخرج عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو رئيس البصرة، وأكثر أهلها مالاً وضياعاً، فطلب البراز، وسأل ألا يخرج إليه إلا علي «عليه السلام»، وارتجز فقال:

أبــا تــراب ادن منـــى فــترا فــإنــني دان إليـك شبـــرا

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص156 و 157 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص342 و 343 والفتوح لابن أعثم ج2 ص324 و 325 وبحار الأنوار ج32 ص178 و 179.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص324 و 325 و (ط دار الأضواء) ص478 وبحار الأنوار ج32 ص178 و 179 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص156 و 157 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص342 و 343 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص237 وراجع: المناقب للخوارزمي ص188 ومطالب السؤول ص216 وكشف الغمة ج1 ص243 .

وإن فـــي صـــدري علـيك غمرا

فخرج إليه علي «عليه السلام»، فلم يمهله أن ضربه، ففلق هامته(1).

قتل خباب الراسبي:

قالوا: وخرج رجل من عسكر البصرة يعرف بخباب بن عمرو الراسبي، فارتجز فقال:

أضـــربـــهم ولـــو أرى علـــياً عمـــمـــتـــه أبـــيـــض مشرفيا
أريـــح منـــه معشـــراً غـويا

فقصده الأشتر فقتله(2).

قتل عبد الله بن حكيم بن حزام:

ثم خرج عبد الله بن حكيم بن حزام، من بنى أسد بن عبد العزى بن قصي، من أشراف قريش أيضاً، فارتجز وطلب المبارزة، فخرج إليه الأشتر، فضربه على رأسه فصرعه، ثم قام فنجا بنفسه(3).

وقال الطبري:

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص261 و 262 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص157 وبحار الأنوار ج32 ص176 فما بعدها.
(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص264.
(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص265.

حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن عن ابن أبي ليلى، عن دينار بن العيزار قال: سمعت الأشتر يقول: رأيت عبد الله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش، وعدى بن حاتم الطائي، وهما يتصاولان كالفحلين، فتعاورناه فقتلناه، يعني عبد الله، فطعن عبد الله عدياً، ففقأ عينه(1).

فخرج مازن الضبي قائلاً:

لا تـــطـمعوا فـي جـمعنا المكلل الـموت دون الـجمل الـمجلل

فبرز إليه عبد الله بن نهشل قائلاً:

إن تـــنـــكـرونـي فأنا ابن نهشل فـــارس هيـــجاء وخطيـــب فيصل

فقتله(2).

قتل محمد بن طلحة:

قال الطبري:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه قال: وجاء محمد بن طلحة، فأخذ بزمام الجمل، فقال: يا أماه،

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص521 و (ط الأعلمي) ج3 ص529 والكامل في التاريخ ج3 ص251.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص156 و 157 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص342 و 343 وبحار الأنوار ج32 ص178 و 179.

مريني بأمرك.

قالت: آمرك أن تكون كخير بني آدم إن تركت.

قال: فحمل فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول: «حم لا ينصرون». واجتمع عليه نفر، فكلهم ادعى قتله: المكعبر الأسدي، والمكعبر الضبي، ومعاوية بن شداد العبسي، وعفان بن الأشقر النصري، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول قاتله منهم:

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

هتكت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعاً لليدين وللفم

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

على غير شيء غير أن ليس تابعا علياً ومن لا يتبع الحق يندم[1]

مبارزات تغضب عائشة:

وخرج مبارز بن عوف الضبي من أصحاب الجمل، وجعل يقول شعراً، قال: فخرج إليه عبد الله بن نهشل من أصحاب علي مجيباً له على شعره، ثم حمل على الضبي فقتله.

فخرج من بعد الضبي ابن عم له يقال له: ثور بن عدي، وهو

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص526 و (ط الأعلمي) ج3 ص533 والفتنة ووقعة الجمل ص165.

ينشد شعراً، فخرج إليه محمد بن أبي بكر مجيباً له وهو يقول شعراً، ثم شد عليه محمد بن أبي بكر فضربه ضربة رمى بيمينه ثم ضربه ثانية فقتله[1].

ناولوني كفاً من حصباء:

قال: فغضبت عائشة وقالت: ناولوني كفا من حصباء، فناولوها، فحصبت بها أصحاب علي وقالت: شاهت الوجوه! [كما صنع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين]، فصاح بها رجل من أصحاب علي «رضي الله عنه»، وقال: يا عائشة! وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى، ثم جعل يقول شعراً:

قد جئت يا عيش لتعليمنا وتنشري البرد لتهزمينا
وتقذفي الحصباء جهلاً فينا فعن قليل سوف تعلمينا[2]

استبقني، أقتل لك مثلهم!!:

وحين أخذ عمار بن ياسر عمرو بن يثربي أسيراً إلى علي «عليه السلام»، قال عمرو لعلي «عليه السلام»: «استبقني أجاهد بين يديك، وأقتل منهم مثل ما قتلت منكم».

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص325 و 326 و (ط دار الأضواء) ص478.
(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص326 و (ط دار الأضواء) ص478 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص257 والجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري) ص186.

فقال علي «عليه السلام»: يا عدو الله! أبعد ثلاثة من خيار أصحابي أستبقيتك؟! [لعل الصحيح: استبقيك]، لا كان ذلك أبداً!

ونقول:

إن لنا هنا ملاحظات، هي التالية:

1 - إن عمرو بن يثربي قد ظن أن نفس قتل الناس يرضي علياً «عليه السلام»، ويؤنسه، وأنه يسعد بذلك، وأنه سوف يبادر لإعطاء الإمتيازات لمن يقتل أكثر من غيره. مع أن علياً «عليه السلام» كان يغتم لما يجري، وكانت حربه دفاعية مئة بالمئة، وكل همه هو كسر شوكة أعدائه، وإعادة الأمور إلى نصابها بأقل ما يمكن من الخسائر، حتى في صفوف أعدائه.

2 - كأن ابن يثربي لم يسمع علياً «عليه السلام» يأمر أصحابه، بأن لا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يكشفوا ستراً، ولا يهيجوا امرأة، وإن شتمن أعراضهم.

3 - لو أن ابن يثربي أعلن توبته، وندمه على ما فرط منه، لكان ذلك أحب إلى قلب علي «عليه السلام» من قتل هذا أو ذاك..

4 - إن عرض ابن يثربي على علي «عليه السلام» قتل أصحابه يدل على أنه ليس له مبدأ، ولا يلتزم بشرع ولا دين. بل هو هاوٍ، بل محترف للقتل، ولا يهمه بعد هذا من هو المقتول، أهو نبي ووصي، أم شيطان غوي؟!

5 - إن ابن يثربي يرى أنه يقتل هذا وذاك لحساب الغير، فهو

يقتل لعائشة تارة ولعلي «عليه السلام» أخرى، ولذلك قال: «حتى أقتل لك منهم».

وهذا الأمر مرفوض في منطق الإسلام والإيمان، والعقل والوجدان.

6 - إن علياً «عليه السلام» لم يقتله بدافع الحنق، وإنما قتله لسوء سريرته، وعقوبةً وقصاصاً له بمن قتلهم من خيار أصحابه، ولأنه لا يرجو منه خيراً، ولا يتوقع منه غير الفساد والإفساد. لا سيما وأنه طلب من الإمام - وهو أسير - أن يسر إليه بأمر، فرفض «عليه السلام» منه ذلك، فقال لهم: إنه لو قرَّب أذنه من فمه لاقتلعها بأسنانه. مما يعني أنه لا يزال محارباً حتى وهو أسير، فأراد أن يريح العباد منه والبلاد.

علي × وأخبار المتمردين:

وقد ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبره بكل متمرد عليه, وابن يثربي منهم..

وهذه دلالة أخرى على ما اختص به الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» أمير المؤمنين «عليه السلام» من عنايات، وألطاف، ودلالات، تؤكد حقه وإمامته لكل أحد.. وكما أنه دلالة ظاهرة على ما هيأه الله ورسوله للأمة من أسباب هداية, ودلائل على الحق, وعلى أهله..

ولكن ابن يثربي لم يؤمن بالرغم من ظهور هذه الدلالة له.. وهذا

غاية الخذلان الإلهي له, فاستحق أن يقتل بيد أمير المؤمنين «عليه السلام» أو بأمره صبراً, ليكون ذلك أغيظ له, وأوجع لقلبه, وأدوم وأشد لحسرته.

إعداد واستعداد للشهادة:

وقد ذكر زيد بن صوحان: أنه رأى يداً أشرفت عليه من السماء, وهي تقول: هلمَّ إلينا. ثم أوصى أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن يدفنه في ثيابه بلا غسل إذا قتل. ثم خرج إلى ابن يثربي, فقتل..

والسؤال هو: إن الله تعالى يقول: **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)**[1]. فما معنى أن يعرِّف الله تعالى زيداً بأنه سيقتل في هذه الحرب؟!

ونجيب:

أولاً: إن زيداً كان من خيار أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام», وما رآه «رحمه الله» لا يعدّ إخباراً صريحاً له بوقت أو بمكان موته «رحمه الله». ولا يستطيع زيد أن يدَّعي ذلك على سبيل الحتم والجزم. ولو أنه رأى ذلك في المنام، فإن المنام ليس حجة بالنسبة إليه، لأنه لم يكن من الأئمة ولا من الأنبياء «صلوات الله تعالى عليم أجمعين».

---

(1) الآية 34 من سورة لقمان.

ثانياً: إن هذا المنام وأمثاله مما يراه أمثال زيد يدخل في سياق الإعداد الروحي والتهيئة لأولئك الأخيار الأبرار «رضوان الله تعالى عليهم», ليُقبل الواحد منهم على الجهاد في سبيل الله تعالى بروح صافية, ونفس مطمئنة راضية, ليقبضه الله تعالى إليه، وهو في أفضل حالاته، وأرضاها، وأطيبها وأحلاها، وأخلصها وأسناها..

ثالثاً: ورد في الأخبار المختلفة ما يدل على علم الأئمة «عليهم السلام» بآجالهم، كما هو الحال فيما رواه الكليني وغيره، من إخبار أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً بشهادته، وما رواه أبو مخنف من إخبار الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً بمكان شهادته حين وصل إلى كربلاء.. مما يعني: أن الآية المباركة قد خصصت في هذه الموارد ونحوها، لأجل كرامات يريد الله تعالى إظهارها للأئمة «عليهم السلام»، لمصالح يعلمها الله سبحانه..

لماذا يجيب علي × على الرجز في الحرب؟!:

ويلاحظ هنا: أن الرجز في الحرب كان من أسباب إثارة الحماس لدى المقاتلين، وزيادة اندفاعهم فيها، فهي كالنشيد الحربي الذي يراد منه نفس هذا المعنى في أيامنا هذه..

وربما يتضمن هذا الرجز معان يراد التأكيد عليها، وإسماعها للآخرين، والإعلان بالتمسك بها، نكاية بالعدو تارة، وسعياً لإقامة الحجة عليه أخرى، أو لغير ذلك من أهداف..

وقد يتضمن أيضاً: ما يدخل في سياق الحرب النفسية للطرف الآخر، لاشتماله على تهديد ووعيد، وإرعاد وإبراق، وتهويل. وتصريح أو تلويح بالقوة والبطش.

ويكثر هذا الرجز في حالات المبارزة بين الفرسان، ومنازلة الأقران بين الصفين، على مرأى ومسمع من الجيشين..

وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» يجاري من يبارزهم في هذا الأمر، ويجيبهم على أرجازهم تلك بمثلها، لأنه يرهب بذلك الأعداء، ويشد من عزائم الأولياء..

كما أنه يعرفهم بذلك بنفسه، ليرى الناس كلهم: أنه «عليه السلام» على خلاف غيره من أصحاب الدعاوى العريضة، لا يرضى إلا أن يكون أول المجاهدين، وأنه لا يختبئ وراء الكتائب، ولا يحتمي بالفرسان، ولا يريد أن يضحي بالناس ليدفع عن نفسه، بل يريد أن يضحي بنفسه وكل ما لديه، دفاعاً عن الدين، وعن أهل الدين، وعن جميع المستضعفين.

الأرجاز بين البغي والإنصاف:

وإذا ألقينا نظرة على مضامين الأرجاز التي قيلت في حرب الجمل، وتنسب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وتلك التي تنسب إلى غيره.. فسنجد: أن أرجاز مناوئيه تنضح بالحقد، وتعلن بالضغينة، وتصرح بالعدوان والبغي، فلاحظ قول ابن خلف:

..... ها إن في صدري عليك (غمراً أو) وترا

أو قول عبد الله بن سري:

يـا رب إنـــي طـالب أبا الحسن الخ..

وقوله:

ذاك الــذي يطلــبه علـى الإحن وبـغضـــــه شـــريعة مـــن السنـــن

أو قول ابن أبزى:

أضربـهم ولا أرى أبـــا حسـن هـــا إن هـــذا حـــزن مـــن الحـزن

ويقرب من هذا قول عمرو بن يثربي أيضاً.

وقولهم:

نحـــن بنـو ضبة أعداء علـــي الخ..

وقول عوف بن قطن:

يـــا أم، يا أم، خـــلا مـني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هاهنا مـحشر عوف بن قـطن إن فاتنـــا اليـوم علـــي فـــالغبن
أو فـــاتنا ابـناه حسـين وحسن إذا أمـت بـــطـول همّ وحـزن

أما علي «عليه السلام»، الذي لم يكن يطلب مبارزة أحد ابتداءً، ولكنه لا يرفض إجابة هذا الطلب من أي كان من أعدائه.. فإذا ارتجز

«عليه السلام»، فإنه يضمِّن رجزه خطاب الواثق والحازم، والهادئ.

وخير مثال على ذلك، جوابه لعبد الله بن خلف بقوله:

يـــا ذا الذي يطـــلب مـني الوترا إن كنـت تبغـي أن تـزور القبـرا
حـقاً وتـــصلى بـعد ذاك جمرا فادن تـجدني أســـداً هـزبـــرا
أســـعطـك الـــيوم زعاقاً صبرا

فقد خاطبه بحزم، دون أن يكون هو المبادر لطلب المبارزة، بل ترك له هو الخيار في الدنو منه وعدمه، وفي زيارة القبر، ثم دخول النار بعد ذلك..

كما أنك لا تجد في كلامه «عليه السلام» أي أثر للحقد والضغينة.

كما أن عميرة أخا عمرو ابن اليثربي كان هو المبادر للطلب من علي «عليه السلام» أن يبرز إليه حيث قال:

أضربـــكم ولا أرى عـــلـــيـا عممتـــــه أبـــيض مشـــــرفيا
وأســمـــراً عنطنطا خـــطـــيـا أُبـــكـــي عـلـيه الوُلدَ والوليـــا

فأجابه علي «عليه السلام»، على رجزه هذا، ولكنه لم يزد على أن طلب منه أن يثبت ليرى كيف هو علي، فهو يقول:

يـــا طـــالـــباً فـــي حـربه عليا يمنحـــــه أبـــيض مشـــــرفيا
اثـبـــت ستـــلـــقاه بـــــها مليا مهذبـــاً سمـيدعـــاً كـــميّـــاً

نعم.. هذا هو منطق علي «عليه السلام» الذي تجده مفعماً بالثقة والحزم والقوة والإنصاف.. أما منطق أعدائه، فهو مفعم بالبغي،

والظلم، والحقد، والضغينة..

وقديماً قيل:

«وكل إناء بالذي فيه ينضح».

صفة عمار حين خرج لابن يثربي:

وقد وصف المعتزلي والطبري في روايتهما حال عمار بن ياسر، حين خرج إلى عمرو بن يثربي بما دل على ظهور ضعف عمار، حتى خاف الناس عليه، فكانوا يسترجعون له.. فجاءت النتيجة على خلاف ما توقعوه.

ودلت على:

أن على الإنسان أن لا يغتر بالمظاهر، والأحجام والأشكال.. وقد ورد في الروايات ما دل على هذا المعنى، فقد روي: «رب أشعث أغبر ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبر قسمه»[1].

وقال الشاعر:

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص182 و 183 وج7 ص111 والمستدرك للحاكم ج3 ص292 ومجمع البحرين ج2 ص514 وبحار الأنوار ج72 ص81 وج36 ص347 و 348 وكفاية الأثر ص184 والتحصين لابن فهد الحلي ص19 وراجع: القول المسدد في مسند أحمد لابن حجر ص48 المجازات النبوية ص299 والكامل لابن عدي ج3 ص314 .

تـرى الـرجـل الـحقير فتزدريه وفـي أثـوابـه أسد هـصـور

ويقال من الجهة الأخرى:

تـرى الـرجل الغرير فترتجيه فيخلف ظنـك الرجل الغريـر

من الذي قتل ابن يثربي؟!:

إن من يراجع الروايات حول ما جرى لابن يثربي يشعر بأن ثمة تناقضاً فيما بينها. فهل قتله علي «عليه السلام»، بيده، أو بأمره؟! أو قتله الأشتر؟! أو عبد الرحمان بن طود البكري؟!

ولكن التأمل في الروايات قد يفتح طريقاً للإجابة على هذا السؤال، وذلك لأن رواية أبي مخنف تقول: إن ابن يثربي بعد أن قتل علباء، وهنداً، وزيداً، وجرح صعصعة.. برز مرة أخرى، فلقيه الأشتر، فطعنه فصرعه، فاستنقذته الأزد، فوثب وهو وقيذ(1) ثقيل، فطعنه عبد الرحمان بن طود، فصرعه ثانية.

ووثب عليه رجل من سدوس، فسحبه برجله حتى أتى به علياً «عليه السلام»، فناشده أن يعفو عنه، فإن العرب تتحدث عنه «عليه السلام» أنه لم يجهز على جريح، فأطلقه علي «عليه السلام»، وقال له: «اذهب حيث شئت»..

---

(1) الوقيذ: البطيء والثقيل، والوقيذ أيضاً: الشديد المرض المشرف على الموت. راجع: تاج العروس ج5 ص406.

فرجع إلى قومه وهو في حال صعبة، فسألوه لما حضره الموت عن الذي فعل به ذلك. فأجابهم.

ثم تسكت الرواية عن موته وعدمه، فتترك القارئ أمام احتمالين:

أحدهما: أن يكون ابن يثربي لم يمت، ولكنه أشرف على الموت، ثم عادت إليه نفسه، ووجد من نفسه قوة وجلداً، فعاد إلى الميدان، فبرز إليه عمار وأسره وسحبه إلى علي «عليه السلام»، فحاول خداعه مرة ثانية، فلم ينفعه ذلك. ثم قتله بيده صبراً. أو أمر بقتله كما تقدم.

وبعض الروايات تؤيد هذا المعنى، فهي تقول: إنه لما قتل عمرو بن يثربي ثلاثة من أصحاب علي «عليه السلام» برز إليه الأشتر فضربه ضربة على وجهه وقع منها على الأرض، فحماه أصحابه، فنهض وقد تراجعت نفسه، وهو يقول: لا بد من الموت فدلوني على علي بن أبي طالب، فلئن بصرت به لأملأن سيفي من هامته، فبرز إليه عمار بن ياسر وهو يقول:

لا تـبـرح الـعرصة يا بن يثربي حتـى أقـاتلـك علـى ديـن علي

نـحـن وبـيـت الله أولى بالنبي

وضربه ضربة هلك منها وخر صريعاً، فأكب قومه عليه

فاحتملوه إلى معسكرهم[1].

الثاني: أن يكون عمار بن ياسر قد أبدل بالسدوسي لحاجة في أنفس بعض المغرضين قضوها، ويكون الصحيح هو: أن علياً «عليه السلام» قتله، أو يكون الحديث عن الأشتر، وابن طود والسدوسي مختلقاً كله، لأنهم يريدون إبعاد الأمر عن عمار بن ياسر الذي كانوا لا يطيقون ذكره، وكان وجوده مع علي «عليه السلام» في حروبه ثقيلاً عليهم، لما فيه من التقوية والتأييد لحق علي «عليه السلام»، ومن الإظهار لباطل مناوئيه ومحاربيه..

وأما ما نقله أبو مخنف عن ادعاء ابن طود بأنه هو الذي قتل ابن يثربي، ثم تصحيح الأشتر له، وتراجع ابن طود، فربما يكون مكذوباً أيضاً لتأكيد الزعم السابق.

ولعل مما يشهد لذلك ظهور تناقض دعوى ابن طود مع كلام الأشتر، لأن ابن طود يدَّعي أنه كان أمام الأشتر، فطعن ابن يثربي، ثم طعنه الأشتر مرة أخرى.. لكن الأشتر يقول: إن الأمر كان بالعكس.

ومن المحتمل: أن يكون عمار قد صرع ابن يثربي ثم ساعده الأشتر على سحبه إلى علي «عليه السلام».

ويبقى هنا تناقض لا علاج له، فهل قتله علي بيده، أو أمر بقتله،

---

(1) راجع: الجمل للمفيد ص346 و (ط مكتبة الداوري) ص185.

أم قتله الأشتر؟! أو قتله عمار نفسه؟! كما ذكرت بعض الروايات.

ابن يثربي مدان ومخذول:

1 - إن عمرو بن يثربي لم يحسن تقدير الأمور، فاستحق الخذلان من الله تعالى. حيث إنه بعد أن قتل من قتل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» توقع أن يقتله علي «عليه السلام» وأصحابه. فلما أسر، وسحب إلى علي «عليه السلام» وفق رواية المعتزلي ـ ناشده الله ـ أن يعفو عنه، وقال: «فإن العرب لم تزل قائلة عنك: إنك لم تجهز على جريح قط».

فأطلقه، وقال: «اذهب حيث شئت..».

ولكن ذلك لم يمنعه من العودة للقتال، فلقي الخذلان، ومني بالخيبة والخسران.

2 - إن هذا العفو لا يتناقض مع مبدأ لزوم القصاص ممن قتل أولئك الأخيار الأبرار من أصحاب علي «عليه السلام»، وذلك لأمور ثلاثة:

أولاً: إن ابن يثربي قد توسل بأمر لو لم يستجب أمير المؤمنين «عليه السلام» له لوقع بعض قاصري النظر في الشك والشبهة، حيت تختلط عليهم الأمور في شأن علي «عليه السلام»، ويتوهمون أنه «عليه السلام» قد خالف ما شاع عنه وذاع، من أنه لا يجهز على جريح قط.

ثانياً: إنه «عليه السلام» هو نفسه قد أصدر أمره للناس: بأن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً.. فكيف يقرر «عليه السلام» أمراً، ثم يكون هو أول من ينقضه ويخالفه؟!

ثالثاً: إنه ناشده الله بأن يعفو عنه. وبما أن من أهم مهمات علي «عليه السلام» هو حفظ يقين الناس، وصيانة مفاهيمهم من التلوث بالشبهات، والإبهامات، والتوهمات.. فقد بادر «عليه السلام» إلى هذا العفو. ولكنه لم يفرض على ابن يثربي أن يبقى عنده، أو أن يغير قناعاته، لعلمه بأن هذا وذاك لا معنى له، لأن تغيير القناعات لا يكون بالفرض وإصدار الأمر، كما أن بقاءه عنده وبين أصحابه، وهو على قناعاته قد يكون له أعظم الضرر على المؤمنين، لأنه يعطيه الفرصة للإطلاع على الثغرات، وتسريب المعلومات إلى الأعداء.

كما أن هذا الشخص نفسه قد يجد الفرصة المؤاتية له للختل والغدر، وتسديد ضربة موجعة جداً، وغير متوقعة..

3 - إنه «عليه السلام» قد أخبر بعد أسر عمار بن ياسر لابن يثربي، وسحبه إليه بأن هذا الرجل من المتمردين الذين أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بهم، وذكرهم له.

مما يعني: أنه لن يترك ساحة القتال، وسيحمله لجاجه، وتمرده، وخذلان الله تعالى له على مواصلة الحرب ضد المؤمنين، وقدَّر «عليه السلام» أن الله تعالى سيوقعه مرة أخرى في قبضته، وينال جزاءه. وهكذا كان.

قاتل يرثي ضحيته:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن شريح بن أوفى قاتل محمد بن طلحة قد رثى مقتوله، فقال:

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

وأبياتاً أخرى تقدمت..

ووصفوا هذا المقتول بالعبادة والصلاح، حتى ليقول صاحب الإستيعاب: «قتل محمد بن طلحة يوم الجمل مع أبيه، وكان هواه ـ فيما ذكروا ـ مع علي بن أبي طالب «رضي الله عنه».. وكان علي قد نهى عن قتله في ذلك اليوم، وقال: إياكم وصاحب البرنس.

وروي: أن علياً «عليه السلام» مر به وهو قتيل يوم الجمل، فقال: هذا السجاد ورب الكعبة، هذا الذي قتله بره بأبيه ـ يعني: أن أباه أكرهه على الخروج ـ في ذلك اليوم، وكان طلحة قد أمره أن يتقدم للقتال، فتقدم ونثل درعه بين رجليه، وقام عليها. وجعل كلما حمل عليه رجل قال: نشدتك بحاميم، حتى شد عليه رجل فقتله»[1].

---

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص351 و (ط دار الجيل) ج3 ص1372 والمجموع للنووي ج19 ص201 وعمدة القاري ج19 ص148 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص342.

وقال: «يقال: قتله رجل من بنى أسد بن خزيمة، يقال له: كعب بن مدلج. وقيل: بل قتله شداد بن معاوية العبسي. وقيل: بل قتله الأشتر. وقيل: بل قتله عصام بن مقشعر النصرى، وهو قول أكثرهم، وهو الذي يقول:

وأشعث قــوام بــآيـــات ربـه الخ..»[1].

وقال: قال سيف: ادعى قتل محمد بن طلحة جماعة، منهم: المكعبر الضبي، وغفار بن المسعر البصري[2].

وقال: وروينا عن محمد بن حاطب، قال: لما فرغنا من قتال يوم الجمل قام علي بن أبي طالب، والحسن بن علي، وعمار بن ياسر، وصعصعة بن صوحان، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر يطوفون في القتلى، فأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوباً على وجهه، فأكبه على قفاه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. هذا فرع قريش والله.

فقال له أبوه: ومن هو يا بنى؟!

فقال: محمد بن طلحة.

---

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص351 و 352 و (ط دار الجيل) ج3 ص1372 والمجموع للنووي ج19 ص201 و 202 وأسد الغابة ج4 ص322 والإصابة ج6 ص17.

(2) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص352 و 353 و (ط دار الجيل) ج3 ص1373 والمجموع للنووي ج19 ص202.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. إن كان ما علمته لشاباً صالحاً.

ثم قعد كئيباً حزيناً.

فقال له الحسن: يا أبت، قد كنت أنهاك عن هذا المسير، فغلبك على رأيك فلان وفلان.

قال: قد كان ذلك يا بنى. فوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[1].

ونقول:

1 - إن من يراجع الروايات يجد: أن بينها اختلافاً ظاهراً في أمر محمد بن طلحة.. فهذه الرواية وما فيها من شعر منسوب إلى قاتل محمد، تريد أن تظهر محمداً على لسان أعدائه في صورة العابد التقي، والزاهد الزكي.. لكي يكون أصحاب علي «عليه السلام» مجرمين وقتلة للصالحين. ولا يتورعون عن قتل الزهاد والعباد، وأهل الله..

ولكي يرى الناس: أنهم لا يختلفون عن المجرمين الذي ظهرت سماتهم، وعرفت صفاتهم وحالاتهم في الفئات الأخرى، مثل الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وغيرهم.

---

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص352 و (ط دار الجيل) ج3 ص1373 والمجموع للنووي ج19 ص202 والغدير ج9 ص307 والمستدرك للحاكم ج3 ص103 و 104 وأسد الغابة ج4 ص322.

2 - إن محمد بن طلحة كان أميراً على الرجالة يوم الجمل.. فهل يمكن أن يكون هذا الرجل قائداً على الرجالة في الجيش كله، ثم يكون كافَّاً عن القتال، متعففاً عن الحرب والنزال، (قليل الأذى فيما ترى العين مسلم)؟! وهل يرضى به أولئك الجند قائداً لهم، وهو على هذه الحال؟!

3 - ما معنى أن يكون قائداً على رجالة الجيش، وهو كلما حمل عليه رجل يناشده بحاميم كما ورد في الشعر؟![1]. وكيف تركته عائشة وطلحة والزبير في مقام قيادة الرجالة «المشاة»، وهو الموقع الحساس جداً، وهو بهذه الحالة؟! ولماذا لم يشكه الرجالة إلى أبيه، أو إلى الزبير، أو إلى عائشة؟!

4 - ولعل حقيقة الأمر هي: أنه كان يقاتل كما يقاتل الآخرون، ولكنه إذا واجه فارساً قوياً وخطراً، وأحس بأنه مقتول يناشد ذلك الفارس بحاميم لكي يكف عنه..

حتى واجه أخيراً فارساً خطراً، فحاول أن يتخلص من القتل بمناشدته، ولكن الذي حمل عليه لم يصغ إليه، لأنه لم ير مسوغاً للإستجابة له، والكف عنه، لأنه شعر بأنه غير صادق في هذه

---

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص351 و (ط دار الجيل) ج3 ص1372 والمجموع للنووي ج19 ص201 وعمدة القاري ج19 ص148 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص342.

المناشدة. إذ لو كان صادقاً لكان قد ناشده قبل أن يمد إليه رمحه، ويشجره به، ولذلك قال:

يذكـرنـــي حاميم والرمح شاجر فهـــلا تـلا حاميم قبل التقدم؟!

فظهر أنه كان يتلو حاميم ويناشدهم بها حين يوشك أن يقتل، فيتخلص بذلك من القتل، لا لأنه شعر بأنه عن القتال، متورع عن سفك الدماء.

5 - ويؤكد ذلك: أن من ينثر درعه، ويلقيه تحته، ويكف عن القتال، فإن أحداً لا يتعرض له بسوء، فما معنى أن يهجم عليه أولئك الأبطال المعروفون، ويشركوا أنفسهم كلهم في دمه، ألم يكن كفه عنهم، واعتزاله لهم رادعاً لهم عن قتله؟! ولماذا لا يتذكرون وصايا أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم: بأن لا يتعرضوا لغير المقدم، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح؟!

كن خير ابني آدم:

إننا نقول نفس هذا الكلام أيضاً بالنسبة لقولهم: «لما كان يوم الجمل. قال محمد بن طلحة: يا أم المؤمنين!!

[وفي نص الطبري: يا أمتاه مريني بأمرك][1].

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص465 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص533 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص249 والفتنة ووقعة الجمل ص165 وإمتاع الأسماع ج13 ص246 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث

قالت: كن كخير ابني آدم.

قال: فأغمد سيفه، وكان قد سله، ثم قام حتى قتل»[1].

والمراد بخير ابني آدم هو هابيل الذي توعده أخوه قابيل بالقتل، فأجابه بأنه سيكف هو عن قتله، فقال له: **(لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)**[2].

فعدا عما قدمناه، من أن من يكف عن القتال. لا يهاجمه أحد. ولا يجعل قائداً للرجالة في ذلك الجيش العرمرم. ولا يرضى الجنود الذين كان يقودهم بقعوده وكفِّه، بل هم سوف يشتكون عليه، ولا بد أن يعزله الذي أمَّره.

نعم.. عدا ذلك كله نقول:

أولاً: إن عائشة التي كانت تحمس الناس على الهجوم، وتأمرهم بالثبات والصمود، لا يمكن أن تأمر قائدهم بأن يكف يده، ويكون مثل هابيل.

ثانياً: إن رواية الطبري تقول: إنه بعد وصية عائشة له بأن يكون كهابيل جعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه، ويقول: (حم لا

العربي) ج7 ص271.

(1) راجع: الإصابة ج3 ص377 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1415هـ) ج6 ص16.

(2) الآية 28 من سورة المائدة.

ينصرون)»[1].

وهذا يناقض قولهم: إنه اغمد سيفه، وقام حتى قتل، أو أنه نثل درعه وجلس عليه.

هل كان ابن طلحة مع علي ×؟!:

وزعموا: أن محمداً بن طلحة كان هواه في علي «عليه السلام». وهذا كلام غير مفهوم، فإنهم يروون عنه أيضاً ـ وقد قدمنا ذلك ـ: إن دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث على صاحبة الهودج، يعني عائشة. وثلث على صاحب الجمل الأحمر، يعني أباه طلحة. وثلث على علي بن أبي طالب[2].

مع أن علياً «عليه السلام» كان أبرأ الناس من دم عثمان، وقد أرسل ولديه للمنع من قتله، فأرجعهم عثمان. كما أنه حاول أن يحل

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص465 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص533.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص176 و (ط أخرى) ج4 ص465 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص482 و 483 والكامل في التاريخ ج2 ص318 والنص والإجتهاد ص438 و 439 وراجع: تاريخ المدينة ج4 ص1173 والإمامة والسياسة ج1 ص84 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص212 و 213 والفتنة ووقعة الجمل للضبي ص125 و 126 وقاموس الرجال ج8 ص223 و (ط أخرى) ج9 ص342 وعن بهج الصباغة ج6 ص122 وج4 ص689 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص467 و 468.

المشكلة بين عثمان، وبين الثائرين عليه أكثر من مرة، فكان عثمان يتعهد له، ثم يتراجع.

فمن يفتري على علي «عليه السلام»، ويتهمه بما هو منه بريء.

ويأتي مع أبيه لحربه.

ويكون على الرجالة، هل يمكن أن يقال: إن هواه في علي «عليه السلام»، لا في عائشة، ولا في أبيه؟! وهل هذا الكاذب المحارب لإمامه، والمفتري عليه يكون تقياً وعابداً كما زعموا؟! وماذا تنفعه عبادته وهو يتهم إمامه بما هو منه بريء. ثم ينكث بيعته؟!

قتله برُّه بأبيه:

أما ما نسب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» من أنه قال عن محمد بن طلحة: هذا الذي قتله بره بأبيه، فلا يمكن قبوله، إلا إذا فرض أن محمداً كان غاية في الشقاء والغباء، فإن البر بالوالدين لا يسوغ للإنسان ارتكاب الجرائم والموبقات، كنكث البيعة، والخروج على الإمام، وقتل الناس في حرب طاحنة، وأن يرضى بأن يكون أحد أركان، ومن قادة تلك الحرب، وعلى رجالة ذلك الجيش العرمرم، المحارب لوصي رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد قال تعالى: **(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا**

تُطِعْهُمَا..)[1].

على أنه لو صح ما زعموه من أنه أغمد سيفه، ونثل درعه، فإن هذا لا يحقق البر الذي زعموه، بل هو ينقضه، لأنه من موجبات الأذى لأبيه.

من قتل محمد بن طلحة؟!:

أما فيما يرتبط بالإختلاف في قاتل محمد بن طلحة، فربما يكون الجميع قد شارك في قتله، لأن المفروض أنه قائد الرجالة في تلك الحرب، وكان هو حامل لوائها. فكان من الطبيعي أن يقصده الفرسان، وتتبارى في الوصول إليه الأقران والشجعان، لأن إنهاء أمره يؤثر على الجيش كله.

حزن علي × على محمد بن طلحة:

والأغرب والأعجب هنا هو الحوار الذي ادعوا أنه جرى بين الإمام أمير المؤمنين، وبين الإمام الحسن «عليهما السلام»، فإنه مكذوب بلا ريب، وذلك لما يلي:

أولاً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» لا يمكن أن يرضى بأن يعيث الناكثون في الأرض فساداً، وأن يقتلوا ست مئة مسلم من شيعة أمير المؤمنين في البصرة، ومن السبابجة، وحراس بيت المال،

---

(1) الآية 15 من سورة لقمان.

وحراس عثمان بن حنيف، والمصلين في المسجد، وغيرهم. وأن ينتهبوا بيوت الأموال، وأن يسقطوا النظام، وأن تنتهك الحرمات في مختلف البلاد في العراق والحجاز، ومصر، وسواها. نعم.. لا يمكن أن يرضى الإمام الحسن «عليه السلام» بذلك كله. ويأمر والده بالبقاء في المدينة في بيته.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» إمام معصوم بنص آية التطهير وسواها يعرف تكليفه الإلهي، ولا يجوز عليه الخطأ في قول ولا في فعل. فما معنى أن يخطِّئه ولده، وأن يقر هو بالخطأ.

ثالثاً: إن الإمام علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يغلبه الناس على رأيه، ويصير ألعوبة تتقاذفها الأهواء، فإن من يغلب على رأيه لا يحق له أن يتصدى للحكم، لأن الحكم حينئذٍ يكون لغيره، ويكون هو مجرد صورة وخيال. ولا يرضى كرام الناس وأهل الدين بذلك لأنفسهم.

يضاف إلى ذلك: أن معنى غلبة الناس على رأيه: إما أنه أطاعهم، وترك ما كان على يقين من صحته..

وإما أنه قد عرض عليه الرأي الصواب، والرأي الخطأ، فأخذ بالخطأ وترك الصواب.

وهذا مما يتنزه عنه أي عاقل وذي دين..

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» لا يتمنى الموت قبل ذلك بعشرين سنة، بل هو يفرح لتوفيق الله تعالى له للقيام بواجبه، وإجراء حكم الله

في الناس.. وموته «عليه السلام» قبل عشرين سنة معناه: أنه لا يهتم بأمر الدين وأهله.. وأنه يريد أن يفسح المجال للفساد ليستشري في البلاد والعباد، ثم لا يدري بعد ذلك إلى أين تصل الأمور؟! وماذا يجري لهذا الدين وأهله؟! فهل كان «عليه السلام» يفضل راحة نفسه على القيام بالواجب؟!

الفصل السابع:

أحداث اليوم الثاني..

الحرب في يومها الثاني:

قال ابن أعثم:

فلما كان من الغد دنا القوم من بعضهم بعض [كذا]، وتقدمت عائشة على جملها عسكر حتى وقفت أمام الناس والناس من ورائها وعن يمينها وشمالها.

قال: وصفَّ علي رضي الله عنه أصحابه وعبأهم كالتعبية الأولى، وعزم القوم على المناجزة.

[فقالوا: يا عائشة، قتل طلحة والزبير، وجرح عبد الله بن عامر، من يدي علي، فصالحي علياً.

فقالت: كبر عمرو عن الطوق، وجل أمر عن العتاب.

ثم تقدمت...

فحزن علي «عليه السلام» وقال إنا لله وإنا إليه راجعون][1].

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص343 و (ط إيران) ج3

وتقدم كعب بن سور الأزدي حتى أخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها:

يـــا مــعشر الناس عليكم أمكم فــإنــها صــلاتكم وصومــكم

وفي الهامش:

والحــرمــة العظمى التي تعمكم فأحضــروها جــدكم وحــزمكم
لا يغلبن ســم الــعدو سمكم إن العــدو إن علاكــم ذمكــم
وخصــكم بــجوره وعمــكــم لا تفضـــحوا اليـــوم فـــداكم قومكم[1]

قال: فحمل عليه الأشتر فقتله.

[وهذا يكذب ما قاله ابن حبان: «وكان كعب بن سور قد علق المصحف في عنقه، ثم يأتي هؤلاء فيذكرهم، ويأتي هؤلاء فيذكرهم، حتى قتل»][2].

وخرج من بعده غلام من الأزد يقال له: وائل بن كثير، فجعل يتلو ويقول شعراً، فبرز إليه الأشتر مجيباً له وهو يقول شعراً، ثم

ص158 و 159 وبحار الأنوار ج32 ص178 - 180.

(1) راجع: شجرة طوبى ج2 ص323 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص255 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج2 ص47.

(2) الثقات لابن حبان ج2 ص284 وراجع ج5 ص333 ومشاهير علماء الأمصار ص162.

حمل عليه الأشتر فقتله.

وخرج من بعده عمرو بن خنفر من أصحاب الجمل وهو يقول شعراً، ثم حمل عليه الأشتر فقتله.

وخرج من بعده عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، فجعل يلعب بسيفه بين يدي عائشة

[قال المعتزلي: وكان اسم سيفه «ولول»، فارتجز، فقال:

أنـا ابـن عتـاب وسيفي ولـول والـــــموت دون الجمـــــل المجلل][1].

قال: فبدر إليه الأشتر مجيباً له، ثم حمل عليه فضربة ضربة رمى بيمينه فسقط لما به، وثناه الأشتر بضربة أخرى فقتله، ثم جال في ميدان الحرب وهو يقول:

..... نـحن بـنـو الـموت به غذينا

[فخرج إليه ابن الزبير، وجرى بينهما ما جرى كما سيأتي].

ثم رجع الأشتر إلى موقفه.

وصاح رجل من أهل الكوفة: يا معشر المؤمنين! إذا خرج إليكم رجل من أنصار صاحبة الجمل، وقال شيئاً من الشعر فلا تجيبوه بشيء، ليستريح إلى إجابتكم له، ولكن استعملوا فيمن خرج إليكم بالسيف فإنه

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص264 و 265.

أسرع للجواب.

قال: وإذا برجل من أصحاب الجمل يقال له الأسود [بن] البختري [السلمي] قد خرج وهو يقول:

ارحم إلـــهي الكـل مـن سليم وانـظـر إلـيه نـظرة الـرحيـم

فحمل عليه عمرو بن الحمق الخزاعي فقتله.

وخرج من بعده جابر بن مزيد الأزدي، قائلاً:

يـا ليت أهلـي من عمار حاضري مـــن ســادة الأزد وكــانوا ناصري

فحمل عليه محمد بن أبي بكر فقتله.

وخرج من بعده جابر بن مزيد الأزدي، فحمل عليه محمد بن أبي بكر فقتله.

وخرج من بعده مجاشع بن عمر التميمي وهو يقول شعراً، فحمل على أصحاب علي حملة، واستأمن إلى علي، فكان من خيار أصحابه بعد ذلك.

وخرج من بعده عوف بن قطن وهو يقول شعراً، فحمل عليه محمد ابن الحنفية فقتله.

وخرج من بعده بشر بن عمرو الضبي وهو يقول شعراً.

وفي الهامش:

**ضــبة أبــدى للــعراق غمغمة وأضـــرمي الحـــرب العـــوان المضـــــــ

وخرج من بعده غلام من ضاهية يقال له: أسلم بن سلامة، فأخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول شعراً، فقاتل حتى قطعت يده على الخطام ثم قتل.

وخرج من بعده رجل من الأزد يقال له سليم فأخذ بخطام الجمل وهو يقول شعراً، فقاتل حتى قطعت يده على خطام الجمل ثم قتل.

وخرج من بعده رجل من أزد شنوءة يقال له: عبيد بن عمير، فأخذ بخطام الجمل وهو يقول شعراً، فقاتل حتى قتل.

وخرج من بعده رجل من بني مازن يقال له: عوف بن مالك، فأخذ بخطام الجمل وجعل يقول شعراً.

وفي الهامش:

يـــا أمّنـا الطاهرة الـزكـــيـة والبـــرة المؤمنـــة التقيـــة
نـــعرف مـن ناداك بالخطـيـــة ونصـرك اليـوم مـن السـوية
تـــقـــر بـــابـــن مـالك البرية إن عـلـيـاً هـــامـــه الـبلية

فقاتل حتى قطعت يده على الخطام، ثم قتل.

فلم تزل القوم كذلك، يتقدم رجل بعد رجل، حتى قطع على الخطام يومئذ ثماني وتسعون يداً **(1)**.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص327 - 332 و (ط دار الأضواء) ج2 ص479 - 481 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص158 و 159 وبحار الأنوار ج32 ص178 - 180.

وقال ابن شهرآشوب:

فخرج ابن جفير الأزدي يقول:

قـد وقــع الأمــر بمــا لم يحذر والنــبل يأخذن وراء الــعسكـر
وأمــنـــا فــي خـــدرهـا المشهَّر

فبرز إليه الأشتر قائلاً:

اسمع ولا تعجــل جواب الأشتر وأقــرب تلاقــي كــأس مــوت أحـمـر
يــنسيــك ذكــر الـجمل المشهر

فقتله، ثم قتل عمير الغنوي الخ..[1].

قال ابن أعثم: ونادت عائشة بأعلى صوتها: أيها الناس! عليكم بالصبر، فإنما تصبر الأحرار.

فناداها رجل من أصحاب علي وهو يقول شعراً.

[وتقدم: أن الشعر قد ذكره ابن شهرآشوب:

يــا أم، يا أم، عـقـقـت فاعلموا والأم تغذو ولــدها وترحم][2].

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص158 و 159 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص344 وبحار الأنوار ج32 ص178 - 180.

(2) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص160 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص345 وبحار الأنوار ج32 ص180.

قال: واشتبكت الحرب بين الفريقين، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وصاح الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري: يا معاشر الأنصار! إنه لم ينزل موت قط في جاهلية ولا إسلام إلا مضيتم عليه، ولست أراكم اليوم كما أريد، وأنا أنشدكم بالله أن تحدثوا ما لم يكن، إن إخوانكم اليوم قد أبلوا وقاتلوا، وإن الموت قد نزل فصبراً صبراً حتى يفتح الله عز وجل عليكم.

قال: ثم تقدم الحجاج [بن عمرو] بن غزية الأنصاري عن القوم، فجعل يضرب بسيفه قدماً، وهو يقول شعراً.

في الهامش:

يـا معشر الأنصار قد جاء الأجل إنـي أرى المـوت عيانـاً قد نـزل
فبادروه نحو أصحـاب الـجمل هـا إنهـا بـدر وأحـد فـي العمـل
أو كحنـين والـنضير ذي النفل وأنتـم جـهـينكم كان المثل

قال: ثم تقدم في أثره خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وهو يقول شعراً.

لم يغضـب الله[1](كذا) إلا للجمل كـم مـن جهـول صـاح مـنهم: لا شلل
يا بئـس ما قد قال بئس ما ازدجل وبـئس مـا أمـل فيـنا إذ جـهـل

(1) لعل الصحيح: لم يغضب الرحمان.

قال: ثم تقدم في أثره شريح بن هانئ الحارثي وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره هانئ بن عروة وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره زياد بن كعب الهمداني وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره سعيد بن قيس الهمداني وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره مالك بن الحارث الأشتر وهو يقول شعراً.

وفي الهامش ابيات مطموسة، كما يلي:

إني إذ ..... الضياح والــتفت الصفــاح والرمــاح

أبادر المناطح ..... ناديــت فــي الغمــة لا بــراح

يــا إن لــنفس عندها مــزاح لــــها ..... ولــها ..... ح

ثم تقدم في أثره عدي بن حاتم الطائي وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره رفاعة بن شداد البجلي وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره هانئ بن هانئ بن عبيد المذحجي وهو يقول شعراً.

ثم تقدم في أثره عمرو بن الحمق الخزاعي وهو يقول شعراً.

في الهامش:

كــم مــن قتــيل ضل في ذهابه ومــن حســام سـل مــن قرابــه

بطــعــنــة تهف في إهــابــه فــي حومــة الــحرب وفــي جلبابــه

قال: فاقتتل القوم قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، وصار الهودج الذي

فيه عائشة كأنه القنفذ مما فيه من النبل والسهام[1].

بعر جمل عائشة كالمسك الأذفر:

قال: وجعلت بنو ضبة يأخذون بعر الجمل فيشمونه، ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى بعر جمل أمنا كأنه المسك الأذفر[2].

وعند الطبري: «وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل فيفتونه، ويشمونه، ويقولون:

بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك.

ورجل من أصحاب علي يقاتل ويقول:

جـــردت سيفي في رجال الأزد أضـــرب فـي كهولهم والـمرد
كـل طويـل الساعدين نـهد»[3].

بنو ناجية، وشمائل قريش:

وجاء بنو ناجية، فأخذوا بخطام الجمل، ولم يكن يأخذ الخطام أحد إلا سألت عائشة: من هذا؟! فسألت عنهم: فقيل: بنو ناجية.

---

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص327 و 332 و (ط دار الأضواء) ج2 ص479 - 481.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص332 و (ط دار الأضواء) ج2 ص481.

(3) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص523 و (ط الأعلمي) ج3 ص531 و 532.

فقالت عائشة: صبراً يا بني ناجية، فإني أعرف فيكم شمائل قريش.

قالوا: وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش. فقتلوا حولها جميعاً[1].

قال ابن أبي الحديد المعتزلي ما ملخصه: إن بعضهم ذكر أن سامة بن لؤي قد أعقب، وممن قال ذلك: الزبير بن بكار، وابن الكلبي في جمهرة النسب. وذكر المعتزلي أيضاً: أن سبب ذهاب الزبير بن بكار إلى ذلك: هو مخالفة علي «عليه السلام» وميله إليهم[2].

وقال أيضاً:

بنو ناجية: نسبة إلى أمهم ناجية. وهي زوجة سامة بن لؤي بن غالب القرشي. وكان قد خرج إلى البحرين مغاضباً أخاه كعب بن لؤي في مخاصمة كانت بينهما، فنهشته أفعى فمات.

فلما مات سامة تزوجت ناجية ـ امرأته ـ رجلاً من البحرين، فولدت له الحارث، فمات أبوه وهو صغير. فطمعت أن تلحقه بقريش، فذهبت إلى مكة، فقالت لكعب: إن الحارث ابن رجل منهم.

فنفاه كعب، ونفا أمه، فرجعت إلى البحرين. وتزوج الحارث

---

(1) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص236 شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص265 و266.

(2) شرح نهج البلاغة ج3 ص122.

هناك، وأعقب.

وقال ابن الكلبي: إن الحارث نكح أمه نكاح مقت، ومات هو وأخوه غالب ولم يعقبا. وهناك قوم من بني ناجية، ادَّعوا أنهم من ولد الحارث بن سامة بن لؤي، الذي قيل: إنه لم يعقب(1).

وقال ابن حزم(2): وفيهم يقول بعض شعراء قريش:

وســـامـــة منـــا فـأمـا بنـوه فأمرهم عـــنـــدنا مظلـم..

وروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: عمِّي سامة لم يعقب(3).

وذكر المعتزلي: أن أبا بكر وعمر لم يدخلاهم في قريش(4)، وأدخلهم عثمان، ولكن علياً «عليه السلام» أخرجهم فارتدوا، فقتل من ارتد منهم(5).

ونقول:

لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

---

(1) شرح نهج البلاغة ج3 ص120 و121 الأغاني ج10 ص203 - 207.

(2) جمهرة أنساب العرب ص162.

(3) الأغاني (ط ساسي) ج9 ص100 ترجمة علي بن الجهم وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص121.

(4) شرح نهج البلاغة ج3 ص126.

(5)راجع: شرح نهج البلاغة ج3 ص126.

هزيمة واحدة أم هزائم؟!:

إن ظاهر كلامي ابن شهرآشوب وابن أعثم: أن طلحة والزبير قد قتلا في اليوم الأول من حرب الجمل.. وإذا كان الزبير قد قتل وهو منهزم، فذلك يعني: أن جيش الناكثين قد مني بعدة هزائم في تلك الحرب. بعضها محدود، كهزيمة الميسرة، أو الميمنة، أو القلب، وهذا ما كان يحصل في اليومين الأولين. وفي بعض هذه الهزائم قتل طلحة والزبير..

أما الهزيمة الكبرى التي حلَّت بجيش الناكثين كله، وبجميع أجنحته: الميمنة، والميسرة، والقلب، فكانت حين عقر الجمل.

عائشة ترفض الصلح، وحزن علي ×:

1 ـ قد اظهر النص المنقول عن ابن شهرآشوب: أن عائشة رفضت أن تصالح علياً «عليه السلام»، بالرغم من خسارتها أهم قادة جيشها، وهم: طلحة والزبير، وجرح عبد الله بن عامر.. واعتبرت: أن مواصلة الحرب أصبحت أمراً لا بد منه..

والسؤال هو:

على من، وعلى ماذا كانت عائشة تعوِّل وتعتمد؟! هل كانت تعتمد على مروان، أو على عبد الله بن الزبير؟! أو على معاوية؟! أو أنها أرادت أن تكون هي أمير المؤمنين، كما قاله عنها بعض اتباعها كما تقدم؟! إن ذلك لم يتضح لنا، إلا أن هذا الرأي الأخير قد يكون له

الحظ الأوفر من الصحة.

2 ـ ظاهر النص الذي نحن بصدده هو أن الذين طالبوا عائشة بمصالحة علي «عليه السلام» هم من أتباعها.

وهو يدل على أن قرار الحرب والسلم كان بيدها أيضاً.

3 ـ إن هذا يدل أيضاً على أن علياً «عليه السلام» كان على استعداد دائم للصلح. وعلى أنه لا يتعامل مع أعدائه من منطلق المشاعر والإنفعالات، بل من منطلق رعاية مصالح العباد.. ووفق ما يرضي الله تعالى.

أما حزنه «عليه السلام» من رفض عائشة الإستجابة لطلب أتباعها، فهو أدل دليل على هذه الحقيقة. وما استرجاعه «عليه السلام»، وقوله: «إنا لله، وإنا إليه راجعون» إلا للتعبير عن غصَّته من جهة، وتألمه مما فرضه الناكثون عليه، وعن رضاه بما يرضاه الله تعالى، وانقياده لأوامره.

عائشة تعترف بقتل عثمان:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

روى ابن أبي سبرة عن علقمة، عن أمه قال: سمعت عائشة تقول: لقد رأيتني يوم الجمل، وإن على هودجي الدروع الحديد، والنبل يخلص إلي منها وأنا في الهودج، فهون عليَّ ذلك ما صنعنا بعثمان، وألَّبنا عليه حتى قتلناه، وجرَّينا عليه الغواة، فنعوذ بالله من

الفرقة بين المسلمين[1].

وروت كبشة بنت كعب عن عائشة أنها قالت:

ولقد كنت ألَّبت على عثمان حتى نيل منه ما نيل؛ فلما قتل ندمت. وعلمت أن المسلمين لا يستخلفون مثله أبداً؛ كان والله أجلهم حلماً، وأعبدهم عبادة، وأبذلهم عند النائبة، وأوصلهم للرحم.

قالت كبشة بنت كعب: فرجعت إلى أبي فقال: ما حدثتكم به عائشة؟!

فأخبرته بما قالت.

فقال: يرحم الله عائشة، ويرحم الله أمير المؤمنين عثمان، هي كانت أشد الناس عليه، ولقد نزعت وتابت، وأرادت أن تأخذ بثاره، فجاء خلاف ما أرادت[2].

ونقول:

1 - لا حاجة بنا إلى التعليق على هذا الإعتراف الصريح من عائشة بقتل عثمان. وكأنها تريد أن تقول: إنها تستحق ما تعرضت له من أخطار، وتعتبر ذلك كفارة عن مشاركتها بقتل عثمان..

ولكن.. إذا كان ضميرها قد استيقظ حقاً، فلماذا لم يكن هذا الإستيقاظ تاماً وشاملاً لأهل البصرة الذين كانت تأمر بقتلهم، حتى

---

(1) الجمل للمفيد ص381.

(2) الجمل للمفيد ص380.

بلغوا المئات قبل مجيء علي «عليه السلام»؟!

ولم لا يستيقظ لأجل عشرات الألوف الذين سقطوا حول جملها في حرب الجمل، وكان منهم سبعون رجلاً من قريش؟! ويا ليتها غيرت سلوكها مع من حاربته وقاتلته، فلم تشمت ولم تظهر الفرح بقتله.. ويا ليته استيقظ حين استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام» وحيث جمعت حولها بني أمية، وخرجت لتمنع من دفنه عند جده رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهل حصلت الفرقة بين المسلمين التي تحدثت عنها عائشة بقتل عثمان فقط؟! أم أن هذه الفرقة قد حصلت بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والاستيلاء على الخلافة، وإقصاء أمير المؤمنين «عليه السلام» عن مقامه، وضرب فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وإسقاط جنينها، وغصب فدك، وقتل مالك بن نويرة وغيره من بني حنيفة؟! فلماذا لم يستيقظ ضميرها لأجل أي من تلكم الأحوال؟!

وهل الفرقة التي حصلت بقتل عثمان أعظم؟! أم الفرقة التي حصلت بقتل عشرات ألوف المسلمين في حرب الجمل أعظم؟!

هذا.. وإن نفس اعتراف عائشة: بأنه كان على هودجها دروع الحديد يدل دلالة واضحة على أنها جاءت لتشارك في الحرب، لا لأجل الإصلاح بين الناس كما زعموا..

2 ـ لا أدري كيف علمت عائشة ـ بعد قتل عثمان ـ: أن المسلمين لا

يستخلفون مثل عثمان أبداً؟! ولماذا علمت ذلك بعد قتله، ولم تعلم به قبل قتله؟!

3 ـ كيف كان عثمان أجلَّ المسلمين حلماً، وهو قد صنع بعمار وبابن مسعود، وبابن حنبل، وبغيرهم ما هو معلوم لكل أحد؟!

وهل من الحلم أن يدوس بطن عمار الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه، حتى أصابه بالفتق؟! وهل من الحلم أن يعترف بخطأه للمصريين، ويعطي العهد على المنبر على الإقلاع منه، ثم يتراجع عن عهده، ويتسبب بتأليب الناس عليه من جديد؟!

وهل من الحلم أن لا يحاسب مروان على كتابه باسمه، وبخاتمه إلى عامله بمصر يأمره على لسان عثمان بقتل المصريين الذين شكوا ما يفعل بهم؟!

4 ـ هل كان عثمان اعبد من أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة؟!

5 ـ هل كان عثمان أبذل المسلمين عند النائبة لغير أقاربه، وأحبابه الذين كان يعطيهم من بيت المال، حتى التخمة، وكانت عطاياه لهم بمئات الألوف وبالملايين؟!

6 ـ هل كان عثمان أوصل المسلمين للرحم من أمواله؟! أم من أموال بيت مال المسلمين؟!

ويكفي أن نذكر هنا قول أمير المؤمنين «عليه السلام» عنه في خطبته المعروفة بالشقشقية: «وقام ثالث القوم ـ يعني عثمان ـ نافجاً

حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته إلخ..»[1].

7 ـ وإذا كانت عائشة من أشد الناس على عثمان، وقد ألبت عليه، وأمرت بقتله، وإذا كان طلحة هو قائد الهجوم على عثمان، والمحاصر له. والزبير هو المحرض عليه أيضاً، فممن أرادت عائشة أن تأخذ بثأر عثمان؟!

ونقول:

1 ـ لا يعنينا كثيراً ما يذكره سيف في هذه الرواية وفي غيرها من

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص30 وعلل الشرائع ج1 ص150 ومعاني الأخبار ص361 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص48 والطرائف لابن طاووس ص418 والصراط المستقيم ج3 ص43 وكتاب الأربعين للشيرازي ص167 وحلية الأبرار ج2 ص291 وبحار الأنوار ج29 ص497 وكتاب الأربعين للماحوزي ص269 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص457 والغدير ج7 ص81 وج9 ص380 ونهج السعادة ج2 ص499 والدرجات الرفيعة ص34 ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» وما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص134 ونهج الحق للعلامة الحلي ص326 وإحقاق الحق (الأصل) للتستري ص277 وبيت الأحزان ص89.

الروايات من تفاصيل عن الحرب، وعن الميمنة والميسرة، والقلب والمجنبتين، وأيهما لزقت بالأخرى، فإن ذلك كله يبقى موضع ريب وشبهة، لأن المقصود منه: هو حفظ ماء الوجه للناكثين بأية وسيلة كانت.. وتبقى النصوص التي ذكرها غير سيف هي الأولى بالإعتماد.

2 - إن ما نريد أن نلفت نظر القارئ الكريم إليه: هو براعة عائشة في إثارة الحماس لدى الجماعات المختلفة، فإنها كانت تواجههم بأفانين من البيان الذي يدل على معرفتها بطبائع الناس، وما يؤثر فيهم، وما لا أثر له..

3 - ومع غض النظر عن ذلك، فإننا نقول:

تكفي وقفتها على جملها وسط ذلك السيل الهائل من البشر، لتصبح هي وجملها علم الجيش كله، فإن هذا كان من أهم أسباب إثارة الحماس في ذلك الجمع الهائل.

ولو أنها قعدت في بيت في البصرة، أو بقيت في خيمة قريبة من ساحة القتال، لم يكن لوجودها هذا التأثير في النفوس..

4 - ومن نماذج نشاطها المؤثر في تهيج الناس للحرب نذكر ما يلي:

ألف: إنها قالت للأزد، وهم عن شمالها: يا آل غسان، حافظوا اليوم على جلادكم الذي كنا نسمع به، وتمثلت:

وجالد مـن غسـان أهل حفاظها وهنب وأوس جالـدت وشبيـب

ب: وقالت لبكر بن وائل، وهم عن يمينها: لكم قول القائل:

وجـاؤا إلـــيـــنا بـالحديد كأنهم مـن العـزة القعسـاء بكـر بـن وائـــل

ج: وقالت لبني ناجية، وكانوا بين يديها: بخ، بخ، سيوف أبطحية، وسيوف قرشية.

د: وقالت لبني عدي: ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولي.

قال المعتزلي:

«قالوا: وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش، قتلوا كلهم، ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلا سالت نفسه، أو قطعت يده.

وجاءت بنو ناجية، فأخذوا بخطام الجمل، ولم يكن يأخذ الخطام أحد إلا سألت عائشة: من هذا؟!

فسألت عنهم، فقيل: بنو ناجية.

فقالت عائشة: صبراً يا بنى ناجية، فإني أعرف فيكم شمائل قريش.

قالوا: وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش، فقتلوا حولها جميعاً.

براعة عائشة في إثارة الحماس:

قال الطبري:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية

بن بلال، عن أبيه قال:

اشتد الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفة إلى القلب، حتى لزقت به، ولزقت ميسرة البصرة بقلبهم، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم، وإن كانوا إلى جنبهم، وفعل مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة.

فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمن عن يسارها: من القوم؟!

قال صبرة بن شيمان: بنوك الأزد.

قالت: يال غسان! حافظوا اليوم جلادكم الذي كنا نسمع به، وتمثلت:

وجالد من غسان أهل حفاظها وهنب وأوس جالدت وشبيب

وقالت لمن عن يمينها: من القوم؟!

قالوا: بكر بن وائل.

قالت: لكم يقول القائل:

وجاؤا إلينا في الحديد كأنهم من العزة القعساء بكر بن وائل

إنما بإزائكم عبد القيس. فاقتتلوا أشد القتال من قتالهم قبل ذلك.

وأقبلت على كتيبة بين يديها، فقالت: من القوم؟!

قالوا: بنو ناجية.

قالت: بخٍ بخٍ، سيوف أبطحية، وسيوف قرشية.

فجالدوا جلاداً يتفادى منه.

ثم أطافت بها بنو ضبة، فقالت: ويهاً جمرة الجمرات!

حتى إذا رقوا خالطهم بنو عدي، وكثروا حولها.

فقالت: من أنتم؟!

قالوا: بنو عدي، خالطنا إخواننا.

فقالت: ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولي، فأقاموا رأس الجمل.

ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير، ولا يعدلون بالتطريف، حتى إذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعاً راموا الجمل وقالوا: لا يزال القوم أو يصرع.

وأرزت مجنبتا علي فصارتا في القلب، وفعل ذلك أهل البصرة، وكره القوم بعضهم بعضاً، وتلاقوا جميعاً بقلبيهم.

وأخذ ابن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز، وادعى قتل علباء ابن الهيثم، وزيد بن صوحان، وهند بن عمرو، فقال:

أنــا لمـن ينكرنــي ابــن يثــربي قــاتــل علــبــاء وهند الجملي
وابــن لــصوحان على دين علي

فناداه عمار: لقد لعمري لذت بحريز، وما إليك سبيل، فإن كنت صادقاً، فاخرج من هذه الكتيبة إليَّ.

فترك الزمام في يد رجل من بني عدي، حتى كان بين أصحاب

عائشة، وأصحاب علي.

فزحم الناس عماراً حتى أقبل إليه، فاتقاه عمار بدرقته، فضربه، فانتشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج.

فخرج عمار إليه لا يملك من نفسه شيئاً، فأسف عمار لرجليه فقطعهما، فوقع على إسته، وحمله أصحابه، فارتث بعد، فأتي به علي، فأمر بضرب عنقه[1].

كيف قتل كعب بن سور؟!:

قال الطبري: (كتب إلي السري) عن شعيب، عن سيف، عن ابن صعصعة المزني، أو عن صعصعة، عن عمرو بن جأوان، عن جرير بن أشرس قال: كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير، فانهزم الناس، وعائشة تَوَقَّعُ الصلح، فلم يفجأها إلا الناس، فأحاطت بها مضر، ووقف الناس للقتال، فكان القتال نصف النهار مع عائشة. وعلي (...).

وقد كان أخذ مصحف عائشة وعلي، فبدر بين الصفين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص516 و 517 و (ط الأعلمي) ج3 ص525 و 526.

وأعطي درعه، فرمى بها تحته، وأتي بترسه، فتنكبه، فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه، ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم، والتحم القتال، فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة.

وتقدم قول ابن حبان: «كان كعب بن سور قد علق المصحف في عنقه، ثم يأتي هؤلاء فيذكرهم ويأتي هؤلاء فيذكرهم حتى قتل»[1].

وروى الطبري: عن شيخ من الحرمين يقال له: أبو جبير، قال: مررت بكعب بن سور وهو آخذ بخطام جمل عائشة «رضي الله عنها» يوم الجمل، فقال: يا أبا جبير، أنا والله كما قالت القائلة:

بـنـي، لا تبـن ولا تقـاتـل

فحدثني الزبير بن الحريت، قال: مر به علي وهو قتيل، فقام عليه فقال: والله إنك ـ ما علمت ـ كنت لصليباً في الحق، قاضياً بالعدل، وكيت وكيت؛ فأثنى عليه[2].

ونقول:

إن ذلك مكذوب على كعب بن سور، ومكذوب على أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً.

ونوضح ذلك فيما يلي:

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص529 و (ط الأعلمي) ج3 ص535.
(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص528 و (ط الأعلمي) ج3 ص535.

ابن سور يريد قتل علي ×:

لقد عرف أنصار أمير المؤمنين «عليه السلام» بالعبادة والزهد، والإستقامة على طريق الحق، والعمل الصالح، والطاعة لله ولرسوله، والبعد عن الهوى..

ويكفي: أن فيهم أمثال عمار بن ياسر، الذي هو جلدة ما بين عيني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه، ومعهم خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، وزيد بن صوحان، والأشتر، وأضرابهم.

بل يكفي: أن سيدهم، وقائدهم وإمامهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووصيه، وهو مع الحق ومع القرآن، والحق والقرآن معه.. وفيهم الحسن والحسين «عليهما السلام» سيدا شباب أهل الجنة.

وقد حاول مناوئوا علي «عليه السلام» أن يخترعوا نظراء لأصحاب علي «عليه السلام»، وأن يزوروا لهم القصص والحكايات والخرافات في الزهد، والعبادة والصلاح، وحسن النوايا.. ومن هؤلاء: كعب بن سور، الذي جعله عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة..

فادَّعوا: أنه كان يسعى في الصلاح والإصلاح، فقتل مظلوماً

على أيدي أصحاب علي «عليه السلام»[1]. بل يدَّعي الطبري: أنهم رشقوه رشقاً واحداً حتى قتلوه، مع أنه كان قد رمى بدرعه تحته، وهو يناشدهم الله في دمائهم.

ولكن مراجعة النصوص بدقة، وانتباه تعطي: أن كعب بن سور لم يكن من أهل الصلاح ولا من طالبي الإصلاح، بل جاء ليقاتل، بل ليقتل إمامه علياً «عليه السلام».. والذي يأتي لطلب الإصلاح لا يكون مع فريق بعينه. ولا يكون أول آخذ بخطام الجمل، ولا يكون مع قبيلته في جيش الناكثين.

ويشهد على أن كعب بن سور كان من أعداء أمير المؤمنين «عليه السلام» العديد من النصوص التي نختار منها ما يلي:

1 - يقول علي «عليه السلام» عنه، حين رآه قتيلاً: «..ولكن الشيطان أضلك، فأذلك، فعجلك إلى النار»[2].

2 - وقال «عليه السلام» عنه وهو قتيل: «هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف، يزعم أنه ناصر أمه. يدعو الناس إلى ما فيه، وهو لا يعلم مافيه، ثم استفتح **(وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)**، أما إنه دعا الله أن يقتلني، فقتله الله»[3].

---

(1) راجع: الثقات لابن حبان ج2 ص284.

(2) شرح نهج البلاغة للمعزلي ج1 ص248.

(3) الإرشاد للفيد ص136 و 137 و (ط دار المفيد) ج1 ص256.

3 - قالوا: «وجر كعب بن سور بالخطام، وقال: «اللهم إن أردت أن تحقن الدماء، وتطفئ الفتنة، فاقتل علياً»[1].

4 - لما قتل كعب بن سور تقدم إلى الميدان وائل بن عمر الحدّاني، وهو يبكي ويقول:

يارب فـارحـم سيـد القبائل كعـب بـن سـور غـرة القنابـل
وخيـر حـاف مـنهم وناعل وخيـر مقتـول وخيـر قاتـل
يـا كعـب فلتبشر بخير كامل بنصـرك الـحق وتـرك الباطـل

فخرج إليه عبد الرحمان بن هاشم، وهو يقول:

لا رحـم الله ابـن سور إذ مضى ولا تـولاه بعفـو ورضـى
فقد قضى بالجور فيمـا قد قضى ودان بـالكفر ولـم يعص الهـوى
واتبـع الضُّلال من أهل العمـى فصـار بالفتنـة مـع مـن قـد هـوى[2]

5 - والنص المتقدم في أول فصل: قتل عمرو بن يثربي وآخرين، يشهد هو الآخر بأن كعب بن سور كان مقاتلاً للأخيار الأبرار لا مصلحاً.. فقد قال: «وذهب كعب بن سور الأزدي ليخرج إلى عمار،

(1) الجمل للمفيد ص348 و (ط المكتبة الحيدرية) ص186.
(2) الجمل للمفيد ص353 و (ط المكتبة الحيدرية) ص188.

فسبقه إلى ذلك غلام من الأزد إلخ..»[1].

فمن يريد أن يبرز لعمار بن ياسر لا يريد أن يبرز إليه ليلقي عليه الورود، أو ليقرأ عليه التعاويذ، بل يريد أن يبرز إليه ليقتله، مع أن عماراً هو الذي قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: عمار جلدة ما بين عيني[2].

وقال: ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه[3].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص322 و323 و (ط دار الأضواء) ج2 ص476.

(2) السيرة النبوية لابن هشام ح2 ص143 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص52 ونهج الحق ص297 والسيرة الحلبية ج2 ص72 والدر المنثور ج2 ص174 والغدير ج9 ص215.

(3) راجع: الأمالي للصدوق ص324 وروضة الواعظين ص281 وبحار الأنوار ج22 ص319 وج33 ص25 وج43 ص46 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص379 والغدير ج9 ص24 و 25 وج10 ص18 و 87 و312 وسنن ابن ماجة ج1 ص52 وسنن النسائي ج8 ص111 وفضائل الصحابة للنسائي ص50 والمستدرك للحاكم ج3 ص392 ومجمع الزوائد ج9 ص295 وفتح الباري ج7 ص72 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص217 و524 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص74 وج6 ص532 وصحيح ابن حبان ج15 ص552 والإستيعاب ج3 ص1137 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص103 وج20 ص38 والجامع الصغير ج2 ص178 و 539 وكنز العمال ج11 ص722 و 724 وفيض القدير ج4 ص473 وج6 ص5 والدرجات الرفيعة ص257

وقال: ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار[1].

وعلل الدارقطني ج4 ص152 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص359 و 391 و 392 و 393 وج60 ص168 وأسد الغابة ج5 ص383 وتهذيب الكمال ج21 ص222. وراجع: سير أعلام النبلاء ج1 ص413 والإصابة ج4 ص473 وتهذيب التهذيب ج7 ص358 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص573 والوافي بالوفيات ج22 ص233 والبداية والنهاية ج7 ص345 وصفين للمنقري ص323 وينابيع المودة ج2 ص77 والنهاية في غريب الحديث ج4 ص333 ولسان العرب ج6 ص347 وتاج العروس ج9 ص196 وحليف مخزوم (عمار بن ياسر) ص75 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص285 وج6 ص134 وج16 ص503.

(1) راجع: دلائل الصدق ج3 ق2 ص133 والعمدة لابن البطريق ص324 وكتاب الأربعين للشيرازي ص628 وبحار الأنوار ج31 ص204 وج33 ص22 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص379 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص49 و 51 و 52 و 55 و 60 والنص والإجتهاد ص506 والغدير ج3 ص250 وج9 ص21 ومسند أحمد ج3 ص91 وصحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج1 ص115 وج3 ص207 وتحفة الأحوذي ج10 ص204 وصحيح ابن حبان ج15 ص555 والجامع الصغير ج2 ص718 وكنز العمال ج11 ص722 والدرجات الرفيعة ص271 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص46 و 413 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص37 و 38 و 578 والبداية والنهاية ج3 ص264 وج7 ص300 وإمتاع الأسماع ج12 ص198 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص307 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص152 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص263 وينابيع

6 - وتقدم في أوائل هذا الفصل: شعره، الذي يصف فيه علياً «عليه السلام» ومن معه بالأعداء، فيقول:

لا يــغلبن سم العدو سمكم إن العـــدو إن علاكـــم ذمكـــم
وخصكم بــجــوره وعمـــكم لا تفضـــحوا اليـــوم فـــداكم قومكم(1)

وهذا كله يوضح: أنه لا صحة لقولهم: إنه رمى درعه تحته، ولم يقاتل، وليس صحيحاً: أن الناس قد رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه. إذ لا معنى لقتل من يجلس على درعه، ويمتنع عن القتال..

ويكذب هذا الزعم أيضاً: أنهم يقولون: إنه كان آخذاً بخطام الجمل، فقطعت يمينه التي كان آخذاً الخطام بها، ثم قتل. وإن الأشتر هو الذي قتله.

اليوم الثاني: الشعار.. الزلزال:

قال ابن ابي الحديد المعتزلي:

ونادت الأزد وضبة: يا لثارات عثمان! فاتخذوها شعاراً.

ونادى أصحاب علي «عليه السلام»: يا محمد! فاتخذوها شعاراً، واختلط الفريقان.

المودة لذوي القربى ج1 ص385 وج2 ص104.

(1) راجع: شجرة طوبى ج2 ص323 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص255 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج2 ص47.

ونادى علي «عليه السلام» بشعار رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا منصور أمت.

وهذا في اليوم الثاني من أيام الجمل، فلما دعا بها تزلزلت أقدام القوم، وذلك وقت العصر، بعد أن كانت الحرب من وقت الفجر.

قال الواقدي: وقد روي: أن شعاره «عليه السلام» كان في ذلك اليوم: «حم لا ينصرون. اللهم انصرنا على القوم الناكثين».

ثم تحاجز الفريقان، والقتل فاش فيهما، إلا أنه في أهل البصرة أكثر، وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة(1).

ونقول:

1 - إننا لا نريد أن نتوقف كثيراً عند شعار الأزد وضبة: يا لثارات عثمان، فإن كان المطلوب لهؤلاء: هو العمل بسنة العرب في الجاهلية. فأين الأزد وضبة عن عثمان الأموي؟! ولماذا تطلب هاتان القبيلتان بثأر رجل ليس منهما، ولا يربط بينهما حلف ولا رابطة ولاء، ولا عهد، ولا وعد، ولا غير ذلك؟!

وإن كان هذا الشعار مستنداً إلى مبرر ديني، فإن بني ضبة والأزد ليسوا أولياء الدم.

وإن كان المستَنَد إنسانياً، وهو نصرة المظلوم، فإنما ينصر المظلوم على ظالمه، فلا بد أولاً من معرفة الظالم له، وليس هو

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص262.

علي.. بل كان أشد الظالمين لعثمان: هم قادة الناكثين أنفسهم، وهم طلحة والزبير وعائشة..

على أن نصرة الظالم لا تكون بمحاربة الإمام الحاكم، بل بالرجوع إليه، وعرض الأمر عليه، وطلب حكمه وقضائه.

2 - إن هذا النص يدل: على أن النداء بيا محمد، قد كان لأجل: طلب العون منه، والاستعانة به. وهذا يسقط ما يدعيه البعض، من عدم جواز التوسل بغير الله.. وخصوصاً الأموات. واعتبارهم هذا التوسل من الشرك. فإن علياً «عليه السلام» هو سيد الموحدين، وهو أعلم بالله ورسوله، وشرعه ودينه، من هؤلاء المدعين.

3 - ولسنا بحاجة إلى التذكير: بأن تحول هذا الشعار: «يا منصور أمت» إلى زلزال في أهل النكث يحمل معه سراً إلهياً، ليس من السهل الوقوف عليه، ومعرفة كنهه..

ولعل نفس انتساب هذا الشعار إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعطيه معنى روحياً لا يبتعد عن معنى: أن حرب الناكثين لعلي «عليه السلام» هي في الحقيقة حرب على الله ورسوله وعلى الدين وأهله.

يضاف إلى ذلك: أن مضمون الشعار نفسه يذكِّر بالنصر الإلهي لعباده، وبالتدمير، والإهلاك لأعداء الله، وأعداء دينه، وأهل دينه..

لا تجيبوا الناكثين على شعرهم:

1 ـ تقدم: أن أحد الكوفيين طلب من المؤمنين أن لا يجيبوا أنصار عائشة على ما يقولونه من الشعر. لكي لا يستريحوا بذلك.. بل عليهم أن يجيبوهم بسيوفهم، فإنها أسرع جواباً..

وهو كلام صحيح في بعض وجوهه.. ولكن الأصح منه: هو أن عدم الجواب هذا قد يظهرهم بمظهر المتعطش لسفك الدماء.. وقد يُفَسر ذلك: بعدم امتلاك الحجة والدليل، وربما يتوهم بعض الناس في الساكتين: الحصر، والعي، والعجز عن الجواب، لأجل أميتهم وجهلهم، وبعدهم عن الفصاحة والبلاغة..

ولعل في مقابلة الشعر بمثله ما يثير الحماس لدى بقية إخوانهم، وربما كان فيه ما يكبت أعداءهم، أو يزرع شيئاً من الخوف في نفوسهم.. وربما.. وربما..

2 ـ وهنا ملاحظة أخرى، وهي: أن هذا الرجل الكوفي، قد تحدث عن الجيش المقابل بعنوان: أنهم أنصار صاحبة الجمل، ولم يذكر طلحة والزبير.. فقد يكون سبب ذلك: هو أن عائشة كانت هي صاحبة الأمر والنهي، وأن الناس إنما اجتمعوا لأجلها وبسببها، لا لأجل طلحة والزبير..

وربما كان السبب: هو أن هذا النداء إنما حصل بعد قتل (قتلوا) طلحة والزبير.. فلم يعد هناك مبرر للحديث عن نصرتهما، ولا عن الناس بعنوان كونهم أنصاراً لهما.

بعر جمل عائشة كالمسك:

ومن الأمور اللافتة للنظر: ما تقدم عن بني ضبة والأزد، من أنهم صاروا يشمون بعر جمل عائشة ويقولون: ألا ترون إلى بعر جمل أمنا كأنه المسك الأذفر؟!

ولا نستطيع تفسير هذا التصرف بأنه نتيجة اختلال عقلي طارئ أصاب هاتين القبيلتين، فإن أشعارهم وسائر تصرفاتهم لا تشير إلى حصول شيء من ذلك.

على أنه لا مبرر لحدوث هذا الجنون لمجموعة بعينها من الناس دون سائرهم.. كما لا بد لحدوث تغير في خصوصيات التكوين والخلق لهاتين القبيلتين. إذ لا مبرر لأمر كهذا في خصوص هاتين القبيلتين دون سواهما..

ولا بد من فهم ذلك: على أنه تسويل شيطاني يهدف إلى المزيد من التضليل. وإلى إثارة الحماس في القتال دفاعاً عن الجمل وصاحبته.

ندم عائشة:

قال أبو مخنف: وانتهى الحارث بن زهير الأزدي من أصحاب علي «عليه السلام» إلى الجمل، ورجل (سماه الطبري والدينوري: عمرو بن الأشرف) آخذ بخطامه، لا يدنو منه أحد إلا قتله، فلما رآه الحارث بن زهير مشى إليه بالسيف وارتجز، فقال لعائشة:

يـــا أمـــنـــا أعـــق أم نـعلم والأم تغـــذو ولـــدها وتـــرحم
أما ترين كم شجـــاع يكلـــم! وتـــختـــــــلى هامتـــــــه والمعصم!(1)

[وفي الأخبار الطوال للدينوري:

يـــا أمنـــا يـــا خـير أم نعلم والأم تغـــذو ولـــدها وتـــرحم
ألا تـــرين كـــم جواد يكـــلم وتـــختلـــــــــي هامتـــــــه والمعصم](2)

وفي الطبري وغيره: كان عمرو بن الأشرف أخذ بخطام الجمل لا يدنو منه أحد إلا خبطه بسيفه، إذ أقبل الحارث بن زهير الأزدي وهو (أي عمرو بن الأشرف) يقول:

يـــا أمـــنا يـــا خير أم نعلم أمـــا ترين كم شجاع يكـــلـــم
وتـــخـــتلى هـــامته والمعصم(3)

فاختلف هو والرجل ضربتين، فكلاهما أثخن صاحبه.

قال جندب بن عبد الله الأزدي: فجئت حتى وقفت عليهما، وهما

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص264.
(2) راجع: الأخبار الطوال للدينوري ص150.
(3) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص529 والكامل في التاريخ ج3 ص250 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص271 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص421 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج2 ص47.

يفحصان بأرجلهما حتى ماتا.

قال: فأتيت عائشة بعد ذلك أسلم عليها بالمدينة، فقالت: من أنت؟!

قلت: رجل من أهل الكوفة.

قالت: هل شهدتنا يوم البصرة؟!

قلت: نعم.

قالت: مع أي الفريقين؟!

قلت: مع علي.

قالت: هل سمعت مقالة الذي قال:

يـــا أمنـــا أعـــق أم نـــعلم .....

قلت: نعم، وأعرفه.

قالت: ومن هو؟!

قلت: ابن عم لي.

قالت: وما فعل؟!

قلت: قتل عند الجمل وقتل قاتله.

قال: فبكت حتى ظننت والله أنها لا تسكت، ثم قالت: لوددت والله أنني كنت مت قبل ذلك اليوم بعشرين سنة(1).

ورواية ابن شهرآشوب تفيد: أن عائشة كانت تنادي بأرفع

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص264.

صوت: أيها الناس عليكم بالصبر، فإنما يصبر الأحرار.

فأجابها كوفي:

يـــا أم يـــا أم عققـت فاعلموا والأم تغـــذو ولـــدها وتـــرحم
أمـــا تـراكم من شجاع يكلـم وتـجـتلـــــــي هامتـــــــه والمعصم(1)

لكن في الطبري رواية تسمي الرجلين القتيلين، وهما: ربيعة العقيلي، من أصحاب علي «عليه السلام». وعمرو بن بجرة العدوي، من أصحاب عائشة(2).

وسماهما في رواية أخرى: بالحارث بن زهير من جهة، وعمرو بن الأشرف من الجهة الأخرى(3).

هل ندمت عائشة؟!:

حين يقال: إن عائشة قد ندمت على خروجها إلى حرب الجمل، يتوهم بعض الناس: أن ندمها هو ندم التوبة والإنابة إلى الحق..

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص160 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص345 وبحار الأنوار ج32 ص180.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص517 و (ط الأعلمي) ج3 ص526.

(3) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص520 و 521 و (ط الأعلمي) ج3 ص529.

فإن كان من أوليائها ومحبيها سره ذلك، واتخذ منه ذريعة لدفع الإشكالات عنها: بأن توبتها تخفف من ذنبها، ومن حدة النقد الموجهة إليها لمحاربتها إمامها، وتسببها بقتل عشرات الألوف من المسلمين. وبعد توبتها هذه لا معنى لمواصلة التشنيع عليها واعتبارها مصداقاً للأحاديث الواردة في حق من يحارب علياً «عليه السلام»، أو من أراد أن يفرق كلمة المسلمين.. ونحو ذلك..

وإن كان من يسمع بندمها من أولياء أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن شيعته، فإنه سيفرح، ويبتهج، لأن ندمها سيكون اعترافاً منها بالخطأ، ويمثل تأكيداً على أنه «عليه السلام» كان مع الحق، والحق معه، وعلى أن الخارجين عليه قد ظلموه، وتجنوا عليه..

ولكن التأمل في سيرة حياتها يعطي: أن ندمها لم يكن ندم التائبين، بل كان ندم الخائبين المهزومين. الذين أصيبوا بفضيحة هائلة، ونكسة قاتلة، فندم هؤلاء إنما هو على إقدامهم على هذا الأمر من دون إعداد كاف، يضمن لهم النجاح فيه.. فهم يندمون على التقصير في بذل الجهد المؤدي إلى النصر..

ولو أنها تمكنت من تحقيق النصر، ولو بالصدفة، فإنك ستجدها في غاية السرور والحبور..

وشاهدنا على ذلك: أن بغضها لعلي «عليه السلام» لم تخب جذوته، ولم تنكسر حدته، بل ربما تضاعف عما كان عليه..

ويدلنا على ذلك: الكثير من التصرفات والمواقف، التي ظهرت

منها تجاه علي «عليه السلام»، وتجاه الإمام الحسن «عليهما السلام»، في حياتهما، وبعد استشهادهما..

وكمثال على ذلك نذكر: أنها حين استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» أظهرت الفرح، وسجدت لله شكراً[1].

وحين أخبرت بقتله قالت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر[2]

وفي نص آخر، أنها قالت:

فإن تك ناعياً فلقد نعاه نعيٌّ ليس في فيه التراب

---

(1) الجمل ص159 و (ط مكتبة الداوري - قم) ص84 والجمل لابن شدقم ص26 ومقاتل الطالبيين ص27 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص285.

(2) الجمل ص159 و (ط مكتبة الداوري - قم) ص84 والمراجعات للسيد شرف الدين ص318 والجمل لابن شدقم ص26 وكتاب الأربعين للشيرازي ص624 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص115 ونهج السعادة ج8 ص508 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص299 وأعيان الشيعة ج1 ص121 ومدينة المعاجز ج3 ص411 و 412 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص471 والكامل في التاريخ ج3 ص394 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص104 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص40 وبحار الأنوار ج32 ص340.

ثم قالت: من قتله؟!

فقيل: رجل من مراد.

فقالت: رب قتيل الله بيدي رجل من مراد.

فقالت لها زينب بنت أبي سلمة: أتقولين مثل هذا لعلي في سابقته وفضله؟!

فضحكت، وقالت: بسم الله إذا نسيت ذكريني[1].

أو قالت: لليدين وللفم[2].

وأعتقت عبدها حين بشرها بقتل علي «عليه السلام»[3].

وسمت عبداً لها بعبد الرحمان حباً بقاتل علي «عليه السلام». كما اعترفت به عائشة نفسها[4].

---

(1) أخبار الموفقيات ص131 وقاموس الرجال ج1 ص475 عن الأغاني، والكامل في التاريخ ج3 ص394 والجمل للمفيد ص159 و (ط مكتبة الداوري - قم) ص84 والجمل لابن شدقم ص26 وبحار الأنوار ج32 ص341 ومقاتل الطالبيين ص27 ونهج السعادة ج8 ص508 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص105 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص299 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص115 والشافي في الإمامة ج4 ص355.

(2) راجع: غريب الحديث لابن سلام ج3 ص396.

(3) راجع: تقريب المعارف ص411.

(4) قاموس الرجال ج1 ص475 و ج12 ص300 والجمل ص159 و (ط

وحين استشهد الإمام الحسن «عليه السلام» وأراد الإمام الحسين «عليه السلام» أن يدخل جنازته على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، جمعت من كان من بني أمية ومن حشمهم، وفيهم مروان، وجاءت راكبة على بغل، لتمنع من دفنه عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ورموا جنازته «عليه السلام» بالسهام، وأصاب الجنازة عدد من تلك السهام.. وعائشة تنادي: نحوا ولدكم عن بيتي، ولا تدخلوا بيتي من لا أحب[1].

وكادت الحرب أن تقع، فأمر الإمام الحسين «عليه السلام» بإرجاع الجنازة[2].

مكتبة الداوري - قم) ص84 والجمل لابن شدقم ص26 وبحار الأنوار ج28 ص150 وج32 ص341 و 342 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص512 والشافي في الإمامة ج4 ص356.

(1) راجع: الإرشاد للمفيد ج2 ص18 والخرائج والجرائح ج1 ص242 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص149 وبحار الأنوار ج44 ص153 و 154 و 157 والأنوار البهية ص92 والدرجات الرفيعة ص125 وقاموس الرجال ج12 ص300 وأعيان الشيعة ج1 ص576 والجمل للمفيد ص234 وكشف الغمة ج2 ص209 مناقب آل أبي طالب ج3 ص204. وراجع: روضة الواعظين ص168.

(2) راجع في ذلك كلاً أو بعضاً من: مقاتل الطالبيين، وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص468 والإرشاد للمفيد ص193 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص225.

ولا ندري من أين صار موضع دفن النبي «صلى الله عليه وآله» بيتاً لها، مع أنه دفن «صلى الله عليه وآله» في بيت فاطمة «عليها السلام»، لا في بيت عائشة.

ولكن السلطة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد مكنتها من الإستيلاء على ذلك البيت، ولم يكن هناك مصلحة بالتصدي لها ولهم، لأن ذلك يوقع في المحذور..

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في بحث مستقل في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

الفصل الثامن:

أحداث اليوم الثالث..
اقتلوني ومالكاً

بداية:

ويقول المؤرخون:

ثم تواقفوا في اليوم الثالث، واستعرت الحرب، ولم تخمد نارها إلا بعد عقر جمل عائشة، وهكذا كان..

ومهما يكن من أمر، فقد جرى في هذا اليوم، اللقاء بين عبد الله بن الزبير ومالك بن الحارث الأشتر.

وملخص ما جرى هو كما يلي:

اقتلوني ومالكاً:

1 - قال ابن أعثم:

وجعل الأشتر يجول في ميدان الحرب، وينادي بأعلى صوته: يا أنصار الجمل! من يبارزني منكم؟!

قال: فبرز إليه عبد الله بن الزبير وهو يقول: إلى أين يا عدو الله؟! فأنا أبارزك!

قال: فحمل عليه الأشتر، فطعنه طعنة صرعه عن فرسه، ثم بادر وقعد على صدره.

قال: فجعل عبد الله بن الزبير ينادي من تحت الأشتر في يومه ذلك: اقتلوني ومالكاً!

قال: وكان الأشتر في يومه صائماً، وقد طوى من قبل ذلك بيومين، فأدركه الضعف، فأفلت عبد الله من يده، وهو يظن أنه غير ناج منه(1).

وعند ابن شهرآشوب: أنه لما صاح ابن الزبير: اقتلوني ومالكاً، واقتلوا مالكاً معي. قصد إليه من كل جانب، فخلاه الأشتر وركب فرسه، فلما رأوه راكباً تفرقوا عنه(2).

2 - وقال المعتزلي:

ثم تواقفوا في اليوم الثالث، فبرز أول الناس عبد الله بن الزبير، ودعا إلى المبارزة، فبرز إليه الأشتر.

فقالت عائشة: من برز إلى عبد الله؟!

قالوا: الأشتر.

فقالت: وا ثكل أسماء!

---

(1) راجع: كتاب الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص482.

(2) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 و 179 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص344 وبحار الأنوار ج32 ص178 - 180.

فضرب كل منهما صاحبه فجرحه، ثم اعتنقا، فصرع الأشتر عبد الله، وقعد على صدره، واختلط الفريقان: هؤلاء لينقذوا عبد الله، وهؤلاء ليعينوا الأشتر.

وكان الأشتر طاوياً ثلاثة أيام لم يطعم، وهذه عادته في الحرب، وكان أيضاً شيخاً عالي السن، فجعل عبد الله ينادى: اقتلوني ومالكاً.

فلو قال: «اقتلوني والأشتر» لقتلوهما، إلا أن أكثر من كان يمر بهما لا يعرفهما، لكثرة من وقع في المعركة صرعى بعضهم فوق بعض، وأفلت ابن الزبير من تحته، أو لم يكد(1).

3 ـ وقال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

فلاذ بالجمل عبد الله بن الزبير وتناول خطامه بيده؛ فقالت عائشة: من هذا الذي أخذ بخطام جملي؟!

قال: أنا عبد الله ابن أختك.

فقالت: وا ثكل أسماء.

ثم برز الأشتر إليه، فخلى الخطام من يده، وأقبل نحوه، فقام مقامه في الخطام عبد أسود، واصطرع عبد الله والأشتر، فسقطا إلى الأرض، فجعل ابن الزبير يقول ـ وقد أخذ الأشتر بعنقه ـ: اقتلوني ومالكاً، واقتلوا مالكاً معي.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص263 و 264 وتاريخ مدينة دمشق ج56 ص382 و 383.

قال الأشتر «رضوان الله عليه»: فما سرني إلا قوله مالكاً، ولو قال الأشتر لقتلوني، ووالله لقد تعجبت من حمق عبد الله؛ إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه الموت إن قتلت وقتل معي، ولم تلد امرأة من النخع غيري، فأفرجت عنه فانهزم، وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه[1].

4 - وقال المعتزلي وغيره:

روى أبو مخنف عن الأصبغ بن نباتة، قال: دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل، فقالت عائشة: يا عمار، من معك؟!

قال: الأشتر.

فقالت: يا مالك، أنت الذي صنعت بابن أختي ما صنعت؟!

قال: نعم، ولولا أنى كنت طاوياً ثلاثة أيام لأرحت أمة محمد منه.

---

(1) الجمل للمفيد ص350 و (ط المكتبة الحيدرية) ص187 وأشار المعلق في الهامش إلى المصادر التالية: أنساب الأشراف ص242 والأخبار الطوال ص150 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص519 - 520 و 525 ومروج الذهب ج2 ص376 وشرح الأخبار ج1 ص397 وتجارب الأمم ج1 ص326 والكامل في التاريخ ج3 ص250 - 251 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص262 - 263.

وراجع: وفيات الأعيان ج3 ص18 وتاريخ مدينة دمشق ج56 ص382 و 383.

فقالت: أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لا يحل دم مسلم إلا بأحد أمور ثلاث: كفر بعد الإيمان، أو زناً بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق»!

قال الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين، وأيم الله ما خانني سيفي قبلها، ولقد أقسمت ألا يصحبني بعدها.

5 ـ قال أبو مخنف: ففي ذلك يقول الأشتر:

أعائش لولا أنني كنت طـــاوياً ثلاثـاً لألفيـت ابـن أختـك هالكـا
**غداة ينادى والـــرجـــال تحوزه بأضـــعف صـــوت: اقتلـــوني ومالكـــــــ

5 - وجاءها عمار، فقال لها: يا أماه، كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف؟!

فصمتت ولم تجبه.

وجاءها مالك الأشتر «رحمه الله» وقال لها: الحمد لله الذي نصر وليه، وكبت عدوه **(جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)**[1]. فكيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟!

فقالت: من أنت ثكلتك أمك؟!

فقال: أنا ابنك الأشتر.

قالت: كذبت لست بأمك.

قال: بلى، وإن كرهت.

فقالت: أنت الذي أردت أن تثكل أختي أسماء ابنها؟!

فقال: المعذرة إلى الله ثم إليك، والله إني لولا كنت طاوياً ثلاثة لأرحتك منه؛ وأنشأ يقول، بعد الصلاة على الرسول:

أعـــائـــش لولا إنني كنت طاوياً ثلاثـاً لألفيـت ابـن أختـك هالكـا
غدات ينـــادي والـرماح تنوشه بأضـــعف صـــوت: (اقتلـــوني ومالكا)

ص196.

(1) الآية 81 من سورة الإسراء.

فبكت وقالت: فخرتم وغلبتم. **(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)[1]»[2].**

6 - وفي نص آخر: تماسك ابن الزبير هو والأشتر، وصار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته، وركب صدره، وفعلا ذلك مراراً، وابن الزبير ينشد في أثناء ذلك:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي[3]

7 - وقال ابن الزبير: لاقيت الأشتر يوم الجمل، فما ضربته ضربة حتى ضربني ستاً أو سبعاً، ثم أخذ برجلي وألقاني في الخندق.

وقال: والله، لولا قرابتك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبداً[4].

8 - وأعطت عائشة لمن بشرها بسلامة ابن الزبير من الأشتر

---

(1) الآية 38 من سورة الأحزاب.

(2) الجمل ص371 و (ط مكتبة الداوري) ص197 وأشار في هامشه إلى الإمامة والسياسة ج1 ص75 - 79 وإلى الكامل في التاريخ ج3 ص254«صلى الله عليه وآله»

(3) الوافي في الوفيات ج25 ص20 والكنى والألقاب ج2 ص30 ووفيات الأعيان ج7 ص195 و 196.

(4) الوافي في الوفيات ج25 ص20 والكنى والألقاب ج2 ص30 ووفيات الأعيان ج7 ص196 عن ابن أبي شيبة.

عشرة آلاف درهم[1].

9 ـ وقال الطبري:

وحمل الأشتر فاعترضه عبد الله بن الزبير، فاختلفا ضربتين ضربه الأشتر، فأمه وواثبه عبد الله فاعتنقه، فخر به وجعل يقول:

«اقتلوني ومالكاً» ـ وكان الناس لا يعرفونه بمالك، ولو قال: والأشتر وكانت له ألف ألف نفس ما نجا منها شيء ـ وما زال يضطرب في يدي عبد الله حتى أفلت، وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يعد، وجرح يومئذ مروان وعبد الله بن الزبير[2].

10 ـ وقال أيضاً:

وقد كان ابن الزبير أخذ بخطام جمل عائشة، فقالت: من هذا؟!

فأخبرها، فقالت: وا ثكل أسماء.

فجرح، فألقى نفسه في الجرحى، فاستخرج، فبرأ من جراحته[3].

11 ـ وروي أيضاً: أنه بعد أن التقى الأشتر وابن الزبير، واعتنقا، وقال ابن الزبير: اقتلوني ومالكاً.

---

(1) الوافي في الوفيات ج25 ص20 والكنى والألقاب ج2 ص30 ووفيات الأعيان ج7 ص196 عن ابن أبي شيبة.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و (ط الأعلمي) ج3 ص536 وراجع تاريخ مدينة دمشق ج56 ص382.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص509 و (ط الأعلمي) ج3 ص520.

قال الأشتر: اقتلوني وعبد الله.. ولو قلت: الأشتر لقتلونا جميعاً[1].

وفي تاريخ ابن عساكر: بعد أن التقى الأشتر عبد الله، واعتنقا قال ابن الزبير: اقتلوني ومالكاً. وقال الأشتر: اقتلوني وعبد الله. ولو قلت: الأشتر لقتلونا جميعاً[2].

من القائل: اقتلوني ومالكاً؟!:

ذكرت النصوص المتقدمة: أن ابن الزبير هو القائل: «اقتلوني ومالكاً»، لكن الطبري ينقل نصاً آخر مفاده: أن عبد الرحمان بن عتاب هو قائل ذلك، لا عبد الله بن الزبير..

ألف: قال الطبري:

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قال علقمة: قلت للأشتر: قد كنت كارهاً لقتل عثمان «رضي الله عنه»، فما أخرجك بالبصرة؟!

قال: إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوا ـ وكان ابن الزبير هو الذي أكره عائشة على الخروج ـ فكنت أدعو الله عز وجل أن يلقينيه، فلقيني كفة لكفة، فما رضيت بشدة ساعدي أن قمت في الركاب فضربته على رأسه فصرعته

---

(1) راجع تاريخ مدينة دمشق ج56 ص383.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج56 ص383.

قلنا: فهو القائل: اقتلوني ومالكاً؟!

قال: لا، ما تركته وفي نفسي منه شيء، ذاك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، لقيني، فاختلفنا ضربتين، فصرعني وصرعته، فجعل يقول: اقتلوني ومالكاً، ولا يعلمون من مالك، فلو يعلمون لقتلوني.

ثم قال أبو بكر بن عياش: هذا كتابك شاهده(1).

ب: قال الطبري أيضاً:

حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن عن ابن أبي ليلى، عن دينار بن العيزار قال: سمعت الأشتر يقول: لقيت عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، فلقيت أشد الناس وأروغه، فعانقته، فسقطنا إلى الأرض جميعاً، فنادى: اقتلوني ومالكاً(2).

ويقول الطبري عن حملات أصحاب علي «عليه السلام» وما كان يجري حول الجمل:

ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدي بن حاتم، فحمل عليه (أي على الجمل)، ففقئت عينه، ونكل.

فجاء الأشتر، فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وإنه لأقطع منزوف، فاعتنقه ثم جلد به الأرض عن دابته، فاضطرب تحته، فأفلت

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص520 و (ط الأعلمي) ج3 ص528.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص521 و (ط الأعلمي) ج3 ص529.

وهو جريض[1].

ونقول:

أولاً: لعل كلاً من ابن الزبير وعبد الرحمان بن عتاب بن أسيد قد قال: اقتلوني ومالكاً.. فإن الروايات متضافرة في أن ابن الزبير قد قال ذلك، فلماذا تفرد ابن عياش بنفي ذلك عنه؟!

ثانياً: لعل المقصود برواية ابن عياش: هو حفظ ماء الوجه لعبد الله بن الزبير، فقد أصبح خليفة في الحجاز والعراق، وكان هناك من يهتم بالدفاع عنه، وتسطير الفضائل له.. وتحاشي ما فيه وهن أو انتقاص من مقامه. فراق لهم أن يقتصروا على القول بأن الأشتر قد صرعه، وأنكروا أن يكون قد جلس على صدره، وأنه قال: اقتلوني ومالكاً.

ثم زعموا: أن الأشتر قد اعترف بأنه كان مع ابن الزبير متكافئاً: كفة لكفة.

وقول الأشر: «ما تركته وفي نفسي منه شيء»، كأنه للتعبير عن كراهة لقاءه مرة أخرى.

ثالثاً: ثم حاولوا التخفيف من وهج لقاء الأشتر مع عبد الرحمان بن عتَّاب حين حمل عليه الأشتر وصرعه. مع أن الأشتر هو الذي

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص525 و (ط الأعلمي) ج3 ص532 والفتنة ووقعة الجمل ص164.

قتل ابن عتاب هذا.

ولا نستبعد أن يكونوا قد أدركوا أن طلب ابن الزبير أن يقتلوه هو والأشتر كان حماقة لا تصدر من عاقل.. فأبعدوا القضية عنه بالكلية..

رابعاً: ذكرت الرواية: أن الأشتر كان كارهاً لقتل عثمان، وكان علقمة يعرف ذلك عنه، ولذلك تعجب من خروجه مع علي «عليه السلام» بالبصرة..

وهذا كلام عجيب، فإن علياً «عليه السلام» وأصحابه ليسوا هم الذين خرجوا على عائشة وطلحة والزبير، بل كان هؤلاء هم الذين خرجوا على علي «عليه السلام»، وقد جاء الأشتر ليدافع عن إمامه..

فألا يدل هذا الكلام عن خروج علي «عليه السلام» على الناكثين على أن المقصود: هو الطعن بعلي وأصحابه بطريقة مبطنة؟! أليس هذا ونظائره من صناعة أعداء علي «عليه السلام»؟!

وا ثكل أسماء!!:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن عائشة حين عرفت أن ابن الزبير قد أخذ بخطام جملها قالت: وا ثكل أسماء!

وفي نص آخر: أنها قالت ذلك حين قيل لها: إن عبد الله بن الزبير قد برز إلى الأشتر.. وربما تكون قد قالت ذلك مرتين.

ولكن الذي لفت نظرنا أمران:

أولهما: أن عائشة كانت تعرف أن جملها هو محور الصراع،

وأن من يأخذ بخطامه يصبح في دائرة الخطر الأكيد والشديد..

الثاني: أنها كانت تحرض الناس على الحرب، وتأمرهم بالصبر، وتثني على الذين كانوا يحوطونها، ويقاتلون عند جملها، وهي ترى رأي العين كيف تقطع أيديهم، وتندر رؤوسهم، وتبقر بطونهم.. ولا تدعو بالثكل ولا بالويل والثبور من أجلهم، ولكنها حين ترى ابن أختها يقترب من منطقة الخطر، تستنفر وتصرخ وتقول: وا ثكل أسماء!

فلماذا لا تهتم لقتل من يقتل حول جملها من الأزد، أو من بني ضبة، أو من غيرهم، بل هي تحمسهم وترغبهم بالحرب.. وإن اقترب أحد أقاربها من الجمل، تستنفر كل قواها لإبعاده، وحفظ نفسه، فلماذا تفرط بأولئك، وتصون هؤلاء؟! وتنفس بهم عن القتل. وتنأى بهم عن المخاطرة؟!

تزوير متعمد:

وإذا راجعنا النصوص المتقدمة نجد أن بعضها يقول: إن ابن الزبير هو الذي أمسك بالأشتر وجلس على صدره، فاضطرب الأشتر تحته.

وقد روي هذا المعنى عن الأشتر تارة[1]. وعن ابن الشعبي

---

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج56 ص386 والإمامة والسياسة (تحقيق

أخرى[1].

ونصوص أخرى تقول: إن الأمر بالعكس، وأن ابن الزبير كان تحت الأشتر، وجعل ينادي من تحت الأشتر: اقتلوني ومالكاً[2].

وبعضها يقول: إنهما قد تبادلا الغلبة، فتارة يغلبه ابن الزبير ويجلس على صدره، وتارة يغلب الأشتر ابن الزبير، ويجلس على صدره[3].

الزيني) ج1 ص72 و (تحقيق الشيري) ج1 ص96.

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج56 ص382 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص536 والفتنة ووقعة الجمل ص169.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص533 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص344 وبحار الأنوار ج32 ص179 و 191 وج42 ص178 وشجرة طوبى ج2 ص320 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص262 وج15 ص101 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص482 والأخبار الطوال ص150 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص370 والجمل للشيخ المفيد (ط مكتبة الداوري) ص187 والدر النظيم ص353 وكشف الغمة ج1 ص243 و 244 والجمل لابن شدقم ص144.

(3) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج56 ص382 و 386 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص530 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص533 والكامل في التاريخ ج3 ص250 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7

بل في بعض الروايات المتقدمة: أن الأشتر قد أخذ برجل ابن الزبير، وألقاه في الخندق.

ويدل على تفوق الأشتر: اعتراف ابن الزبير: بأنه ما ضرب الأشتر ضربة، إلا وضربه الأشتر ستاً أو سبعاً[1].

وأبيات الأشتر تؤيد: أن عبد الله هو الذي أفلت من الأشتر، بسبب فتوته وشبابه، وذلك ظاهر لا يخفى.

صيام الأشتر:

إن كل أحد يعلم: أن الحرب تحتاج إلى بذل جهد، وفيها تعب وعناء، ويحتاج المقاتل فيها إلى تجديد القوة ساعة بعد ساعة، لكي لا يعرض نفسه للخطر والضرر، الذي قد لا يمكن تلافيه.. ولم يكن الأشتر بالذي يفوته ذلك. فهو من أعقل الرجال، ومن أشدهم بأساً، وأكثرهم مراساً.

إذن، فما معنى: أن يبقى أيام الحرب طاوياً، لا سيما وهو قائد خطير، وشيخ كبير، عالي السن كما قال المعتزلي[2].

ص272.

(1) راجع: الوافي في الوفيات ج25 ص20 والكنى والألقاب ج2 ص30 ووفيات الأعيان ج7 ص195 وفي المصنف لابن أبي شيبة ج7 ص260 وج8 ص707: خمساً أو ستاً.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص262 و 263.

وقال الأشتر نفسه في شعره المتقدم: إن الذي نجَّا ابن الزبير منه أكله وشبابه، وأنه شيخ لم يكن متماسكاً..

لا سيما وأن للأشتر دوراً حساساً وأساسياً في الحرب، لأنه أحد قادتها، بل هو أهم قائد فيها بعد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان على الميسرة.. وأي خطر يتهدد حياته، وأية انتكاسة يتعرض لها، قد يلحق بالجيش كله أعظم الأخطار.

وما عرفناه في الأشتر من اتزان وحصافة رأي، وحكمة. وما شاهدناه من هديه وزهده يمنعنا من تصديق مقولة امتناعه عن تناول الطعام في الحرب، ويحتم علينا القبول بما صرحت به بعض روايات هذه القضية من أنه «رحمه الله» كان صائماً. ولعله كان يفطر على اليسير، فصحله أن يقول: إنني كنت طاوياً ثلاثاً.

وذلك يعطي: أنه «رحمه الله» أراد أن يجمع بين عبادتين، هما: الصيام والجهاد في سبيل الله.. فنال ما تمناه.. «رحمه الله».

تحريف في عتاب عائشة للأشتر:

وقد تقدم: أن عائشة قد أخذت على الأشتر حين دخل عليها مع عمار بن ياسر: أنه أراد قتل ابن أختها، فأجابها بالأبيات الخمسة المتقدمة.. وحين قالت له: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لا يحل دم مسلم، إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زناً بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق..

قال لها الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه.. وأنشدها الشعر المتقدم.

ولكننا نجد في المقابل: أن البعض ينقل نفس هذا النص، ولكنه يحذف منه جواب الأشتر لها. ويكتفي بعضهم بمجرد تسجيل اعترافه بصحة ما نقلته عن الرسول «صلى الله عليه وآله».. فراجع[1].

وهذه خيانة ظاهرة ليس لها تفسير إلا التعصب الأعمى، وقلة الدين، وعدم التقوى.

بل إن بعض الروايات قد أكدت هذه الخيانة بتزوير آخر يقول: إن الذي كان مع الأشتر حين دخل على عائشة في قصر بني خلف هو ابن عباس. وأنها قالت له: أنت أردت قتل ابن أخي.

فقال: معذرة إلى الله ثم إليك[2]، ثم أنشد الأبيات الخمسة المتقدمة.

ولكن هذا البائس قد نسي أن البيتين الأخيرين، ولا سيما الشطر الثاني من البيت الأخير منها ينقض ما ادَّعاه من اعتذار الأشتر، حيث أكد لها: أنه أراد قتل ابن الزبير لأجل ارتكابه بعض تلك الأسباب التي ذكرتها من موجبات القتل. أي أنه إما بالكفر، أو بالزنا وهو محصن،

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج56 ص384 ومسند أحمد ج6 ص181 وسنن النسائي ج7 ص91 والسنن الكبرى للنسائي ج2 ص291.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج56 ص385 والجمل للمفيد ص362 و 363 في رواية ذكر فيها ابن الزبير نفسه ما جرى في حرب الجمل.

أو بقتل امرئ مسلم.

قَسَم الأشتر:

والمتأمل في الروايات المتقدمة يجد بينها بعض الإختلاف، ويظهر ذلك بالمراجعة والمقارنة.. ولكنها اتفقت على أصل القصة، فهي متسالم عليها بين الجميع وتصرف الرواة إنما استهدف بعض خصوصياتها.

من أجل ذلك نقول: إنه لا حاجة لنا إلى صرف الكثير من الوقت في تمحيص الخصوصيات التي في هذه النصوص، فنحن نصرف النظر عن ذلك عسى أن نوفق لبسط الكلام فيما هو أهم، ونفعه أعم.

خيانة سيف الأشتر:

وذكرت بعض الروايات: أن الأشتر قال لعائشة: إن سيفه قد خانه مع ابن الزبير، فأقسم أن لا يصحبه بعدها.. فقد يتوهم أن الأشتر لم يكن باراً بقسمه، فقد قاتل بسيفه في صفين أشد قتال.. والقتال إنما يكون بالسيوف والرماح.. فكيف أخل بقسمه؟! وكيف يقسم على أن لا يصحبه سيفه، وهو يتوقع، أو يحتمل أن يحتاج إليه في حروب أخرى؟!

ونجيب:

بأن المقصود: هو أن لا يصحبه خصوص ذلك السيف الذي خانه مع ابن الزبير، لا مطلق سيف.. وليس بالضرورة أن يقتصر على سيف واحد في

جميع حروبه.

ضربات الأشتر المتسارعة:

يفهم من قول ابن الزبير عن الأشتر: «ما ضربته ضربة حتى ضربني ستاً أو سبعاً»: أن الأشتر «رحمه الله» لم يكن يعطي مهلة لعدوه يمكنه من توجيه أية ضربة له، بل كان يضربه ضربات متلاحقة ومتسارعة، تجعله لا يفكر بغير الدفاع عن نفسه، والعمل على توقي ضربات خصمه.. وما أشبهه في فعله هذا بإمامه وسيده علي بن أبي طالب «عليه السلام» الذي كان يورد السيف ويصدره، فلا يرى الرائي فيه دماً لسرعته.

لولا قرابتك من رسول الله ′:

وتقدم: أن الأشتر قال لابن الزبير: «لولا قرابتك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبداً».

وكأنه يريد ـ إن صحت هذه الكلمة عنه ـ أن يعلمنا: أن الضربات التي سددها «رحمه الله» لابن الزبير كانت تكفي لأن تمزقه وتوزع أعضاءه.. لكن قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ من جهة جدته صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ قد منعت من تأثير تلك الضربات.. ربما لأن الأشتر لم يكن يفرغ فيها من عزمه الماضي، والقاطع، ما يؤدي إلى ذلك، مراعاة منه لقرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولو بهذا

المقدار. وهذا غاية الوفاء والإكرام لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

الأشتر يلقي ابن الزبير في الخندق:

وصرحت بعض الروايات المتقدمة: بأن الأشتر قد جر برجل ابن الزبير، وألقاه في الخندق. وهذا معناه: أنه قد ظن أنه مات، أو أشرف على الموت بسبب جراحه النازفة..

وتؤيد هذه الرواية: رواية أخرى ذكرها آخرون، ومنهم الطبري، تقول: إن ابن الزبير، ألقى نفسه في الجرحى، فاستخرج، فبرئ من جراحته..

وهذا السياق يبتعد كثيراً عن سياق رواية الإفلات بسبب فتوة ابن الزبير.. إلا إن كانت هذه حادثة أخرى جرت بين ابن الزبير، والأشتر..

أو أنها حادثة واحدة، صرع فيها الأشتر ابن الزبير، ثم جر برجله إلى الخندق، ثم تصارعا فيه، ثم أفلت منه ابن الزبير بسبب ضعف الأشتر، وبسبب اجتماع الناس عليهما، واضطرار الأشتر إلى العودة إلى ظهر فرسه..

أقتلوني وعبد الله:

وأما قول الأشتر: أقتلوني وعبد الله، كما رواه ابن عساكر، فلا مجال للركون إليه بعد أن روى لنا الشخ المفيد «رحمه الله»: أن

الأشتر قد اعتبر قول ابن الزبير: أقتلوني ومالكاً من الحمق الذي لا يصدر من عاقل..

ولعلهم نسبوا إلى الأشتر هذه الكلمة، لكي يحفظوا لابن الزبير شيئاً من ماء الوجه.. وأين؟! وكيف؟! وأنى؟!

كيف رأيت ضرب بنيك:

أما ما ورد في رواية المفيد، من أن عمار قال لعائشة: كيف رأيت ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟! ـ فلم يكن فيما يبدو ـ لمجرد استعراض القوة، ولا كان لأجل الشماتة بها، وإثارة شجونها..

بل كان لأجل إقناعها بأنه لا مجال للتساهل والمحاباة في أمر الدين، وإن زوجيتها للرسول، وكونها ابنة أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب لا يغير شيئاً لا الآن، ولا بعد الآن، فلا تظنن أن هزيمتها هذه المرة كانت لأجل عوامل طارئة أدت إلى الهزيمة..

بل سبب الهزيمة هو صلابة أهل الإيمان وقوة يقينهم، ومدى تصميمهم على دفع العوادي عن هذا الدين، وحفظه من أي معتد، حتى لو كان من أعظم الناس شأناً وخطراً.

وهذا بالذات كان وراء قول الأشتر: وبعد.. الحمد لله الذي نصر وليه، وكبت عدوه. فقد أراد «رحمه الله» أن يقول: إن هذا النصب للأولياء إنما هو فعل إلهي، وإنها كلما حاربت أولياء الله فسوف تواجه التدخل الإلهي لنصر أوليائه، فعليها أن تيأس من هذا الأمر نهائياً..

ثم استشهد «رحمه الله» بالآية الكريمة: **(إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)**[1]، ليدل على أن هذه سنة إلهية لا حيلة للبشر فيها.

ثم أوضح ذلك بقوله لها: فكيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟!

كذبت لست بأمك:

وقد أرادت عائشة بقولها: «كذبت لست بأمك» أن تخرجه عن دائرة الإيمان، بل الإسلام. فكأنها قالت له: أنا أم المؤمنين، وأنت لست منهم، فأنا لست أمك. ولكنه «رحمه الله» رد عليها بقوله: بلى وإن كرهت.. لكي لا تنسى أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد شهد له بالإيمان، لأنه «رحمه الله» كان من جملة الذين تولوا دفن أبي ذر كما أخبر «صلى الله عليه وآله»..

(1) الآية 81 من سورة الإسراء.

الفـــهـــــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 ـ الفهرس الإجمالي

الفصل الرابع: توجيهات في النطاق العام.. 7
الفصل الخامس: توجيهات قتالية..... 31
ملحق: ولا تذهب نفسك عليهم حسرات..... 63
الفصل السادس: انتظار الزوال.. ونزول الملائكة..... 75

الباب الثاني عشر: هكذا كانت الحرب..

الفصل الأول: حرب الجمل باختصار.. 93
الفصل الثاني: احمل على الأسنة.. 125
الفصل الثالث: حرب الجمل في اليوم الأول: أحداث وتفاصيل... 145
الفصل الرابع: مع أحداث اليوم الأول..... 169
الفصل الخامس: قتل طلحة.. 215
الفصل السادس: قتل ابن يثربي.. وآخرين.. 249
الفصل السابع: أحداث اليوم الثاني..... 287

الفصل الثامن: أحداث اليوم الثالث: اقتلوني ومالكاً..... 331

الفهارس:..... 355

2 ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: توجيهات في النطاق العام..

سار فيهم بسيرة الرسول ′: 9

سؤال أبي حمزة: 10

مضمون وصايا علي × لجيشه: 11

هل خالف الأشتر علياً ×؟!: 14

حديث راية رسول الله ′: 16

الزلزال: 17

هزيمة أم استسلام؟!: 18

لماذا لم ينشر راية الرسول في صفين؟!: 19

توجيهات عامة: 20

التعليمات الشاملة: 22

حجتان لأصحاب علي ×: 23

التدرج في المراحل: 24

معاملة نساء الناكثين: 26

ضعف النساء:..... 28

مراعاة جوانب الضعف لا تختص بالمسلمات:..... 30

الفصل الخامس: توجيهات قتالية..

توجيهات للعسكر: 33

1 ـ الأمر بغض الأبصار: 35

2 ـ عضوا على نواجذكم:..... 37

عودة إلى غض الأصوات، والأبصار:..... 38

3 ـ وأكثروا من ذكر ربكم: 39

4 ـ كثرة الكلام فشل: 40

6 ـ واصبروا لوقع السيوف:..... 43

القوة بالكتاب والسنة: 46

7 ـ ليذب عن أخيه كما يذب عن نفسه: 48

رايتكم لا تميلوها: 52

توجيهات لحامل اللواء:..... 54

صاحب الراية يتوسط القلب: 54

تزول الجبال ولا تزول:..... 54

1 ـ مركزية الراية:..... 55

2 ـ تزول الجبال ولا تزل: 56
3 ـ أعِر الله جمجمتك: 56
4 ـ تِدْ في الأرض قدميك: 58
5 ـ ارم بنظرك أقصى القوم: 59
6 ـ واعلم أن النصر من الله: 60
لا خير في الحرب إذا لم توقد: 61
ملحق: ولا تذهب نفسك عليهم حسرات..... 63
اتقوا سيف الأشتر، وجندب بن زهير: 65
علي × هو الذي أمر مناديه: 68
لماذا خاطب شباب قريش؟!: 69
الأمان لشباب قريش وآثاره: 71
أتركك لعائشة: 71
لماذا هذا النداء؟!: 73

الفصل السادس: انتظار الزوال.. ونزول الملائكة..

ما أشبهه بأخيه: 77
فعل علي × كفعل رسول الله ′: 79
بدء القتال: 80
آية البغاة: 81

علي × والإمداد بالملائكة:..... 83

سكوت علي ×: 84

نزول الملائكة:..... 85

أمر نسائي بيدك:..... 88

عائشة لم تكذِّب علياً ×: 88

الباب الثاني عشر: هكذا كانت الحرب..

الفصل الأول: حرب الجمل باختصار..

هكذا بدأت الحرب:..... 95

مبارزات.. وأشعار:..... 98

لا يظهر الدم على سيف علي ×: 100

اقطع البطان: 100

تقدّم على الأسنة: 103

الإندفاع العلويّ يخيفهم: 104

راية الجيش كيف نحملها؟!: 106

بعد ماذا؟!:..... 109

زحف المهاجرين والأنصار:..... 109

قدم اللواء:..... 110

يا منصور أمت: 111
إن صرعت عائشة فوارها: 112
يورد السيف ويصدره ولا يرى دماً: 114
معنويات المقاتلين: 114
قف مكانك إذا اختلطت الصفوف: 116
قوات التدخل السريع: 117
اقطعوا البطان: 118
بين أم رومان.. وأسماء بنت عميس: 119
عائشة لا تهتم لقتل أخيها: 120
شقيراء.. حميراء.. أدماء.. سوداء: 121
جمال عائشة: 123

الفصل الثاني: احمل على الأسنة..

اطعن بها: 127
من حملات علي بن أبي طالب وابن الحنفية: 129
أين النجم من الشمس والقمر؟!: 132
إقتحم لا أم لك: 134
الحسنان عينا علي ×: 135
أدركك عرق من أمك: 136

اطعن بها طعن أبيك تحمد: 137

لا خير في الحرب إذا لم توقد: 138

احمل بين الأسنة:..... 138

كيف قتل كعب بن سور؟!: 140

الإعلان بالتحدي:..... 141

شدة حملات علي ×:..... 142

الفصل الثالث: حرب الجمل في اليوم الأول: أحداث وتفاصيل..

بداية توضيحية:..... 147

يوم واحد أم ثلاثة أيام؟!:..... 148

حملات وقتال: 149

شهداء من أصحاب علي ×:..... 150

كيف وجدت أبا الحسن؟!:..... 152

بنو ضبة يحدقون بجمل عائشة:..... 153

أراجيز في حرب الجمل: 158

الفصل الرابع: مع أحداث اليوم الأول..

علي × يعرف بالوصي: 171

النبي ′ هو الآمر بقتال الناكثين: 173

علي الوصي في الأشعار والأرجاز:..... 177

الرايات ليس واحدة:..... 181
قرِّب لها بوَّها تحدب: 182
دعاء أبي عبيدة بن راشد:..... 183
ما المراد بالفتنة في كلام ابن راشد؟!: 183
بغض علي × سنة وشريعة:..... 184
ردوا علينا شيخنا ثم بجل:..... 190
علي خير بدل: 191
صفات علي ×: 193
والفضل ما شهدت به الأعداء: 195
بماذا يطعنون على علي ×:..... 196
عثمان بنظر أتباعه:..... 198
عثمان عند أصحاب علي ×:..... 199
عائشة في أشعار وأراجيز أصحابها: 200
نظرة في هذه الصفات:..... 200
بعض أتباع عائشة يسيئ إليها:..... 203
عائشة في نظر أصحاب علي ×:..... 203
إن الولي طالب ثأر الولي: 204
لماذا يخيفون الناس من علي ×؟!: 206

الأنصار في حرب الجمل: 210

يا رب سلِّم لنا علياً!!: 211

حفظ النبي ′ بحفظ علي ×: 213

ذو الشهادتين يخاطب عائشة: 213

الفصل الخامس: قتل طلحة..

هكذا قتل طلحة: 217

مروان يرمي طلحة: 222

في ركبته أم في أكحله: 226

قتل طلحة بعد الهزيمة: 227

طلحة: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى: 228

مروان يقتل طلحة: 229

التأييد بالرجل الفاجر: 235

طلحة يقسم كاذباً: 238

طلحة الذليل الخائب: 238

عثمان يحسن وطلحة يسيء: 239

الذل والخزي في الدنيا والآخرة: 240

هل هذا من الجبر الإلهي؟!: 242

منام يزيد الطين بلة: 244

الذهبي.. ومناقب طلحة: 244
طلحة أول قتيل: 245
علي × يثني على طلحة: 245
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا: 246
هذا سهم أرسله الله: 247
حزن البصريين على طلحة: 247

الفصل السادس: قتل ابن يثربي.. وآخرين..

مبارزات.. وقتلى: 251
قتل عمرو بن يثربي وابن خلف وغيرهما: 252
قتل ابن خلف الخزاعي: 259
قتل خباب الراسبي: 261
قتل عبد الله بن حكيم بن حزام: 261
قتل محمد بن طلحة: 263
مبارزات تغضب عائشة: 263
ناولوني كفاً من حصباء: 264
استبقني، أقتل لك مثلهم!!: 264
علي × وأخبار المتمردين: 266
إعداد واستعداد للشهادة: 267

لماذا يجيب علي × على الرجز في الحرب؟!: 268

الأرجاز بين البغي والإنصاف: 269

صفة عمار حين خرج لابن يثربي: 271

من الذي قتل ابن يثربي؟!: 272

ابن يثربي مدان ومخذول: 275

قاتل يرثي ضحيته: 277

كن خير ابني آدم: 281

هل كان ابن طلحة مع علي ×؟!: 283

قتله برُّه بأبيه: 284

من قتل محمد بن طلحة؟!: 284

حزن علي × على محمد بن طلحة: 285

الفصل السابع: أحداث اليوم الثاني..

الحرب في يومها الثاني: 289

بعر جمل عائشة كالمسك الأذفر: 297

بنو ناجية، وشمائل قريش: 298

هزيمة واحدة أم هزائم؟!: 300

عائشة ترفض الصلح، وحزن علي ×: 301

عائشة تعترف بقتل عثمان: 302

براعة عائشة في إثارة الحماس: 308
كيف قتل كعب بن سور؟!: 310
ابن سور يريد قتل علي ×: 312
اليوم الثاني: الشعار.. الزلزال: 317
لا تجيبوا الناكثين على شعرهم: 319
بعر جمل عائشة كالمسك: 320
ندم عائشة: 321
هل ندمت عائشة؟!: 324

الفصل الثامن: أحداث اليوم الثالث: اقتلوني ومالكاً..

بداية: 333
اقتلوني ومالكاً: 333
من القائل: اقتلوني ومالكاً؟!: 341
وا ثكل أسماء!!: 344
تزوير متعمد: 345
صيام الأشتر: 347
تحريف في عتاب عائشة للأشتر: 348
قَسَم الأشتر: 349
خيانة سيف الأشتر: 350

ضربات الأشتر المتسارعة: 350
لولا قرابتك من رسول الله ′: 350
الأشتر يلقي ابن الزبير في الخندق: 351
أقتلوني وعبد الله: 352
كيف رأيت ضرب بنيك: 352
كذبت لست بأمك: 353
الفهارس: 355
1 ـ الفهرس الإجمالي 357
2 ـ الفهرس التفصيلي 359